الكتب الجغرافية

الجغرافيا المعاصرة

ماذا عن تطور الهدف واحتواء الأزمة

دكتور
صلاح الدين على الشامى
أستاذ الجغرافيا
كلية الآداب - جامعة بنها

الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية
جلال حزى وشركاه

الجغرافيا المعاصرة

ماذا عن تطور الهدف واحتواء الأزمة

دكتور
صلاح الدين على الشامى
استاذ الجغرافيا
كلية الآداب - جامعة بنها

١٩٨٧

الناشر
منشأة المعارف بالإسكندرية
جلال حزى وشركاه

إهـــداء

الى جيل البراعم والخبرات الجغرافية المصرية المتفتحة ،
ومسئولية التجديد والتجويد الجغرافى أمانة فى عنقه ،
أقدم ، بل قل ، أهـــدى خـــواطرى واهتمــاماتى ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

فى عالم تواجه فيه التجارب الحياتية التحديات ، فى ربوع الأرض ، يكون الالتزام بالبحث وتقصى الحقيقة ، التى تعجم عود التحدى ، وترشد ابداع وحسن توظيف الوسيلة الحضارة الأنسب لمواجهة التحدى وابطال مفعوله ، أو تطويعه وحل عقدة عناده ضد ارادة الحياة ٠ وتقف العلوم فى طليعة التجارب الحياتية ، على خط المواجهة ، تحاور وتناور وتلتحم ، ولا تكاد تقبل بغير الانتصار لحساب الانسان بديلا ٠ وفى الوقت الذى يجسد فيه هذا الانتصار لحساب التجارب الحياتية ، وهى تزحزح حد المصالحة بين الانسان والطبيعة لحساب الانسان وعلى حساب الطبيعة ، من ناحية ، يجسد أيضا التطور العلمى ويشهد على تغيير وتطوير وتجديد أهداف العلوم ٠ وقل أن التجارب الحياتية وهى تتحلى بارادة التغيير والمحافظة على موجبات السيادة ، وتواجه المتغيرات وفى صحبتها التحديات ، لا تتقدم على الدرب التقدم الوائق الصحيح ، نحو الهدف الاقتصادى ، وفى اطار التشكيل الاجتماعى والتنظيم السياسى ، الا تحت مظلة الابداع الحضارى والاجتهاد العلمى ، الذى يشحذ ويقوى فاعلية الوسيلة الحضارية ٠

وهكذا نفهم جيدا موجبات التطور العلمى ، ونتبين مسئوليات هذا التطور ، وهو أمين على مصالح التجارب الحياتية ٠ كما نرصد حتمية هذا التطور الذى يلهث وهو يتأتى ويحقق الجديد والتجديد ، على صعيد العلوم الطبيعية ، وعلى صعيد العلوم الانسانية ، فى الأسلوب ، وفى المنهج ، وفى الهدف ٠ وتكشف حتمية هذا التطور العلمى النقاب عن ضرورة الاستمرار

والمضى على درب التغيير والاضافة ، لحساب التجارب الحياتية ، وهى تمضى مع حركة الحياة المتجددة ، من عصر الى عصر آخر • وتبدو وكأن نهاية المطاف فى أى عصر ، بداية حقيقية لاجتهاد ضرورى جديد لتطوير العلم وتحديث توجهاته وتطلعاته وتنمية أهدافه ، حسب حاجة العصر • بل قل أن مسيرة هذا التطور العلمى لا تعرف الوقوف الجامد عند حد ، ولا تركن الى الجمود أبدا ، لأنه يمثل تصلبا فى شرايين الحياة ، ضد ارادة وحركة الحياة •

وعلم الجغرافية وهو علم تركيبى وتحليلى وبينى ، يقف فى المكان المناسب بين العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية، ويعرف كيف يمد يده لكى يلتقط ويجنى ثمرات ونتائج هذه العلوم ، ولكى يحسن ويتقن توظيفها فى خدمة الهدف الجغرافى ، وفى تصنيع أو صياغة النتائج التى تجاوب هذا الهدف ، كان من أكثر العلوم التزاما بالتطور من عصر الى عصر آخر • ويبتنى هذا الالتزام على أساس أن العلم فى هذا الوضع البينى ، وهو يدخل نتائج العلوم واضافاتها المتطورة فى صنع توليفة نتائجه العلمية ، ينبغى أن يتحلى بالقدرة على استيعاب هذا التطور ، وعلى الاستجابة لدواعى هذا التجديد والاضافة • بل قل ينبغى أن يحتوى علم الجغرافية فى صلب تركيبه الهيكلى العلمى ، الاستعداد الصريح ، لتطوير الهدف الجغرافى ، ولتطوير الوسيلة والمنهج وصولا الى هذا الهدف ، وهو يتطور وتتجدد أبعاده من عصر الى عصر آخر •

هذا ، ويتحمل الفكر الجغرافى ، وهو من وراء علم الجغرافية على كافة مستويات آدائه ، النظرية الأكاديمية ، والعملية الميدانية ، والتجريبية التطبيقية ، مسئوليات هذا التطوير • ولا يكون هذا التطوير ولا يبدأ أبدا من فراغ ، ولا ينتهى بالضرورة من غاية أو هدف جغرافى ، يجاوب حاجة العصر ، ويخدم حركة الحياة فى المكان والزمان • وتمتلك الخبرة الجغرافية دائما ، مهارات تطوير الهدف الجغرافى ، ومهارات تطويع البحث الجغرافى نظريا ، وميدانيا ، وتطبيقيا ، فى اطار اهتماماتها ، وهى تدرس الأرض لحساب الانسان ، او وهى تدرس الانسان وحركة حياته المستجيبة لدواعى

التغيير فى ربوع الأرض · بل قل أن هذه الخبرة الجغرافية فى وسعها أن تتبين وأن تستشعر العلاقة بين الأرض وكل السنن الحاكمـة للطبيعـة فى ربوعها المتنوعة ، والانسان وكل القدرات الحضارية التى يتأهل بها ، وأن يحسب حساب جدوى القدرة الحضارية فى كل جـولة صراع من أجـل تطويع ، أو من أجل ابطال مفعول التحديات التى تبديها السنن الحاكمـة وتواجه بها حركة الحياة فى ربوع الأرض ·

ويسعدنى أن أتقدم بهذا الـكتاب الى قارىء العربية ، لكى يقف عـلى مبلغ استجابة المدرسةالجغرافية المصريةالعربية لمتغيراتالعصر وكل عصر،وعلى مبلغ الاستعداد الحقيقى والاســهام الفعلى فى تطوير الهـدف الجغرافى · وهناك أكثر من علامة على أن الخبرة الجغرافيـة المصرية ، تملك مهـارات الوقوف فى الصف العلمى فى المكان المناسب ، لهـذا العلم البينى ، حتى يتحقق له الانجاز العملى التطبيقى ، لحساب حركة الحيـاة · وأدعو الله أن يوفقنى فى حسن بيان هذا المضى الجغرافى المصرى ، على درب التطور العلمى العملى التطبيقى · وعلى الله وحـده قصد السبيل ، وهـو نعم المولى ونعم النصير ·

صلاح الدين على الشامى

ابريل سنة ١٩٨٧

بداية واقتراب

بداية واقتراب

يجسد الفكر الجغرافى ، ومسيرته الطويلة ، ومشوراه المستمر ، على المدى الطويل ، بكل ما ابتنى عليه من منطق معقول ، وفلسفات عقلية واعية ومتنورة وجادة ، اهتمـــاماته وتوجهاته وعنـــايته بالمدركات الجغرافيـــة الحسية ، فى المكان والزمان . وقل أن هذه العناية ، كانت تحاول وتتذرع بكل الأساليب ، وهى تمضى دائما فى الاتجـــاه الصحيح . ويعرف هـــذا التفكير الجغرافى ، فى نهـــاية المطاف ، لمـــاذا وكيف ، يبتنى قاعدة يرتكز عليها علم الجغرافية . كما يعرف جيدا ، لمـــاذا ، وكيف ، ومتى ، يبلور أو يصطنع الهدف الجغرافى ، الذى يتولى علم الجغرافية مسئوليته ، والعناية به عناية حصيفة ، لا تكف ولا تسكت أبدا .

وقل لقد أحسن هذا الفكر الجغرافى كثيرا ، عندما عرف بعـــد مسيرة حافلة ومبدعة ، وهى تمضى فى صحبة مسيرة حركة الحياة الانسانية عـــلى الأرض ، كيف ولمـــاذا يوضع الهدف ، أو الغرض الجغرافى بكامل أبعاده ، شكلا وموضوعا ، أمانة غالية فى عنق الاجتهاد الجغرافى الجـــاد المتنور . وكان هذا الاجتهاد الجغرافى الجاد ، حريصا على هذه الأمانة ، التى لا يجوز اهمالها ، أو لا ينبغى التفريط فيها .

وأصاب الاجتهاد الجغرافى دائمـــا ، أو أفلح باستمرار ، فى حسن تبنى هذا الهدف الذى يجاوب اهتمامات الفكر الجغرافى . كما أفلح أيضا ، فى حسن احتواء مفاهيمه ومدركاته الجغرافية الحسية ، وفى حسن العناية بها . وقل أنه تعقب أهم المدركات الجغرافيا الحسية ، فى المكان والزمان . كما تابع البحث والتحرى ، وهو يعكف على تأمل الرؤية الجغرافيـــة ، فى المكان وفى الزمان . ومن ثم كان اختيار المنهج الأنسب ، من أجل الوصول الموفق ، الى صاب أو الى جوهر هذا الهدف الجغرافى .

وقل أيضا ، أن هذا الاجتهاد الجغرافى ، مضى فى كـــل مرحلة من المراحل ، مع خطوات المسيرة الفكرية الجغرافية ، من عصر الى عصر آخر ، فكان جادا ومتفتحا ، ولم يفرط أبدا فى أصـــول حسن الصحبة . بل قل

أنه كان مجديا ومفيدا ، وهو يجاوب أو وهو يلبى التطلع الى معرفة وادراك وتأمل أفضل ، للمدركات الجغرافية الحسية ٠ وربما أضاف من عنده ، وهو يحملق فى المكان ، شيئا مناسبا عن المدركات الجغرافية المعنوية ٠

ولم يتهرب الاجتهاد الجغرافى أبدا ، من المسئولية المنوطة به ، ولم يتهاون فى معاينة المدركات الجغرافية ٠ وقل أنه لم يتخاذل أبدا فى سعيه الجاد ، وهو يجد ويتعقب معنى ومغزى ومرمى ، كل ما من شأنه ، أن يجسد الهدف الجغرافى ٠ بل قل بعد ذلك كله ، أن هذا الاجتهاد الجغرافى الجاد ، قد اصطنع كل ما فى وسعه ، من غير افراط حينا ، ومن غير تفريط أحيانا أخرى ، لكى ينقى العمل الجغرافى ، من زحمة ، أو من تعتيم الشوائب ، التى تبدو ، وهى مخلوطة به ، أو التى كانت تشوه حسن تعبيره ، أو التى كانت تخفى صدق بيانه الجغرافى الصحيح ٠

هكذا ، مضت مسيرة التفكير الجغرافى فى صحبة مسيرة الحياة الانسانية على الأرض(١) ، وهى ترشد وتبصر التعايش فى المكان والزمان ، أو وهى تشد أزر حركة الحياة فى مواجهة الطبيعة وتحدياتها التى لا ترحم ، فى ربوع الأرض ٠ وربما كانت البداية متواضعة ، وقد تمثلت فى مجرد رصد بعض المدركات الجغرافية الحسية ، رصدا أثار العجب حينا ، وفجر التساؤل أحيانا كثيرة فى المكان والزمان ٠ ولا ينبغى التشكيك فى قيمة هذا التعجب أحيانا أو هذا التساؤل أحيانا أخرى ، لأنه هو الذى أثارت بموجبه المدركات الجغرافية العقل الانسانى ٠ وكانت وكأنها دعوة صريحة ، لكى يكون التفكير ، ولكى يصبح الشغل الشاغل الذى يشغل الانسان ، فى

---

(١) ظهر الانسان لكى يعيش حياته على الأرض ، وهو مؤهل باستعداد فطرى لاستشعار خصائص المكان ٠ وكان هذا الاستعداد الذى يمثل حسا فطريا ، وسيلة جمع ورؤية واستيعاب، بعض أهم المدركات الجغرافية الحسية ، التى عايشتها حركة الحياة ٠ واستوجبت هذه المعاينة ، توظيف العقل فى التأمل ، وفى التمعن ، وفى التفكير ،من أجل تقصى حقيقة هذه المدركات الجغرافية الحسية فى المكان ، وكيفية التعايش معها ٠ وبدأ هذا التفكير الجغرافى بداية متواضعة ، مع ميلاد الحياة الانسانية فى المكان المعين ، على صعيد الأرض ٠ وكان هذا التفكير الجغرافى ، فى مرحلة طويلة فكرا عفويا لا يسجله الانسان ، أو لا يعبر عنه غير علامات الانتصار لموجبات التعايش فى المكان مع الطبيعة ٠ ثم كان فى مرحلة أخرى فكرا مكتوبا ومدونا ومنظما ، فى مدونات ، تحكى ونقص ونصور مبلغ انشغال الانسان بتأمل المدركات الجغرافية الحسية ، ومبلغ حدية وجدوى الانهماك فى التفكير فيها ٠ راجع : الشامى صلاح الدين : الفكر الجغرافى سيرة ومسيرة ـ الاسكندرية سنة ١٩٨٠ ٠

المكان والزمان . وما كف الانسان عن هذا التفكير الجغرافى يوما ، وما كان فى وسعه أن يكف أبدا ، وهو يستوعب المدركات الجغرافية الحسية ، حتى يعرف كيف يتعامل معها لحساب التعايش الأنسب فى المكان ، على المدى الطويل .

وفى الوقت المناسب ، وبعد مسيرة طويلة ، بداية من ميلاد الحياة الانسانية على الأرض ، أقدم الاجتهاد الجغرافى فى شجاعة ، وأحسن توظيف البصيرة الجغرافية ، لكى تنجح مهمة انسلاخ الفكر الجغرافى ، أو قل تحريره ، من الارتباط الوثيق بالفكر التاريخى . وحتما كان هذا الارتباط قد فقد موجباته تماما . وتهيأ المناخ الأنسب ، لأهم نقطة تحول عقلانى ، فى مسيرة التفكير الجغرافى على الاطلاق .

وكان الوصول الى هذه النقطة ، يعنى الاقتراب من الوضع الذى يتأتى فيه الاستعداد ، من أجل بناء وتجهيز الاطار العلمى ، الذى يصبح ويكون فى وسعه أن يحتوى اهتمامات التفكير الجغرافى . ولقد اصطنع الاجتهاد الجغرافى عندئذ ، كل ما فى وسعه ، لكى يرسخ الأصول ، والقواعد ، والأسس ، التى يبتنى عليها ، أو التى يكون بموجبها هذا الاطار المحكم . وبناء هذا الاطار المحكم ، لا يعنى غير الوصول الى ، أو الاعلان عن ، مولد علم الجغرافية الحديثة ، فى غضون القرن التاسع عشر الميلادى . وكان العقل الأوروبى الذى تحرر من كوابيس وضغوط الكنيسة الكاثوليكية ، هو المسئول عن ولادة هذا العلم ، وصياغة الهدف الجغرافى .

الفصل الأول

علم الجغرافية الحديثة

جوهر الهدف والتوجهات

- نشأة علم الجغرافية والبحث عن الهدف
- اهتمامات وتوجهات الجغرافية الحديثة
- توجهات الجغرافية الحديثة وصياغة الهدف الجغرافى
- تمهيـــد

الفصـــل الأول

علم الجغرافية الحديثة

جوهر الهدف والتوجهات

تمهيـــــد :

كان هناك على المدى الزمنى الطويل ، هدف جغرافى أولى بســيط . وتمثل هذا الهدف الأولى فى الكشف الجغرافى ، واســقاط الحجاب عن الرؤية الجغرافية الشاملة، وعن انتشار التجربة الحياتية المتنوعة فى ربوع الأرض. ولقد استوجب جمع أوصـــال هذه الرؤية الجغرافية ، وحشد محتواها من المدركات الجغرافية ، وقفات تأمل متانية . وفى اطار هذا التأمل ، عكف العقل الانسانى على التفكير فى كنه وماهية هــذه المدركات الجغرافية . وصـحيح أن هــذه المدركات الجغرافية قد أوقعت العقل فى حبائل الانبهار أحيانا ، ولكن الصحيح أيضا أنه لم يستسلم لهذا الانبهار ، ولم يفقد قدراته على المضى فى التأمل والتفكير فيها أحيانا أخرى .

وفى الوقت الذى لم يمتلك فيه الانســان غير الحس الجغرافى وحده ، عاين المدركات الجغرافية وتأملها ورشــد تعايش حركة الحياة فى المكان . كما واصل الانســـان تحت مظلة انجازاته الحضارية ، وهو يبتنى قواعــد مدنياته ، معاينة المدركات الجغرافية الحسية . وربما كانت شغله الشـــاغل وهى تبهره وتستوجب تفكيره بكل الالحاح فى طلب الحقيقة . واضافة الى طلب الكشف الجغرافى ومعـــاينة المدركات الجغـــرافية ، كان البحث عن الحقيقـة الجغرافية ، علامة على اتساع دائرة الهدف الجغرافى ، اتساعا محدودا وبطيئا.

وما من شك ، فى أن هذا الهدف الجغرافى المبكر ، قد استوجب عناية الاجتهاد الجغرافى الباحث عن الرؤية الجغرافية ، وتوسيع مداها توسيعا أفقيا لكى تغطى الأرض كلها . كمـــا استوعب هذا الهدف عناية التأمل والتفكير الجغرافى الصحيح ، وهو فى شكله الفلسفى الهلامى ، الذى لم يلتزم باطار واضح يحتويه ، ولم يخضع لقواعد علمية تجسد توجهاته الجادة الى الهدف الجغرافى . وانتقلت مسيرة هذا التفكير الجغرافى وهى أمانة ومســئولية من عنق الى عنق آخر ، ومن قبضة الى قبضة أخرى ، على مدى القرون الطويلة .

وتحققت انجازات واضافات جاوبت الهدف الجغرافى المبكر ، وهو لا يتجاوز الاستمرار فى طلب الكشف الجغرافى ، وتلمس أبعاد الحقيقة الجغرافية . بل قل بقى الهدف الجغرافى حبيس الوصف البحت ، ولم يسلم هذا الوصف الجغرافى الكاشف من الخلط والتشويه والتخبط .

نشأة علم الجغرافية والبحث عن الهدف :

وفى القرن التاسع عشر ، وتحت مظلة القيادة الأوروبية المتفتحة ، جاء الاعلان عن مولد علم الجغرافية . ولا يعنى ذلك التحول شيئا أهم من البيان الكاشف ، عن حسن وصول التفكير الجغرافى الأوروبى الى صياغة صيغة جديدة للهدف الجغرافى . كما يعنى أيضا نجاح التفكير الجغرافى الأوروبى الحديث فى وضع القواعد والأسس والأصول التى اصطنعت اطارا علميا واضحا للعمل الجغرافى ، ورسخت منهجا علميا سليما لممارسة العمل الجغرافى . ويطاوع الهدف الجغرافى فلسفة الفكر الجغرافى الأوروبى الحديث ، ويصغى اليه جيدا ، ولكنه فى نفس الوقت ، يجاوب حاجة وتطلعات علم الجغرافية وأسلوبه العلمى .

وينبغى أن نثق فى أن صنع الاطار وصياغة توليفة البنية العلمية ، وتحديد الهدف الجغرافى ، قد تأتى وأينع ، من خلال العلاقة الأصولية بين الفكر الجغرافى وهو علم بالقوة فى جانب ، وعلم الجغرافية الحديثة وهو فكر بالفعل فى جانب آخر . ومن ثم يجاوب هذا الهدف ، وهو لا يخيب أبدا منطق وفلسفة الفكر الجغرافى الحديث . ويبدو أن علم الجغرافية لا يكون أبدا من غير فلسفة الفكر الجغرافى ، وأن فلسفة الفكر الجغرافى لا تكون أبدا من غير علم الجغرافية ، وهو فى خدمة الهدف الجغرافى . وتبدو الصحبة بين فلسفة الفكر الجغرافى وعلم الجغرافية ، وكأنها علاقة عضوية .

واتخذ علم الجغرافية منذ مولده مكانا مناسبا ، بين زمرة العلوم . بل قل احتل مكانته فى المكان المناسب بين العلوم . وأصبح وهو الذى لا ولم ولن يخذل منطق وفلسفات وتوجهات الفكر الجغرافى الحديث ، وتطلعه الحصيف ، والحاحه المستمر ، العلم الذى لايكف ، ولا يسكت أبدا ، عن ادراك الغاية ، أو بلوغ مقصد الهدف الجغرافى . ولقد تعود علم الجغرافية ، فى ظل هذا الالتزام ، على العناية بالمنهج الأنسب وبالبحث الجغرافى السديد ، الذى لا يطاوع غير توجهات الفكر الجغرافى ، بكل الأمانة والموضوعية ، وصولا الى طلب الحقيقة الجغرافية ، فى المكان والزمان .

وهذا معناه ، أن علم الجغرافية الحديثة ، لا يبدأ من فراغ أبدا ، وهو يجاوب حاجات الانسـان وحسه الجغرافى الكامن فى أعماقه ، لأن الفكر الجغرافى ، وفلسفته المتفتحة ، يقف من ورائه يظاهره ويشد أزره ، ويسدد خطواته • ويكون علم الجغرافية أمينا ، وهو يتوجه الى الهدف الجغرافى فى الاتجاه الصحيح • كما يكون علم الجغرافية أكثر من أمين • وهو مسـئول عن كل ما يراود التفكير الجغرافى ، ويستحق عنايته ، أو يستوجب اهتمامه ، أو يشغله ويرنو اليه •

وهذا معناه أيضا ، أن علم الجغرافية لا يقدم الاقدام المسـئول ، على أداء المهام المنوطة به ، لحساب التفكير الجغرافى المتجدد ، من غير غاية أو من غير هدف جغرافى • وقل أنه يعرف الهدف جيدا ، ويلتزم به التزاما لا رجعة فيه ، لأنه يستحق الاهتمام ويستوجب العناية العلمية على مستوى المنهج الأنسب • ويبقى الفكر الجغرافى يقظا ، وفى تمام الوعى ، لكى يرشد توجه الاجتهاد الجغرافى العلمى ، ولا يترك له الحبل على الغارب •

وتألق علم الجغرافية الحديثة ، الذى نشأ وترعرع اعتبـارا من القرن التاسع عشر • وكان هذا العلم الذى لا يبدأ من فراغ ، ولا ينتهى من غير غاية ، رشيدا عرف جيدا كيف يكتسب كل صـفات أو مواصـفات العلم ، وكيف يحتويه الاطار العلمى السليم • ومن ثم عرف علم الجغرافية الحديثة أيضا ، كيف يتأتى الالتزام الحميد بالقواعد والأسس ، التى تخدم أو التى تحقق توجهاته العلمية الصحيحة ، فى اتجاه الهدف الجغرافى الصحيح • بل قل أنه قد أفلح تماما ، فى حسن صياغة وانجاز النتائج العلمية الجغرافية ، التى تجاوب أو تلبى وتخدم اهتمامات الهدف الجغرافى الصحيح •

ومن ثم ينبغى أن نفهم جيدا ، كيف ولد ونشـأ علم الجغرافية نشـأة طبيعية سوية ، بعد أن تم أو اكتمل نضجه جنينا ، فى رحم الفكر الجغرافى الحديث • كما ينبغى أن ندرك جيدا كيف أخذ علم الجغرافية الحديثة عن هذا الفكر واستجاب له ، أو جاوب توجهاته الفلسفية الخصبة ، فى طلب أهم أبواب المعرفة الجغرافية ، أو فى تقصى الحقيقة الجغرافية ، أو فى تمحيص المدركات الجغرافية الحسية والمعنوية ، أو فى دراسة الظاهرة الجغرافية المعنية •

ولقد جاءت هذه النشـأة الطبيعية فى الوقت المناسب تماما ، ولم تتأخر عن هذا الموعد • بل قل أن هذه النشأة قد تزامنت مع مولد ونشأة علوم طبيعية وعلوم انسانية كثيرة • واكتسى علم الجغرافية بلون العلم ، أو بالكساء

العلمى المناسب • ثم أتقن هذا العلم مسألة الانفتاح على العلوم الأخرى • وأجاد عندئذ ، الأخذ منها ، مثلما أجاد العطاء لها • واشترك مع كل العلوم في انجاز سمفونية العمل والاستجابة ، التى أصبحت فى خدمة المعرفة الانسانية المطلقة • ولم يبخل علم الجغرافية أبدا بشىء ، مما أصبح فى وسعه أن يقدمه ، أو بشىء مما تجمع فى جعبته •

كما ينبغى أن ندرك جيدا ، بعد ذلك كله ، كيف نما علم الجغرافية وتطور أو ترعرع ، وكيف أضاف الى الرصيد الجغرافى العلمى • وهو الذى مضى على درب العلم الصحيح ، لأنه لم يبدأ من فراغ ، ولم يتطور من غير غاية • ومن ثم كان النمو سويا ، وكان التطور مثيرا ، وكان الانجاز رائعا ، فى الاتجاه العلمى السديد • وقل أن هذا النمو ، وهذا التطور ، قد تأتى دون فصل أو انفصال أو انقطاع الصلة العضوية ، بين فلسفات الفكر الجغرافى الحديث من ناحية • وأصول وموجبات تكوين نسيج البنية أو صياغة البنية العلمية لعلم الجغرافية الحديثة من ناحية أخرى • وأفلح هذا النمو ، وأصبح علم الجغرافية من بعد ذلك كله ، علما راسخا ، يعرف جيدا كيف يتوجه من خلال المناهج المنضبطة ، الى جوهر الهدف الجغرافى •

ومن ثم يعرف الاجتهاد الجغرافى العلمى ، كيف يتألق فى الأداء الجغرافى العلمى ، اعتبارا من يوم مولد علم الجغرافية ، فى القرن التاسع عشر • كما يعرف هذا الاجتهاد الجغرافى العلمى ، دوره الوظيفى فى انجاز البحث الجغرافي ولم يضل أبدا • ولقد استحق علم الجغرافية ، عن جدارة واستحقاق أن ينضم الى صفوف العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية ، انضماما سليما ، فى داخل الاطار العلمى الأكاديمى • بل قل لقد وجد علم الجغرافية الحديثة ترحيبا علميا ، على الصعيد العلمى ، وانضم الى صفه بعض العلماء الذين لم تكن لهم نشأة جغرافية فى الأصل(٢) • كما لم يجد علم الجغرافية الحديثة أبدا ، من يستخف به ، أو من يعترض عليه ، أو من يعرض عنه •

---

(٢) بدأ همبولت وهو علم من اعلام علم الجغرافية الحديثة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر حياته العلمية ، بداية بعيدة تماما عن العمل الجغرافى • ولقد تناول همبولت فى دراساته المتنوعة بعض القضايا فى النبات وفى الكيمياء ، وفى الطبيعة وفى التشريح ، وفى الجيولوجيا • وأثرت هذه الدراسات العلمية فكر همبولت واسعفت اجتهاده العلمى عندما تحول الى العمل الجغرافى • بل قل ان هذا الثراء العلمى قد أهل همبولت لكى يضيف اضافات جيدة فى الجغرافية الطبيعية • الشامى ، صلاح الدين : الفكر الجغرافى ، سيرة وسيرة – الاسكندرية ١٩٨٠ ص ٣٠٧ •

اهتمامات وترجهات الجغرافية الحديثة :

نشـأ علم الجغرافية الحديثة ، نشـأة سوية علميا ، فى أحضان الوعى الأوروبى العلمى الأكاديمى المتفتح • وفى هذا الاطار ، لم يستشعر الغربة بين العلوم الطبيعية والعلوم الانسـانية ، التى كانت تتفتـح من حوله • وربما أسعف هذا الوضع التفتح الجغرافى المثير • ونال علم الجغرافية كل العناية والاهتمام ، فى وقت كان هو فى حاجة بالفعل ، الى ترسيخ وجوده العلمى ، وتأصيل أهم اهتماماته ، بالبحث الجغرافى •

وفى النصف الثانى أو الأخير من القرن التاسع عشر ، تفجرت ينابيع هذه العناية ، وباشرت بكل اهتمام العمل فى الحقل الجغرافى الأكاديمى • وتولى فريق علمى جاد ومخلص ، استغرق فى فلسفات الفكر الجغرافى ، واستوعب تراثه العريق ، مسـئوليات هذا الاهتمام • واصطنع اجتهاد هذا الفريق مقومات الترسيخ الجغرافى العلمى الحديث • وكان هذا الفريق من العلماء والباحثين ، حريصا أشد الحرص على ، تصور أو على تجسيد الهدف الجغرافى العامى ، وكيفية الوصول اليه ، أكثر من أى شىء آخر •

ولقد وفر الاطلاع على تراث الفكر الجغرافى العريق ، للاجتهاد الجغرافى العلمى حصـادا ثريا ، وزادا موفورا • وأعان هذا التزود الاجتهاد الجغرافى العلمى ، فى آداء المهمة الجغرافية العلمية • وكان هذا التراث الجغرافى قد تراكم على مدى القرون الطويلة ، وأصبح فى متناول أيديهم ، منذ أن انتقل زمام مسيرة التفكير الجغرافى ، من أيدى الجغرافيين المسلمين العرب ، الى الأيدى الأوروبية اعتبارا من بداية عصر النهضة الأوروبية • ويبدو أن هذا الانتقال قد جاء ، فى الوقت المناسب تماما ، بعد أن تأهل العقل الأوروبى تأهيلا مناسبا لحمل الأمانة •

وجاء هذا التأهيل تأسيسا على النجاح الأوروبى ، الذى تصدى كثيرا لموجات الاجتياح العـدوانى المدمر والمتكرر القـادم من قلب آسـيا ، وهـو الذى عرقل استمرار خطـوات مسيرة الحضـارة الأوروبيـة • وأفضى هـذا النجاح الأوروبى الى التحـول من مسيرة حضـارية متعثرة ومتقطعة ، الى مسيرة حضارية مستمرة ومتألقة • كمـا جاء هـذا التأهيل أيضا ، تأسيسا على الانفتاح الأوروبى ، الذى أطل على العالم الاسـلامى وتعامل معه فى السلم والحرب تعاملا مناسبا ومفيدا • وأفضى هذا الانفتاح الأوروبى الى التنور ، الذى بصر ورشد المسيرة الحضارية الأوروبية على الدرب فى الاتجاه الصحيح • ثم أضافت ثورة الاصلاح الدينى التى أشعلها المحتجون

على الكنيسة الكاثوليكية ، الاضافة المهمة ، وهى تحرر العقل الأوروبى وتؤمنه ، وتحمله مسئولية قيادة المسيرة الحضارية الأوروبية الناهضة ٠

ومن خلال مسيرة حضارية منتظمة ولا خطر مباغت فى وسعه أن يوقفها أو أن يجمد خطواتها ، ومن خلال التنور وحسن الأخذ والاقتباس من التراث الحضارى الاسلامى العربى ، تمضى المسيرة الحضارية الأوروبية المنتظمة فى اتجاه التألق ٠ ويدفع العقل الأوروبى المتحرر خطوات هذه المسيرة الحضارية الأوروبية دفعا الى مشارف عصر النهضة ، بعد أن تحقق الانسلاخ الذى انفصل بموجبه الشق الحضارى الأوروبى المادى ، عن الشق الحضارى الروحى ٠

وأقدمت انطلاقة هذه المسيرة الحضارية المتنورة ، فى صحبة العقل المتحرر من كل دواعى الخوف والجمود ، على انهاء مسيرة التفكير الجغرافى المسيحى الساذج ، الذى كان قد استخف بالعقلية الأوروبية ، وأغرقها فى ضلال مبين ، اعتبارا من القرن الأول الميلادى ٠ بل قل أن هذه الانطلاقة المتحررة ، قد تركت الحبل على الغارب لكى يحلق العقل الأوروبى فى آفاق المعرفة الرحبة وطلب العلم ٠ وأباحت هذه الصحوة العقلية المتفتحة والنهضة الأوروبية المتألقة ، حق العودة والرجوع ، الى جغرافية التراث الصحيح فى مصادره الاسلامية عودة رزينة ومتأنية ٠ ولقد واكبت هذه العودة الأوروبية مرحلة التمادى فى انحطاط الاجتهاد الاسلامى ، فاستحق العقل الأوروبى المتحرر ، وراثة التركة الجغرافية الاسلامية العربية ، وقيادة مسيرة التفكير الجغرافى الصحيح ، قيادة متنورة ومتفتحة ، فى الاتجاه السليم ٠

وجاء ذلك فى الوقت الذى خرجت فيه رحلات أوروبية ، اقتحمت المحيط الأطلنطى طولا وعرضا ، فى طلب الطريق البحرى البديل من أجل تحرير المصالح الاقتصادية الأوروبية والتعامل مع الشرق الآسيوى من قبضة المسلمين ٠ وكانت كشوف جغرافية ناجحة أخرجت أوروبا من فجر النهضة الى صبح النهضة ، وكفلت لها حق الانتشار فى أنحاء العالم ، وفتحت لهذا الانتشار أبواب الانتصار فى مجالات الاستيطان والتجارة الدولية والاستعمار ٠

ويبدو أنهذا النجاح فى اخراج الرحلة لحساب الهدف الجغرافى ، قد أنهى انغلاق أبواب أوروبا الغربية ، فتحولت من قارة تعودت على استقبال موجات بشرية تطلب الاستيطان فى ربوعها اعتبارا من انحسار الجليد ، أو تباشر العدوان من حين الى حين ، وتدمير الانجازات الحضارية الأوروبية ، الى قارة

تتعود على ارسال وانتشار ، حلق بهـا وما زال يحلق بها وهى متألقة ومتفوقة اقتصاديا وسياسيا وحضاريا ، على الصعيد العالمى ٠

وتكشفت لأوروبا قيمة وجدوى العمل الجغرافى ، واستهوت هذه الجدوى فريقا أوروبيا واعيا من الأثرياء ، أسـهم فى تمويل العمل الجغرافى ، سواء تمثل فى الكشف الجغرافى أو فى رسم الخرائط الجغرافية ، أو فى التفكير الجغرافى ٠ وتولى فريق رائد من المفكرين مهمة استيعاب نتائج رحلات الكشوف الجغرافية ، واسـتيعاب التراث الجغرافى القديم ٠ وقاد هـذا الفريق من المفكرين مسيرة التفكير الجغرافى ، على بصيرة ، فى الاتجاه الصحيح ٠ بل قل انهم أحسنوا توظيف الاجتهاد الجغرافى ٠ وتقدمت المسيرة الجغرافية ، وتقدم معها الاجتهاد الجغرافى ، على كل الجبهات فى الاتجاه الصحيح ، حتى تسنى انجاز المهمة ، التى تمثلت فى نشـأة علم الجغرافية الحديثة نشـأة سوية وقوية ، فى وقت واحد ٠

وانجز بعض الاعلام من المفكرين الجغرافيين ، كل فيما يخصه ، أو فيما يشـد انتباهه ، صـياغة أهم القواعد والأصـول والأسس الراسخة ، التى حددت الاطار العلمى المناسب ، لعلم الجغرافية ، كما أراد الفكر الجغرافى الحديث له ، أن يكون ٠ وكان شغلهم الشاغل ، فى مرحلة الابداع الأولى ، أن يتأتى انجاز هذه المهمة ، من خلال التطلع الواعى الى حسن صياغة الهدف الجغرافى ، والى حسن بلوغ الغاية العلمية ، بموجب هذا الهدف الجغرافى ٠

وكم أحسن وأجاد علمـاء ، كان الواحد منه فى القمة ، وهو يتصدى لهذه المهمة ٠ ونذكر من فريق العلمـاء الرائد ، كانط الذى سجل أهم خطوة فى الاتجاه الجغرافى الصحيح ٠ كمـا نذكر منهم أيضا ، راتزل وهمبولت وريتر ، وكلهم أعـلام وعلمـاء من أبناء المدرسة الجغرافية الألمانية ٠ وما من شك فى أن الواحد منهم قد تصدى للمسـئولية الجغرافية ، وهو على يقين من وضـوح رؤية السـبيل العلمى الأنسب ، الى جوهر الهدف الجغرافى ٠ بل قل أن كل واحد منهم قد عكف على حسن ترسيخ أهم قواعد توجهات الجغرافية الى العناية بالأرض ، أو العنـاية بالانسان ، أو العناية بالعـلاقة الحميمة بين الانسان والأرض ٠

وفى هذا المناخ العلمى المنتعش ، نشـأت وتكونت الجمعيات الجغرافية العامية الوطنية ، وهى تضـم الهواة والمحترفين ٠ وتبنت هذه الجمعيـات الجغرافية البحث الجغرافى ، وتولت تمويله ٠ كما نشـأت المدارس الجغرافية

العلمية ، التى استهواها البحث الجغرافى العلمى . وتبنى العلماء هذه البحوث . وخروجهم فى الرحلة الجغرافية المتخصصة ، من أجل هذه البحوث وجمع المادة العلمية من الحقل . وتضافرت عناية الجمعيات الجغرافية وعناية المدارس الجغرافية ، من أجل انجاز وصياغة سيمفونية الترسيخ الجغرافى العلمى والعملى .

واستغرق هذا الانجاز البديع وقتا.وتألق الجدل العلمى الجغرافى وتمادى الحوار الجغرافى العلمى الجيد ، فى هذا الجدل ، الذى تناول أهم القضايا المنهجية الجغرافية . ودون الخروج عن درب الصواب والموضوعية الجغرافيه العلمية ، أو دون التفريط فى جوهر العناية ، التى لم تغفل عن معنى ومغزى الهدف الجغرافى ، أضاف هذا الجدل ، أو الحوار العلمى ، الكثير الى الرصيد العلمى لعام الجغرافية الحديثة . بل قل أن هذا الاجتهاد الجغرافى ، قد أفلح فى صياغة التركيب الهيكلى ، لبنية علم الجغرافية الحديثة .

وفى الوقت الذى كانت الجمعيات الجغرافية تمول فيه البحث الجغرافى وتدفع بسخاء من أجل خروج الرحلات الجغرافية العلمية ، اهتمت بنشر البحوث الجغرافية التى كانت تحدث عن انجاز هذه الرحلات . ومن أجل تعميق الرؤية الجغرافية على الصعيد الاقليمى ، وعلى الصعيد العالمى ، اشتركت الخبرات والكوادر العلمية من أبناء المدارس الجغرافية فى هذه الرحلات العلمية . وقل انها جعلت اجراء البحوث الجغرافية فى ثوبها العلمى، شغلها الشاغل . بل قل ولا شيء كان يشغل الاجتهاد الجغرافى عن . أو يحرمه من التصدى لانجاز هذه البحوث الجغرافية الخصبة .

ومن خلال هذا الترسيخ الجغرافى العلمى الرشيد ، أصبح فى وسع فريق العلماء الجغرافيين ، تحديد مجالات البحث الجغرافى العلمى ، واهتماماته فى المكان والزمان . كما كان فى وسعهم الاقدام على :

أ – تحجيم اهتمامات الاجتهاد الجغرافى العامى والعملى ، تحجيما جامعا ، على صعيد المكان والزمان .

ب – تجسيد تطلعات الاجتهاد الجغرافى العامى والعملى ، تجسيدا رشيدا ومرشدا الى مناهج البحث .

ج – تسيير توجهات الاجتهاد الجغرافى العلمى والعملى ، تسييرا هادفا ، الى حيث يتحقق مغزى ومرمى الهدف الجغزافى ، فى نهاية المطاف .

ولقد انهمك الاجتهاد الجغرافى العلمى انهماكا جادا ، فى انجاز دراسات وبحوث جغرافية مفيدة • كما أصبح فى وسعه أن يسجل اضافات علمية جادة ومهمة • وقل أن هذا الاجتهاد لم يتخاذل أو يهمل ، فى لم شمل واستيعاب وتأمل ، مفاهيم المدركات الجغرافية الحسية والمعنوية • وأفضى ذلك كله فى نهاية الامر ، الى الاتفاق على حسن صياغة التركيب الهيكلى للقاعدة العلمية الراسخة ، وعلى بناء علم الجغرافية بناء مناسبا على هذه القاعدة ، وفى أحسن اطار علمى مناسب •

واصطنع هذا الترسيخ الرزين على امتداد القرن التاسع عشر بالفعل، أهم القواعد العامة ، والخاصة ، وأحسن الأسس العلمية الجغرافية ، التى ابتنى عليها وتحدد بوجبها الشكل النهائى للهدف الجغرافى العام ، والهدف الجغرافى الخاص • وقد كفل هذا الترسيخ حسن اختيار المنهج والكيفية . التى يتحقق ، أو التى يتسنى بموجبها ، وصول البحث الجغرافى الى الهدف الجغرافى العام أحيانا ، أو وصول البحث الجغرافى الى الهدف الجغرافى الخاص فى حالة التخصص أحيانا أخرى •

واستوجب هذا الأمر أيضا حسن توجه الاجتهاد الجغرافى العلمى ، توجها سديدا ، الى تبنى تنظيم وخروج الرحلة الجغرافية العلمية ، الى الميدان أو الى الحقل • كما استوجب حسن العناية بتوظيف الرحلة توظيفا مجديا ، على صعيد المساحة المعنية ، أو فى ربوع الميدان ، وهى فى خدمة البحث الجغرافى العلمى • وقل أصبحت هذه الرحلة الجغرافية ، رحلة علمية هادفة ، وهى لا تبدأ من فراغ ، ولا تعود من غير ثمرات جغرافية جيدة • بل قل أصبحت هذه الرحلة الجغرافية عندئذ مسئولة عن ، اجراء الدراسة الميدانية الحقلية ، فى أى مساحة معنية ، وهى التى يتحقق بموجبها ، جمع أوصال كل اضافة جديدة أو مجددة ، لكى تضاف الى رصيد الانجاز الجغرافى العلمى والعملى •

وصحيح أن الرحلة كانت قد تخصصت قبل ولادة ونشأة علم الجغرافية وترسيخ منهجية البحث أو الانجاز الجغرافى ، فى خدمة توسيع الرؤية الجغرافية ، على أوسع مدى ، فى ربوع العالم الفسيح(٣) · وصحيح أيضا أن هذه الرحلة الجغرافية المتخصصة فى آداء هذه المهمة ، لحساب المعرفة الجغرافية قد تولى أمرها الرجل المغامر أو الجسور ، الذى كانت قد استهوته حتى أصبحت شغله الشاغل ، وبدون حاجة ملحة للتخصص والاهتمام بالمحصلة الجغرافية · ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو اقدام علم الجغرافية على تبنى الرحلة الجغرافية(٤) ، لكن يتولى أمرها المتخصص الجغرافى · وقل عندئذ ان هذا هو التحول الجذرى أو التحول الحقيقى البناء ، فى شأن توظيف الرحلة لحساب التخصص العلمى الجغرافى · ذلك أنها أصبحت رحلة خاصة ، ومتخصصة فى القيادة الجغرافية ، وأكثر تخصصا وتفرغا ، فى خدمة الهدف الجغرافى العلمى المتجرد · وكان هذا التجرد مطلوبا ، لكى ترجع الرحلة عن تقديم ثمرات البحث الجغرافى ، لحساب الانتعاش الاستعمارى وترسيخ وجوده وهيمنته فى ربوع بعض المستعمرات · بل قل أن الاجتهاد الجغرافى العلمى ، كف عن السير فى ركاب حركة السياسة وتوجهات الاقتصاد الأوروبى الرأسمالى ، الذى باشر العمليات الاستعمارية ·

وهكذا تطهرت الرحلة الجغرافية من هذه الوصمة ، وطاوعت القيادة الجغرافية المتخصصة فى انجاز الهدف الجغرافى العلمى · وقل انها جاوبت ارادة البحث الجغرافى العلمى ، على صعيد المساحة المعينة ، فى المكان

---

(٣) كان خروج الرحلة قبل القرن الخامس عشر الميلادى خروجا مطلوبا ، لحساب الهدف التجارى أو الهدف العسكرى أو الهدف السياسى ، أو الهدف الدينى ، أو لحساب اى هدف آخر غير الهدف الجغرافى ·ومع ذلك كانت كل رحلة من هذه الرحلات تخدم فى ركابها المعرفة الجغرافية · ثم كان ميلاد الرحلة الذى اعلن عنه خروج رحلات الكشف ، الذى لم يكن يعنى غير تخصيص الرحلة للغرض الجغرافى ، لحساب توسيع دائرة المعرفة الجغرافية فى ربوع الارض· ولقد سبق ذلك التخصيص بوقت طويل ، تكليف الجغرافى المتخصص فى القرن التاسع عشر بالخروج وبقيادة وحسن توظيف الرحلة الجغرافية المتخصصة ·

الشامى ، صلاح الدين : الرحلة ، عين الجغرافية المبصرة ، فى الدراسة الميدانية ـ الاسكندرية سنة ١٩٨٣ ·

(٤) كانت الرحلة التى خرجت لحساب الكشف الجغرافى تحت قيادة المغامر ، رحلة ناجحة فى طلب المعاينة الجغرافية الكلية وهى تكتشف قارة ، والمعاينة الجغرافية الجزئية وهى تكشف مساحة من القارة ، والمعاينة الجغرافية التفصيلية وهى ترسخ الاستيطان الأوروبى أو وهى تفتح الأبواب للاستعمار الأوروبى ، فى أنحاء الارض ·

والزمان • وتوجهت الرحلة الجغرافية العملية المتخصصة ، فى الاتجاه الصحيح كما وجهت معها البحث الجغرافى العلمى على الدرب ، الى كل ميادين اهتمام علم الجغرافية الحديثة • وأصبح شغل هذه الرحلة الجغرافية الشاغل ، هو أن يتحقق الهـدف الجغرافى ، ولا شىء غيره ، على صـعيد المسـاحة المعنية ، فى المكان والزمان •

وهذا معنـاه اعتماد البحث الجغرافى العلمى ، وهو يطوع الرحلة ، ويطاوع الفكر الجغرافى الحديث ، من أجل جمع ولم شـمل ، كل ما من شأنه أن يخدم الهدف الجغرافى على دعامتين • وتتمثل هاتان الدعامتان فى :

أ — الدراسـة الميدانية أو الدراسـة الحقلية ، فى ربوع المسـاحة المعنية ، من أجل تقصى الحقيقة الجغرافية ، ومعاينة وجودها فى موضعها ، وجمع مكونات البحث الجغرافى ، والمادة العلمية الخام الأساسية •

ب — التمحيص العلمى ، والمتابعة المنهجية الملتزمة ، وسعة الاطلاع والتحرى من أجل حسن صياغة وتوليف مكونات البحث فى اطار التركيب الهيكلى ، لبنية البحث الجغرافى الهادف •

وهـكذا ، اتخذ علم الجغرافية شكل العلم العملى من حيث المنهج(٥) • وتضمنت منهجية هذا العلـم العمـلى ، كيفية الخروج مع الرحلة الجغـرافية المتخصصة الى الميدان ، الذى أصبح بمثابة توجه الباحث العلمى الى المعمل لاجراء التجارب العلمية المعملية • بمعنى أن تتمتع الخبرة الجغرافية ، أو أن تكتسب القدرة على حسن اجراء العمل الميدانى ، وعلى حسن جنى ثمرات هذا العمل الميـدانى ، وعلى حسن الانتفاع بهذه الثمرات والنتائج ، فى اعداد البحث الجغرافى • ومن ثم كان من الواجب أن يمتلك الاجتهاد الجغرافى القدرة على حسن التركيب والتوليف ، من أجل حسن صياغة البحث ، وعرض التعبير الأنسب ، عن الرؤية الجغرافية العلمية والعملية ، فى سياق منسق وبديع جغرافيا ، عن المساحة المعنية ، فى المكان والزمان •

ومن يكون فى وسـعه أن يحسن صـياغة وتوليف مـكونات الرؤية

---

(٥) بتنام د• ف : الجغرافية علم عملى (الجغرافية فى القرن العشرين) ترجمة ج/٢ القاهرة سنة س ٦٩ — ٨٨ •

الجغرافية العلمية والمعملية ، فى سياق بحثى رتيب ، أو أن يحسن جمع الأوصـال التى تتألف منها هذه الرؤية فى اطار المساحة المعنية ، ينبغى أن يتحلى أيضا بنفس القدرة ، أو بنفس القدر من المهارة والقدرة على تفكيك أوصـال أو تحليل أجزاء المكونات المتداخلة فى نسيج هذه الرؤية الجغرافية ٠ ومن ثم يبدو كيف ان الاجتهـاد الجغرافى ، لا يكاد ينجح فى أداء المهمة المنوطة به ، واعداد البحث الجغرافى ، من غير التحلى بالقدرة على التركيب والتحليل فى وقت واحد(٦) ٠ ومن خلال هذه القدرة الثنائية ، يتسنى انجاز البحث الجغرافى العلمى الجيـد ، الذى يضم أو يسجل ، فى سياقه الرتيب ، الاضافة الجديدة ٠ ولا اضافة جغرافية جيـدة وجديدة ، من غير دراسة ميدانية ، فى المساحة المعنية ، فى المكان والزمان ٠

ولقد اعتمـد عطاء وانتاج الخبرة الجغرافية المتخصصة ، كما اعتمـد التجديد والاضـافة فى البحث الجغرافى ، على مهارات الانتقال أو على حسن التحول السـهل ، الذى ينساب انسيابا منسقا ، من تحليل الرؤية الجغرافية الكلية الشـاملة ، الى أوصال ومكونات وجزئيات هذه الرؤية ، الى تركيب وتجميع أوصـال ومكونات وجزئيات كثيرة فى صلب واحد ، يشمل الرؤية الجغرافية الكلية الشاملة ٠ وقل أن الاجتهاد العلمى الجغرافى كان عليه :

أ ـ أن يتحلى بالمهارة فى التحليل والتركيب ، لكى تتوفر كل الأبعاد التى تجسـد الرؤية الجغرافية ، للظـاهرة الجغرافية المعنيـة ، فى المـكان والزمان ٠

ب ـ أن يتقن الاجتهـاد الجغرافى التحليل والتركيب ، حتى يتسنى له حسن البيان والتعبير عن صورة الرؤية الجغرافية ، فى المساحة المعنية ، فى المكان والزمان ٠

وأضف الى هذا التحلى بمهارات فائقة فى التحليل والتركيب ، ضرورة التحلى أيضا بمرونة الانفتاح ، أو بالانفتاح المرن ٠ وتتمثل مرونة الانفتاح فى مهارات الانتقال المرن الذى يباشرها الاجتهـاد الجغرافى ، وهو يتحول بكل اليقين والثقة والكفاءة من معالجة ودراسـة وتقصى الحقيقة فى الرؤية

---

(٦) الشامى ، صلاح الدين : الفكر الجغرافى ، سيرة ومسيرة ـ الاسكندرية سنة ١٩٨٠ ص ٣٧٠ ٠

الجغرافية ، القابلة للاتساع الشامل ، حتى تغطى مساحة العالم كله ، الى معالجة ودراسة وتقصى الحقيقة الجغرافية الجزئية ، القابلة للانحسار ، حتى لا تغطى غير المساحة المحدودة والمعنية • وتسفر مثل هذه المهارة ، فى الانتقال من الكل الى الجزء ، أو فى التحول من الجزء الى الكل ، عن تنمية وشحذ وتألق مهارات الاجتهاد الجغرافى ، فى التحليل والتركيب الجغرافى ، من أجل حسن صياغة ، وحسن عرض البحث الجغرافى •

ولقد اقترنت المهارة الجغرافية فى التحليل والتركيب ، بالمهارة فى التحول الجغرافى الذكى ، من تقصى حقيقة الرؤية الجغرافية الكلية الشاملة ، الى تقصى حقيقة الرؤية الجغرافية الجزئية ، اقترانا جيدا فى اطار المنهج الجغرافى العلمى • وأحسن الاجتهاد الجغرافى العلمى ، توظيف هذه المهارة على كل صعيد ، وفى كل دراسة جغرافية منهجية ، من أجل تعميق البحث الجغرافى • واستوجب الوصول الى هذا التعميق ، حسن ادراك ، وتقصى أصول وموجبات العلاقة الجغرافية ، التى تربط بين هاتين الرؤيتين ، ربطا جغرافيا منطقيا ، لا يجوز الطعن فيه أبدا ، ولا يجوز اهماله أو الاستخفاف به •

ويرسخ هذا الاتقان فى التحول ، والاتقان فى حسن الصياغة ، مهارات الخبرة الجغرافية العلمية المتخصصة ، وهى تقدم الأقدام الواثق على مباشرة العمل الجغرافى ، وعلى معالجة موضوع البحث العلمى الجغرافى • وتأتى للاجتهاد الجغرافى مباشرة التجويد فى المعالجة المنهجية الجغرافية ، من خلال التحليل أو من خلال التركيب ، أو من خلال التحليل والتركيب فى وقت واحد • بل قل تأتى هذا التجويد فى الانجاز ، دون التردى فى سلبيات التناقض الموضوعى ، أو دون الوقوع فى قبضة التردد ، فى فهم وادراك جوهر ولب الهدف الجغرافى ، الذى يتعين الوصول اليه ، فى نهاية المطاف •

ويمضى علم الجغرافية ، وهو راسخ ، فى توجه علمى رشيد • وقل أنه كان لا يطاوع غير نداء العقل ، والاستماع الى ارادة الفكر الجغرافى الحديث ، الذى كان قد سيطر عليه ، وأمسك بزمام العقل الجغرافى الأوروبى المتفتح • بل قل أن نشأة هذا العلم النشأة السوية ، فى الوقت المناسب ، بعد أن كان الاجتهاد الجغرافى قد أباح حسن توظيف الرحلة الجغرافية ، وحسن الانتفاع بحصاد المعرفة الجغرافية ، من وجهة نظر أوروبا — على الأقل — فى خدمة الانتصار الأوروبى ، قد أسقطت عنه تهمة التبعية ، وكل الدواعى التى يمكن أن تجرمه •

ومن أجل المضى فى هذا التوظيف الردىء ، الذى شد أزر الانتصار الأوروبى ، وسدد خطواته على الصعيد العالمى(٧) ، تصاعدت العناية بعلم الجغرافية • وأحسن الاجتهاد الجغرافى العلمى استثمار هذه العناية . والانتفاع بها ، وهو يحدد أهم معالم توجهات علم الجغرافية ، أو وهو يحدد أهم اهتمامات العمل الجغرافى ، أو وهو يصطنع أهم غايات الهدف الجغرافى • كما أتقن أو قل أحسن وأبدع ، فى صياغة الكيفية التى يتسنى بموجبها الوصول الى تحقيق الهدف الجغرافى • ولكن الاجتهاد الجغرافى امتنع بعد ذلك كله ، عن الامتثال للانتصار الأوروبى ، وترفع عن البقاء فى أسر التبعية لارادته ، التى لا تمثل ولا تجاوب ارادة الفكر الجغرافى الحديث •

توجهات علم الجغرافية الحديثة ، وصياغة الهدف الجغرافى :

فى المناخ السائد فى أوروبا ، وهى تواصل العمل على كسب مزيد من التحرر العقلى ، اعتبارا من القرن الثامن عشر ، اختلط التوجه العلمى غير الناضج ، بالتطلع والأطماع وروح التسلط على العالم • وأقدم التفكير الجغرافى وهو يصطنع الثوب العلمى للجغرافية ، على تحديد ملامح الهدف الجغرافى • وكان عليه أن يفعل ذلك ، وهو يحاول التخلص من دواعى وموجبات التبعية والانصياع ، لتوجهات الأطماع السياسية الأوروبية ، اقتصاديا وسياسيا ، وحضاريا • وقل أن الاجتهاد الجغرافى ، تعمد تحرير الهدف الجغرافى برفق ودهاء من هذا الانصياع ، حتى لا يضل ضلالا شديدا ، فى زحمة الانتصار الأوروبى ، تجاريا واستيطانيا واستعماريا ، على الصعيد العالمى ، أو فى صحبة الهيمنة الأوروبية على العالم حضاريا •

من أجل تحرير وتحديد الهدف الجغرافى ، تفجرت الاهتمامات المتجردة الواعية ، التى كان عليها أن تستمع لصوت العقل وحده ، وأن تجاوبه حتى يتحرر الهدف الجغرافى ، من كل غرض غير الغرض الجغرافى • بل قل ومن أجل ترسيخ هوية هذا الهدف العلمى وتطهيره من خطيئة التبعية وعدم

---

(٧) تأتى هذا الانتصار الأوروبى من بعد الخروج من اطار الانغلاق وسدد البحث الجغرافى خطواته • وقل أنه أسعف هذا الانتشار الأوروبى واغترابه على أوسع مدى فى ربوع العالم • وقل أنه هو الذى قوى سواعد الانتصار الأوروبى على الصعيد العالمى ، وهو ينظم ويسيطر على حركة التجارة الدولية ، او وهو يمتلك الأرض ويرسخ حق الاستيطان الأوروبى وحضوره المغترب فيها ، أو وهو يوجه الغزو والاقتحام ، ويتقن الممارسة الاستعمارية والتسلط الاستعمارى على مصير الأمم والشعوب • بل قل ان العمل الجغرافى ، هو الذى وجه مسيرة الهيمنة الأوروبية ، على الصعيد العالمى •

التجرد ، وهو الذى ينال عناية التفكير الجغرافى الناضج ، تولدت وتفجرت الكوادر التى تحملت المسئولية ، وحملت هذه الأمانة • ويبدو وكأنها قد استجابت لدواعى البحث عن الهدف الجغرافى الصحيح ، لكى يولد علم الجغرافية ، الذى لا يكون من غير أن يتحدد الهدف الجغرافى المجرد •

وتحملت هذه الكوادر بصدق ، مسئوليات تحديد مسارات التوجهات الجغرافية السديدة ، على الدرب العلمى الصحيح ، الذى يتحقق بموجبها الهدف الصريح • وتمضى هذه التوجهات الجغرافية العلمية ، نحو الاهتمامات الجغرافية المتجردة من كل شىء ، باستثناء الهدف الجغرافى • وتبلورت هذه الاهتمامات الجغرافية المتجردة فى وضوح شديد • ومن ثم استوجبت معالجة جغرافية تتناول ثلاثة قضايا أساسية • كما استوجبت هذه المعالجة ، الدراسة وتقصى الحقيقة الجغرافية ، فى اطار المنهج الجغرافى السليم •

وكان من الطبيعى ، أن تتداخل هذه القضايا من خلال المعالجة أحيانا ، أو أن تنفصل ولا تتداخل أحيانا أخرى • ولكنها كانت فى نهاية المطاف ، لا تفضى الى شىء ، أهم من تحقيق الهدف الجغرافى ، أو الاستجابة الى صميم تطلعاته العلمية •

وبصرف النظر عن المنهج ، استوجبت هذه المعالجة الجغرافية ، التى تتفجر بالحيوية ، من خلال العناية الدراسية الجغرافية العلمية بها :

أ — الاهتمام الجغرافى الذى لا يغفل عن الأرض على كل المستويات، التى تتراوح بين المساحة المعنية فى المكان المحدود ، والمساحة المعنية على صعيد العالم كله ، فى ربوع الأرض الفسيحة ، وهى وطن مأهول بالانسان لحساب الانسان وتعايشه •

ب — الاهتمام الجغرافى الذى لا يغفل عن حضور الانسان وانتشاره فى ربوع الأرض ، وعلى صعيد المساحة المعنية ، وهو يعيش تجربته الحياتية ، التى يحددها ويعلن عنها ، تشكيله الاجتماعى ، ومستواه الحضارى ووضعه السياسى ، وهدفه الاقتصادى(٨) •

---

(٨) يفلح الاجتهاد الجغرافى فى عرض التصور الجغرافى عن حركة الحياة فى كلمات موجزة • وتقول هذه الكلمات ، تمضى حركة الحياة على الدرب الطويل ، والهدف اقتصادى ، والتشكيل اجتماعى ، والتنظيم سياسى ، والوسيلة حضارية •

ج - الاهتمام الجغرافى الذى لا يغفل عن حتمية العلاقة بين الانسان ومهاراته ، والأرض وخواصها ، فى كل موطن يحتويه ، وكيف يمضى التعامل أو التفاعل الذى يكفل أو الذى يوفر سبل التعايش بينهما ، ويجسد وضعه الاقتصادى ويؤمن تشكيله الاجتماعى ، ويجاوب مستواه الحضارى ٠

واستوجب العمل الجغرافى العلمى الذى يتحمل مسئولية هذه الاهتمامات تهيئة سبل أو حسن توظيف مناهج العناية الجغرافية بها ، فى المكان والزمان ٠ كما تلمس الكيفية التى تتوجه بها هذه العناية ، حتى تكون الدراسة الجغرافية مسخرة ، لحساب الهدف الجغرافى ٠ كما استوجب العمل الجغرافى العلمى أيضا ، متابعة حركة الحياة ، وتوفير الرؤية التى تحسن تعقب العلاقة الأصولية ، بين الانسان والأرض ، وأبعاد التعامل بينهما ، فى اطار محكم ، حتى يمضى البحث الجغرافى فى اتجاه جغرافى منهجى صحيح ، نحو الهدف الجغرافى ٠ ولا يعنى هذا التوجه الجغرافى شيئا أهم من حسن العناية الجغرافية ، بالأرض وهو موطن للانسان ، وبالانسان وهو يحيا فى الأرض ، ثم بحركة الحياة ومقومات حضورها ، ونبضها الفعال فى ربوع الأرض ٠

وقل أن الاجتهاد الجغرافى العلمى لم يغفل ، أو لم يتخاذل أبدا فى توفير قنوات الانفتاح والاتصال ، التى تربط وتحافظ على حتمية العلاقات كما ينبغى أن تتحقق وأن تكون ، بين الاهتمام بالأرض ، والاهتمام بالانسان ، والاهتمام بحركة الحياة والتعامل بين الانسان والأرض ٠ وصحيح ان توجهات علم الجغرافية العلمية الدراسية ، قد أجازت التخصص فى اهتمام من بين هذه الاهتمامات الثلاثة ، الى حد الاستغراق والتغلغل فى أعماقه المتشعبة ٠ ولكن الصحيح أيضا أن هذه التوجهات قد حرمت على هذا الاستغراق فى التخصص ، التغلغل الى الحد الذى تتضرر عنده العلاقة الحميدة ، أو الذى تنقطع عنده الصلة الموضوعية بين هذه الاهتمامات ، وهى تتداخل تداخلا لا ينبغى تجاوزه ، وتتبنى عليه صياغة التركيب الهيكلى لبناء الجغرافية العلمية ٠

وبهذا المنطق العلمى الجغرافى ، واستجابة لفلسفات الفكر الجغرافى الحديث ، يقدم الاجتهاد الجغرافى على دراسة الأرض ، على صعيد أى مساحة معنية ٠ وقد تكون هذه المساحة المعنية محدودة فى المكان ٠ وقد تكون هذه المساحة المعنية فضفاضة ، تغطى ربوع الأرض الفسيحة ، فى كل مكان ٠

وقد تنتشر هذه المساحة المعنية ، على الصعيد العالمى • وفى جميع الأحوال، تكون دراسة الأرض دراسة جغرافية ، لحساب الانسان •

وتكون هذه الدراسة الجغرافية ، دراسة كاشفة للأرض ، تتلمس خواصها ومواصفاتها الطبيعية ، وهى وطن للانسان ، أو وهى مرتع فسيح لحركة حياة الانسان وحضوره وسيادته عليها بصفة عامة • وقل بعد ذلك كله ، أن الأرض على كافة مستويات المساحة المعنية ، وفى كل مكان وزمان، لا تستوجب عناية الاجتهاد الجغرافى • ولا تستحق اجراء البحث الجغرافى ، الا اذا كانت موطنا للانسان ، ومحلا لاستخداماته ، وملاذا لأمنه وحضوره وسيادته »(٩) •

وهذا معناه ، أنه لا محل أبدا ، لدراسة الأرض دراسة جغرافية مجردة أو متجردة • ذلك أن التجرد يعنى استبعاد الانسان أو غيابه عنها • وغياب الانسان عن الأرض أو استبعاده ، يبعد أى دراسة جغرافية تتناول الأرض ، عن الهدف الجغرافى • بمعنى أن الدراسة الجغرافية التى ينبغى أن تتناول الأرض ، لحساب الهدف الجغرافى ، لا يمكن أن تتجرد • ولا تتجرد هذه الدراسة ، أو لا تبدو متجردة ، الا اذا أهملت حضور الانسان فى ربوع الأرض ، أو اذا تنكرت للعلاقة بين الانسان والأرض • ومن ثم لا يمكن أن تنتسب الى الجغرافية أو الى الانجاز الجغرافى • وقل أن الدراسة الجغرافية الحقيقية للأرض ، هى الدراسة التى تعتنى بدراسة الأرض ، ولا تهمل وجود الانسان أبدا ، على صعيد هذه الأرض • ويملك الاجتهاد الجغرافى حق الاحجام عن دراسة الأرض غير المأهولة ، وهو يفتقد وجود الانسان على أى وضع حياتى ، يحيا فى ربوعها •

وهكذا ، يجسد الاقدام الجغرافى العلمى على دراسة الأرض دراسة جغرافية ، وهى موطن للانسان ، أو وهى مرتع لحركة حياته ، أو وهى موضع لسيادته ، أولا وقبل كل شىء ، جانبا مهما وأصوليا ، من الجوانب التى يتحقق بموجبها الهدف الجغرافى • بل قل أن مثل هذا الاقدام ، يجسد التطلع الحميد ، الذى يرنو اليه الفكر الجغرافى الحديث ، ويضعه أمانة فى عنق علم الجغرافية الحديثة ، وهو يخدم ، أو وهو يحقق الهدف الجغرافى العلمى ، من خلال دراسة الأرض دراسة جغرافية ، فى المكان والزمان •

---

(٩) منشل روجر : تطور الجغرافية الحديثة (ترجمة د• محمد السيد غلاب) • • انظر ما جاء فى تصدير الترجمة العربية ص•ب القاهرة سنة ١٩٧٣ •

وبنفس هذا المنطق العلمى الجغرافى ، واستجابة لفلسفات الفكر الجغرافى الحديث ، يقدم أو يقبل الاجتهاد الجغرافى على دراسة الانسان . على صعيد أى مساحة معنية · وقد يكون حضور أو وجود الانسان ، فى مواطن الاستقرار ، أو فى ربوع البداوة ، على صعيد المساحة المعنيه المحددة فى المكان · وقد يكون وجود الانسان أو حضوره ، فى مواطن الاستقرار ، أو فى ربوع البداوة ، على صعيد المساحة المعنية الفضفاضة ، التى تغطى الأرض المسيحة فى كل مكان · وقد يكون وجود الانسان أو حضوره ، فى مواطن الاستقرار ، أو فى ربوع البداوة ، على أوسع مدى ، فى أنحاء العالم · وفى جميع الأحوال ، تكون دراسة الانسان دراسه جغرافية ، فى اطار وجوده وحضوره السائد على صعيد الأرض ·

وتكون هذه الدراسة الجغرافية ، دراسة كاشفة للانسان ، تتلمس أوضاعه ، وتتبين أحواله اجتماعيا ، وحضاريا ، واقتصادية ، وسياسيا . فى ربوع الأرض ، على صعيد المساحة المعنية · وقل أن الانسان وحضوره فى أى وضع وفى أى حالة ، لا يستوجب اهتمام الاجتهاد الجغرافى ، وهو منفصل عن الأرض · بل قل أن دراسة الانسان دراسة جغرافية لا تستحق عناية الاجتهاد الجغرافى ، الا من خلال متابعة وجوده ، وادراك أبعاد سيادته، والكيفية التى يؤمن بها مصيره ، وهو يعيش ويحيا فى ربوع الأرض ، فى المكان والزمان ·

وهذا معناه ، أنه لا محل أبدا لدراسة الانسان دراسة جغرافية مجردة أو متجردة · ذلك أن التجريد ، لا قيمة له من وجهة النظر الجغرافية ، وقل أن هذا التجريد ، يعنى قطع أو انقطاع الصلة ، بين الانسان والأرض ، وغياب الأرض من تحت أقدام الانسان · بل قل أن هذا الغياب ، أو انقطاع الصلة بين الانسان والأرض ، تبعد الدراسة الجغرافية عن الانسان تماما ، عن الهدف الجغرافى · ومن ثم لا تتجرد الدراسة الجغرافية عن الانسان ، أو لا تبدو متجردة بالفعل ، الا اذا أهملت وأغفلت الأرض التى يعيش فى ربوعها الانسان ، أو الا اذا تنكرت وأنكرت العلاقة بين الانسان والأرض ، وتعامله معها بشكل أو بآخر · ولا يمكن أن تنتسب الدراسة التى تتناول الانسان ، وهى تهمل الأرض ، الى الجغرافية ، أو الى الانجاز الجغرافى ·

وكأن الدراسة الجغرافية للانسان، هى الدراسة التى تعتنى بدراسته . ولا تهمل أبدا أنه يعيش على صعيد الأرض · ومن حق الاجتهاد الجغرافى أن يحجم عن دراسة الانسان ، لو تأتى له أن يكون فى وضع منفصل عن

الأرض ، أو لو تأتى له أن ينعزل عن المسرح الأرضى ، الذى يشهد — فى العادة — حركة الحياة الانسانية ٠

وهكذا يجسد الاقدام الجغرافى العلمى على دراسة الانسان دراسة جغرافية ، وهو يعيش فى ربوع الأرض فى المكان والزمان ، أو وهو يرسخ ويؤمن سيادته عليها ، أولا وقبل كل شىء ، جانبا مهما وأصوليا ، من الجوانب التى يتحقق بموجبها الهدف الجغرافى ٠ وقل أن مثل هذا الاقدام الجغرافى يجسد التطلع الحميد ، الذى يرنو اليه الفكر الجغرافى الحديث ٠ بل قل أنه يجسد آمال هذا الفكر ، وهو يضع هذا التطلع أمانة فى عنق علم الجغرافية الحديثة ، وهو يخدم الهدف ، أو وهو يحقق الهدف الجغرافى ، من خلال دراسة الانسان ووجوده دراسة جغرافية ، فى المكان والزمان ٠

وبنفس هذا المنطق العلمى الجغرافى ، واستجابة لفلفسات الفكر الجغرافى ، يقدم الاجتهاد الجغرافى مرة ثالثة ، على دراسة التعامل أو التفاعل الحقيقى ، بين الانسان الذى يطلب التعايش فى الأرض فى جانب ، والأرض ومبلغ ترحيبها واستجابتها لهذا التعايش فى جانب آخر ، فى اطار المساحة المعنية ٠ وقد يكون هذا التفاعل ، وهو يصطنع صيغة التعايش ، تفاعلا من أجل تأمين الانتاج والحصول عليه من الموارد المتاحة ٠ وقد يكون هذا التفاعل وهو يبارك صيغة التعايش ، تفاعلا من أجل تأمين الاستيطان والحصول على السكن الأنسب ٠ وقد يكون هذا التفاعل ، وهو يرسخ صيغة التعايش ، تفاعلا من أجل تأمين الخدمات التى تلبى حاجة حركة الحياة ٠ وفى جميع الأحوال ، وعلى كل مستويات المساحة المعنية ، تكون دراسة هذا التفاعل بين الانسان والأرض ، وصولا الى صيغة التعايش ، دراسة جغرافية ، لحساب وجود الانسان وحركة الحياة والتعايش فى المكان والزمان ٠

وتكون هذه الدراسة الجغرافية دراسة كاشفة ومثيرة الى أبعد الحدود ، وهى تتقصى حقيقة هذا التفاعل بين الانسان والأرض الذى لا يتوقف أبدا ، ولا يجوز له أن يتوقف ٠ وتقصى هذه الحقيقة من خلال التذوق الجغرافى ، هو الذى يكشف ، كيف يتأتى وتتوالى نتائجه ، على صعيد المساحة المعنية المحدودة فى المكان ، أو كيف يتأتى وتتوالى نتائجه ، على صعيد المساحة الفضفاضة التى تغطى ربوع الأرض فى كل مكان ٠ بمعنى أنها تمثل الدراسة الجغرافية ، التى تتقصى التأثير المتبادل ، الذى ينضبط بموجبه هذا التفاعل بين الانسان والأرض ، وهو يسخر الأرض وما عليها حقا مباحا ، أو حقا مستباحا ومكفولا ، لحساب حضور الانسان ، وسيادته فى ربوع الموطن فى المكان والزمان ٠

وهذا معناه ، أنه لا محل أبدا لدراسة التفاعل أو التعامل بين الانسان والأرض ، دراسة جغرافية مجردة أو متجردة • ذلك أن هذا التجرد يكاد ينتهك العلاقة ، التى تسفر عن هذا التعامل أو التفاعل بينهما ، ويستخف بالنتائج التى يؤدى اليها • ثم هو بعد ذلك يبعد الدراسة الجغرافية عن صلب الهدف الجغرافى ، حتى تبدو وكأنها من غير مضمون • ولا تكاد تتجرد الدراسة الجغرافية ، أو لا تبدو وهى متجردة بالفعل ، الا اذا تجاوزت ، أو استخفت بهذه العلاقة بين الانسان والأرض • وقل لا يجوز هذا التجاوز ، لأنه يمثل التجاوز الذى لا يمكن تبريره • كما لا يجوز هذا الاستخفاف ، لأنه يطعن فى قيمة هذه الدراسة الجغرافية • بل قل أن مثل هذا التجاوز أو الاستخفاف يفض الصلة بينهما ، وهى التى لا يجب أن تنفض أبدا • ثم هو ينكر أو يستنكر أو يتنكر من غير حق ، لدواعى الضبط والانضباط المتبادل بينهما ، الذى يحكم أو الذى يتحكم ، فى توجهات هذا التعامل ، وفى نتائجه • وهذا معناه ، فى نهاية الأمر ، أن الدراسة الجغرافية للتعامل أو للتفاعل بين الانسان والأرض ، لا ينبغى أن تهمل ندية الأطراف المعنية • كما لا ينبغى أن تهمل أو أن تتهاون فى الاستجابة للهدف الجغرافى •

وهكذا ، يعكف الاقدام الجغرافى العامى ، على دراسة التفاعل بين الانسان ، وهو صاحب مصلحة وأكثر من مصلحة ، وصاحب مهارة وخبرة تتحقق بموجبها هذه المصلحة فى جانب ، والأرض وهى المصدر الحقيقى بما تحتويه لهذه المصلحة فى جانب آخر ، دراسة جغرافية جادة ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان • وتمثل هذه الدراسة الجغرافية وهى حيوية وهادفة ، جانبا ثالثا من أهم جوانب الهدف الجغرافى • وقل أن هذا الجانب يجسد التطلع الذى يرنو اليه الفكر الجغرافى الحديث • بل قل أنه يصبح أمانة فى عنق علم الجغرافية الحديثة ، وهو يخدم ويحقق الهدف الجغرافى ، فى المكان والزمان •

ومن ثم ينبغى أن نفهم جيدا ، كيف كانت هذه الاهتمامات الجغرافية وهى التى تتكامل ، الشغل الشاغل للاجتهاد الجغرافى العلمى • ولقد حددت هذه الاهتمامات الجغرافية ، جوهر ومضامين الهدف الجغرافى • واتفق الجغرافيون جميعا على هذا الهدف الجغرافى ، وعلى ضرورة الالتزام به • وقل أنها هى التى توجه وترشد التوجه الجغرافى العلمى الرزين ، فى الاتجاه الصحيح ، صوب الهدف الجغرافى • ولقد أفضى ذلك التوجه الرشيد الى حسن تصنيف ، أو الى حسن تبويب ، واحتواء هذه الاهتمامات الجغرافية ،

بالأرض ، وبالناس ، وبالتفاعل أو التعامل بين الناس والأرض ، فى المكان والزمان .

وجاء هذا التصنيف فى نهاية المطاف ، وهو يحدد أبعاد الهدف الجغرافى ويجاوبه . وينال هذ التصنيف الاعتراف الجغرافى العلمى الصريح عندما يسفر عن تقسيم علمى موضوعى . وأصبح هذا التقسيم معمولا به ، فى اطار قسمين جغرافيين رئيسيين . ويتمثل هذان القسمان فى :

أ - الجغرافية الطبيعية ، التى تعكف على دراسة الأرض ، لحساب الانسان .

ب - الجغرافيه البشرية ، التى تعكف على دراسة الانسان ، فى اطار حضوره وتعامله مع الأرض .

* * *

الفصل الثانى

الجغـرافية واهتمامات العمل الجغرافى

تمهيـــد

علم الجغرافية ودراسة الأرض (الجغرافية الطبيعية)

علـم الجغرافية ودراسة الانســان (الجغرافية البشرية)

الفصـــل الثانى

الجغرافية واهتمامات العمـل الجغرافى

يعلن التقسـيم الجغرافى الذى يفرق بين توجه العمــل الجغرافى نحو دراسة الأرض لحساب الانســان فى جانب ، وتوجه العمــل الجغرافى نحو دراسة الانســان وحضوره وتعامله مع الأرض فى جانب آخر ، عن حسن احتواء الاهتمامات الجغرافية ، وعدم التفريط فى أى من هذه الاهتمامات ٠ وقد يعنى هذا الافتراق فى التوجيهين امعانا فى التخصص العلمى ، ولكنه لايعنى فى نفس الوقت تجاوزا أو انـكاوا أو تمردا على العلاقة الحميمة الواجبة بين هذين التوجهين المتخصصين ٠ وصـحيح أن هذا التقسيم يصطنع الفاصل التخصصى بين الجغرافية الطبيعية ، والجغرافية البشرية ، ولكن الصحيح حقا أن هذا الفصل التخصصى يبدو شكليا فلا يفتعل الانســـلاخ ، ولا ينتهك العلاقة بينهما أبدا ٠

هــذا واذا كان ثمة فصل بين التخصص الذى يمليه هذا الافتراق بين التوجه الى دراسة الأرض والتوجه الى دراسة الانسان ، فانه لا يتجاوز منطق ودواعى الفصل بين وجهى العملة ٠ بمعنى أن الجغرافية الطبيعية تمثل وجها من وجهى الجغرافية الحديثة ، وتمثل الجغرافية البشرية الوجه الآخر ٠ وبهما معا ، يتم ويكتمل شكل ومضمون علم الجغرافية الحديثة ٠ بل قل أن الاهمال أو التفريط فى أى منهما ، ينتهك الهدف الجغرافى ، ويطعن فى جدواه ، ومن ثم تبدو اتجاهات العناية بهذين التوجهين ، فى اطار أكبر قدر من التوازى ، وفى أحسن حال من التوازن ٠

علم الجغرافية ودراسة الأرض (الجغرافية الطبيعية) :

اعتنى علـم الجغرافية الحديثة بدراســة الأرض دراســة مستفيضة ٠ وتتأتى هذه العناية على النحو الذى يضع نتائج هذه الدراسة لحساب الانسان ٠ ولا تستحق الأرض التى تفتقد فيها وجود الانســان وجودا مستمرا أو وجودا متقطعا عناية الاهتمام الجغرافى ٠ كما تأتت هذه الدراسة على النحو الذى تستوجبه دواعى المرونة الكاملة ، لكى تكون هذه الدراســة على مستوى المســاحة المعنية وهى جزء محدود ، أو على مستوى المســاحة المعنية وهى كل شامل تتسع حدوده حتى يغطى كل مساحة العالم ٠

وتتولى الجغرافية الطبيعية مهمة العناية ودراســة الأرض ، فى اطار الحبــكة العلمية ، التى تجاوب الهدف الجغرافى • وتكون هذه العناية أو هذه الدراسة الجغرافية علمية ومنهجية ، وهى تطل على الأرض فى ربوع المساحة المعنية • وفى اطار منهجية الجغرافية الطبيعية ، تمضى الدراســة الجغرافية . وهى تعكف على دراســة شمولية تتلمس خصائص الواقع الطبيعى ، أو وهى تعكف على دراسة الظاهرة الجغرافية المعنية وتتلمس وضعها فى توليفة الواقع الجغرافى الطبيعى •

وعلى صعيد المســاحة المعنية ، فى المكان والزمان ، تكون دراسة الأرض لحساب الانســان وحضوره وتعامله معها ، محل اهتمام الاجتهاد الجغرافى ، وشغله الشــاغل • وهو يتقصى الحقيقة الجغرافية الطبيعية ويعمق دراسته لها ، ويتلمس الأبعاد الحــاكمة أو المؤثرة فى صــورة الأرض ، فى المــكان والزمان • بل قل أن الاجتهاد الجغرافى فى وســعه أن يمارس هذا الغمــل الدراسى على كل مسنويات العمق ، وعلى كل مستويات الاتســاع الأفقى ، حتى يجعل منه تخصصا علميا جغرافيا خالصا ، يشغله ويتفرغ له ويتقنه ، وصولا الى صلب النتائج ، التى تجاوب الهدف الجغرافى •

وتبدو هذه العــاية الجغرافية الطبيعية المتخصصة ، حاذقة ومجيدة . وهى تعالج ، أو وهى تدرس وتتناول الظاهرة الجغرافية الطبيعية تناولا منفردا أحيانا ، على صعيد المســاحة المعنية ، فى المكان والزمان • وتبدو هذه العناية الجغرافية الطبيعية المتخصصة ، حاذقة ومجيدة مرة أخرى ، وهى تعالج أو وهى تدرس وتتناول مجموعة الظاهرات الجغرافية الطبيعية التى تشترك وتترابط فى صياغة الصورة الطبيعية التى يكون عليهــا الواقع الطبيعى فى المســاحة المعنية ، فى المكان والزمان ، أحيانا أخرى • ويسعف المضى على درب التوزيع والتعليل والربط التخصص الجغرافى الطبيعى ، فى مجال تعميق هذه الدراسة الجغرافية فى جميع الأحوال ، تعميقا علميا جغرافيا ، حتى يجاوب الهــدف الجغرافى •

ومن خلال المنهج الجغرافى المعمول به ، ومن خلال السياق المنسق على درب التوزيع والتعليل والربط ، تعرف الدراسة الجغرافية العلمية ، كيف توظف الدراســة المكتبية والدراســة الميدانية أو الحقلية فى جمع أوصــال وتجسيد خواص الظاهرة الجغرافية الطبيعية المعنية ، فى المكان والزمان • كما تعرف أيضا هذه الدراسة الجغرافية العلمية الطبيعية المتخصصة ، كيف توظف الدراســة المكتبية والدراســة الحقلية أو الميدانية ، فى تصوير الواقع

الطبيعى وبيان خواصه ومواصفاته الجغرافية الطبيعية ، وفى حصر فاعاية التداخل أو الاسهام المشترك لعناصر الظاهرات الجغرافية المتباينة ، فى صياغة صـورة هذا الواقع الجغرافى الطبيعى ، على صعيد المسـاحة المعنية .

ولقد استوجبت هذه العنـاية الجغرافية الخاصة ، بالظاهرة الجغرافية الطبيعيـة المتفـردة تخصـيص فرع متخصص لهـا ، من فروع الجغرافية الطبيعية . وفى الوقت الذى يعلن فيه ، هذا الفرع الجغرافى الخاص المتخصص عن الانتماء الى الجغرافية الطبيعية ، يصبح فى وسع هذا التخصص الجغرافى الدقيق أن يعالج أو أن يتناول ويتدارس الظاهرة الجغرافية الطبيعية على انفراد ، دراسة جغرافية طبيعية خصوصية ومتخصصة ، على صعيد المساحة المعنية فى المكان والزمان .

وكون هذه المعالجة أو هذه الدراسة جغرافية خصوصية ، تستغرق فى التخصص الجغرافى الى أبعد الحدود ، لا يعنى أبدا قطع أو انقطاع الصلة بينها ، وبين الظاهرات الجغرافية الأخرى . ولكن قل ربما يعنى ذلك ، أن تكون الدراسة الجغرافية أصولية متعمقة . وربما يعنى ذلك أيضـا ، ان تتعمد هذه الدراسـة الجغرافية ، تأصـيل وتعميق وحسن وضـوح الرؤية الجغرافية للظاهرة الجغرافية المعنية ، تأصـيلا جغرافيا علميا ، من خلال التحليل مرة ، ومن خلال التركيب مرة أخرى ، على حد سواء .

وتتمثل فروع الجغرافية الطبيعيـــة التى ينتمى أصلها الى ، ويرتبط ارتباطا عضويا بالتخصص الجغراف الطبيعى ، فى تخصصات متنوعة . ويعكف كل تخصص جغرافى طبيعى من هذه التخصصات على دراسة كل ظاهرة جغرافيـــة طبيعية منفردة ، دراسة جغرافيـــة عميقة . ونذكر من هـــذه التخصصات الجغرافية الطبيعية ، التى يتفرغ لها فرع خاص من الجغرافية الطبيعية ، جغرافية التضاريس ، وجغرافية المناخ ، وجغرافية تشكيل السطح (جيمورفولوجى) وجغرافية الحياة (النبات والحيوان) . وصحيح أن هناك علوم علمية مستقلة ، تعتنى بهذه التخصصات عناية خاصة غير جغرافية . ولكن الصحيح أيضا أن العناية الجغرافية وتخصيص فرع خاص لكل تخصص منها ، تبدو ذات طعم علمى خاص ، ونكهة جغرافية متخصصة .

ونذكر على سـبيل المثال أن علم البحار يؤدى دوره العلمى الوظيفى فى دراسة البحار والمحيطات بكل تأكيد . وتفضى هذه الدراسة المتخصصة الى نتائج علمية مفيدة . وقل أنها تسجل الاضافات التى لانشك أو لانتشكك

فى قيمتها العلمية • كما لا يجوز التفريـط فيها أو اهمالها • ولكن ذلك الانجاز العلمى الرائع ، لايعنى أبدا ابعاد الاجتهاد الجغرافى عن هذا الميدان• بل قل أن القيمة أو الجدوى العلمية للدراسة التى يجريها الباحث فى علم البحار ، لا تغنى عن الجدوى العلمية الجغرافية ، للدراسة التى يتفرغ لها الجغرافى المتخصص فى جغرافية البحار • وفى الاعتقاد الجغرافى أن الجدوى العلمية الجغرافية لدراسة البحار ، تكون لازمة ومهمة ، لأنها تتم الجدوى العلمية البحتة ، لدراسة علم البحار •

وفى الوقت الذى تجمع فيه الجغرافية الطبيعية شمل هذه الزمرة من الفروع الجغرافية المتخصصة ، يمكن أن تنضم اليها بعض الفروع الجغرافية الطبيعية الجديدة الأخرى ، كلما استوجب البحث الجغرافى العناية بظاهرة جغرافية طبيعية معينة• ويحسن الاجتهاد الجغرافى ، بل هو يجيد توفير هذه العنـاية التى تؤدى الى هذه الاضـافة ، ونشـأة فروع جغرافية جديدة ، يتأكد انتمائها الى الجغرافية الطبيعية • ويتفرغ الاجتهاد الجغرافى لدراسة جادة وعميقة ، تكفل وتؤصل هذه النشـأة ، وتؤكد هذا الانتماء الى صف واحد ، يجمع كل فروع الجغرافية الطبيعية • وهناك دائما المبررات الوجيهة، التى بررت وما زالت تبرر ، من حين الى حين آخر ، اضافة بعض الفروع الجديدة الى اهتمامات الجغرافية الطبيعية • ومع ذلك فلا تبرير ، ولا نشـأة ، ولا انضمام ولا جديد أبدا ، فى غيبة الفكر الجغرافى ، الذى يجب أن يستسيغ هذا التوجه ويبرره ، ويباركه ويشد آزره •

ويستوجب الترابط بين الظاهرات الجغرافية الطبيعية المتنوعة ، وهى التى تشترك اشتراكا منسـقا ، فى صياغة ، أو فى اكساب الواقع الطبيعى فى المسـاحة المعنية ، فى المكان والزمان ، خواصه ومواصفاته الطبيعية ، تخصيص دراسة جغرافية طبيعية خصوصية كلية • وتعالج هذه الدراسة الجغرافية الطبيعية المتخصصة الكلية ، الرؤية الجغرافية الطبيعية الشاملة ، وهى التى تعبر عن الواقع الطبيعى • وتكون هذه المعالجة الجغرافية المتخصصة الكلية ، كاشفة لكل العناصر الجغرافية الطبيعية ، التى تتداخل أو التى تشترك فى صياغة او فى تكوين ، أو فى توليف مكونات الواقع الطبيعى ، الذى تنبىء به رؤية الجغرافى له ، فى ربوع المسـاحة المعنية ، فى المكان والزمان •

ومن خـلال القدرة الجغرافيـة على التركيب ، تجمع هذه الدراسة فى الجغرافية الطبيعية الشاملة أوصال كل العناصر ، التى تفضى الى تجسيد

الرؤية أو المنظور الكلى للواقع الطبيعى • بمعنى أنها تتعقب نصيب الموقع الجغرافى والتضاريس ، والمناخ والصورة الحيوية ، المشتركة فى صياغة هذا المنظور الجغرافى ، فى المساحة المعنية ، فى المكان والزمان • كما تتعقب أيضا نتائج العلاقات بين أنصبة هذه العناصر ، وهى تصطنع المنظور الجغرافى للواقع الطبيعى ، على صعيد المساحة المعنية •

ومن خلال القدرة الجغرافية على **التحليل** ، تفكك هذه الدراسة الجغرافية الطبيعية الشاملة، أوصال الرؤية الجغرافية الكلية، على صعيد المساحة المعنية • وقل أنها تحالل التداخل والترابط ، التى يجمع ويلم شمل مكونات المنظور الجغرافى للواقع الطبيعى • بل قل انها فى اطار هذا التحليل ، تتبين القواعد التى يبتنى عليها جمع وتوليف مكونات هذا المنظور الجغرافى ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان •

ومن خلال القدرة على **التركيب والتحليل** ، يمسك الاجتهاد الجغرافى ، بزمام التفسير الجغرافى ، وهو حريص على هذا التفسير • كما يمسك الاجتهاد الجغرافى أيضا ، بزمام الربط الجغرافى ، وهو أشد حرصا على الربط وتعقب العلاقات بين الظاهرات الجغرافية • ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل قل أنه يصبح فى وسع الاجتهاد الجغرافى ، أن يتعقب القواعد والسنن التى تضبط وتسخر هذه الظاهرات ، وأن يتلمس احتمالات الاستثناء والشذوذ والخروج الجغرافى ، عن أصول هذه القواعد والسنن •

هذا ، ولا تعارض أبدا ، فى نهاية الأمر ، بين دراسة جغرافية طبيعية خاصة ، تستوجب التدقيق والامعان فى التخصص الجغرافى فى جانب ، ودراسة جغرافية طبيعية عامة ، تستوجب التعميم والشمول فى التخصص الجغرافى فى جانب آخر • وصحيح أن التدقيق والامعان فى التخصص الجغرافى ، هو الذى يعكف على الظاهرة الجغرافية الطبيعية المتفردة ، على صعيد المساحة المعنية ، حتى يمحصها وتتكشف له تفاصيلها الدقيقة ، ويعرف القواعد والسنن الحاكمة لها • وصحيح أيضا ، أن التعميم والشمول فى التخصص الجغرافى ، هو الذى يطالع الرؤية الجغرافية ، أو المنظور الجغرافى ، على صعيد المساحة المعنية ، حتى تتكشف له القواعد والسنن الحاكمة لتداخل واشتراك مجموعة الظواهر الجغرافية الطبيعية فى صياغة الواقع الطبيعى ، فى المكان والزمان • ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، أن كل دراسة من هاتين الدراستين الجغرافيتين العامة والخاصة ، تكون مطلوبة ، بل ولا تغنى دراسة منهما عن الأخرى • وتسفر كل دراسة منهما فى مجالها

العام ، أو فى مجالها الخاص ، عن نتائج مفيدة ، لحساب الهدف الجغرافى ٠

ومن ثم تنال الدراسة الجغرافية العامة ، والدراسة الجغرافية الخاصة ، عناية واهتمام الاجتهاد الجغرافى الطبيعى المتخصص ٠ وتكون هذه العناية ، وتتوفر فى اطار أكبر قدر متناسب ، من التوازى ، ومن التوازن ، من وجهة النظر الجغرافية العلمية ٠ وهما معا — فى نهاية المطاف — يعمقان رؤية الاجتهاد الجغرافى المتخصص ، أو يرشدان استيعاب خواص الواقع الجغرافى الطبيعى على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان ٠ ولا شىء يشغل بال الاجتهاد الجغرافى المتخصص ، أهم من تعميق رؤيته للواقع الجغرافى الطبيعى ، فى اطار مهاراته المكتسبة ، فى التحليل والتركيب الجغرافى ٠

وتستوجب مثل هذه الدراسة الجغرافية الطبيعية العامة أحيانا ، أو الدراسة الجغرافية الطبيعية الخاصة أحيانا أخرى ، سعة الاطلاع والتنور ٠ ولا تنور أبدا من غير انفتاح شديد يقظ ، وقدرة على حسن استيعاب نتائج العلوم الطبيعية والتزود بها ٠ وكم يكون الباحث الجغرافى فى أمس الحاجة الى حسن الانتفاع بهذه النتائج ، والى حسن توظيفها فى صياغة بحثه الجغرافى ٠ وقل أنه يكون فى وسع هذا الاجتهاد الجغرافى الحصيف ، أن يؤلف من نتائج العلوم الطبيعية شيئا مفيدا ، يبتنى عليه نتائج البحث الجغرافى الطبيعى ٠

وتبصر نتائج العلوم الطبيعية التى ينبغى أن يتسع لها عقل الباحث الجغرافى ولا تفلت منه دلالاتها العلمية أبدا ، البحث الجغرافى الطبيعى ٠ وقل أن سعة الاطلاع وحسن الاستيعاب يزود الباحث الجغرافى ، بأهم السنن والقواعد العلمية الطبيعية ، التى ينبغى أن يعتمد عليها ، فى دراسة الظاهرة الجغرافية الطبيعية ، دراسة جغرافية تحليلية وتركيبية ٠ بل قل أنه من غير أن يحيط الجغرافى علما بهذه النتائج العلمية ، يفلت منه أحيانا حسن التفسير ٠ كما قد يستشعر العجز عن تعميق البحث الجغرافى ، أو عن موجبات التدقيق التخصصى ، فى الجغرافية الطبيعية ٠

ولا تكاد تغنى سعة الاطلاع والاحاطة وحسن الاستيعاب ، عن التحلى بمهارة الأخذ المناسب ، وحسن التزود بنتائج العلوم الطبيعية(١٠) ٠ بمعنى

---

(١٠) تسعف سعة الاطلاع على نتائج العلوم الطبيعية ، والتحلى بمهارة الأخذ وحسن

أن سعة الاطلاع شيء وحده لا يكفي ، وأن المهارة في الأخذ شيء آخر ، به يتحقق الانتفاع بنتائج العلوم الطبيعية • وينبغي أن يتزود ، أو أن يكتسب الاجتهاد الجغرافي هذه المهارة في الأخذ من العلوم الطبيعية(١١) • بمعنى أن يتقن الباحث الجغرافي ، أو أن يجيد تقصي حقيقة السنن والقواعد العلمية الحاكمة ، لمظهر أو لجوهر الظاهرة الجغرافية الطبيعية المعنية ، لأن لا شيء غيرها يمكن أن يسعف التحليل الجغرافي ، على كل مستويات الدراسة في الجغرافية الطبيعية ، في المكان وفي الزمان •

وفي اطار التحلي بمهارة الأخذ ، والتزود بنتائج العلوم الطبيعية وحسن توظيفها ، يصبح في وسع الباحث الجغرافي ، أن يتقصى فعل السنن والقواعد العلمية ، وهي التي تصطنع المتغيرات الطبيعية ، حتى يستوعب التغيير في المكان والزمان • وعندئذ ، يتبين الاجتهاد الجغرافي في الجغرافية الطبيعية شيئا مهما عن توجهات التغيير الطبيعي جغرافيا ، في المساحة المعنية ، من عصر الى عصر آخر • ولا ينجح الاجتهاد الجغرافي في الدراسة الجغرافية الطبيعية أبدا ، دون هذا التزود بنتائج العلوم الطبيعية ، ومنها علم الطبيعة ، وعلم الكيمياء ، وعلم النبات ، وعلم الحيوان ، وعلم الجيولوجيا ، وعلم الفلك •

* * *

علم الجغرافيا ودراسة الانسان (الجغرافية البشرية) :

اعتنى علم الجغرافية الحديثة أيضا بالجغرافية البشرية ، في اطار الحبكة العلمية ومكونات بنيته المركبة ، التي تجاوب الهدف الجغرافي • ذلك أنها غاية جغرافية علمية منهجية بالانسان مرة ، وبحركة الحياة مرة أخرى ، على صعيد الأرض • وتكون الظاهرة البشرية التي تستوعب حضور الانسان في المكان والزمان ، أو التي تستوعب حركة الحياة اجتماعيا واقتصاديا وحضاريا وسياسيا ، هي الشغل الشاغل الذي يتفرغ له الاجتهاد الجغرافي • بل قل أن الجغرافية البشرية ، تستوجب التخصص الجغرافي الخاص ، الذي يعكف على الدراسة الجغرافية البشرية •

التوظيف التحليل الجغرافي ، ويبقى الجغرافي جغرافيا • ولكن الاستغراق في نتائج العلوم الطبيعية ، قد لا يفيد كثيرا ، وربما أوقع الباحث الجغرافي في خطيئة عدم الانتماء الجغرافي • ومهارة الأخذ وحسن التوظيف في مقابل مهارة العطاء ، بعد أن يفرغ الباحث الجغرافي من انجاز البحث الجغرافي ، هي أهم ما ينبغي أن يحرص عليه الاجتهاد الجغرافي •

(١١) ينبغي ان يصنف الباحث الجغرافي النتائج العلمية ، وهي بمثابة السنن الحاكمة للطبيعة على الأرض ، تصنيفا مناسبا ، في اطار الرصيد الجغرافي •

وتبدو هذه الدراسة الجغرافيـــة البشرية ، وهى تعـالج أو تتناول الظاهرة الجغرافية البشرية متفردة أحيانا ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان • وتكون هذه العناية الجغرافية البشرية على نفس المستوى الجغرافى العلمى ، وهى تعالج أو تتناول الظاهرة الجغرافية البشرية ، التى تشترك مع غيرها من الظاهرات الجغرافية البشرية المتنوعة الأخرى ، عـلى صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان • وفى جميع الأحوال ، تحافظ هذه الدراسة الجغرافية البشرية على موجبات العلاقة أو الصلة بين الانسان والأرض ، التى تكون بمثابة مسرح الأحداث ، وتجرى عليه وتتعايش فى ربوعه حركة الحياة •

ومن خـــلال المنهج الجغرافى المعمول به ، وفى اطار السياق المنسق وحبكته ، تعرف الدراسة الجغرافية العلمية ، كيف تجسد خواص ومواصفات الظاهرة الجغرافية البشرية المعنية • كما تعرف أيضا ، كيف يكتسب الواقع البشرى(١٢) ، على صـــعيد المســـاحة المعنية ، كل خواصـه ومواصـفاته الجغرافية • وقد يتمادى البحث الجغرافى البشرى المتخصص الى الحد الذى يعرف عنده كيف تشترك أو تتداخـــل الظاهرة الجغرافيـــة البشرية مـــع الظاهرات الجغرافية البشرية الأخرى ، اشتراكا منسقا ، فى صياغة الصورة أو المنظور الذى يكون عليه ، وتتألف منه مكونات الواقـــع البشرى ، عـلى صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان • بل قل أنها دراسة تحسب حساب علاقة الانسان بالأرض ، ومبلغ تأثيرها على حركة الحيـــاة ومنظور الواقع البشرى ، فى المكان والزمان •

هكذا استوجبت عناية علم الجغرافية بالانسان وحركة الحياة الانسانية وعلاقة هذه الحركة الحيـــاتية بالأرض ، اجتهادا وانفتـــاحا على الظـاهرة البشرية ، يجاوب المدركات الجغرافية البشرية • وقد لا تقف هذه المدركات الجغرافية البشرية عند حد معلوم ، لأنها تتغير وتتبدل وتتسع ، تحت تأثير وفعل المتغيرات التى تواجه حركة الحياة ، وتلتزم بالاستجابة لها فى المكان والزمان • ومن ثم يتعين توجه علم الجغرافية الى العناية الخاصة والمتخصصة بالظاهرة الجغرافية البشرية ، والى العناية العامة والشاملة بالواقع الجغرافى

(١٢) يجسد الواقع البشرى صورة حركة الحياة بكل أبعادها ، فى الوضع الراهن على صعيد المساحه ، فى المــاضى أحيانا ، أو فى الحاضر احيانا اخرى • وقد يجسد هـــذا الواقع البشرى استمرار مضى حركه الحياه وهو يجاوب التغير وفعل المتغيرات •

البشرى الكلى • وفى جميع الأحوال ، لا تنقطع الصلة بين عناية التخصيص المتخصص ، وعناية التعميم المتخصص ، فى الدراسة الجغرافية البشرية •

ولقد استوجبت العناية الجغرافية الخاصة والمتخصصة ، فى دراسة الظاهرة الجغرافية البشرية ، تخصيص فرع متخصص لها ، من فروع الجغرافية البشرية • ويعالج أو يتناول هذا الفرع الخاص والمعنى بالظاهرة الجغرافية البشرية على انفراد ، معالجة جغرافية خصوصية ومتخصصة • وكونها معالجة أو دراسة جغرافية بشرية خصوصية ومتخصصة ، لا يعنى أبدا قطع أو انقطاع الصلة أو العلاقة مع الأرض وتأثيرها المباشر وغير المباشر على هذه الظاهرة • كما لا يعنى أيضا ، قطع أو انقطاع الصلة أو العلاقة بين الظاهرة الجغرافية البشرية والظاهرات الجغرافية البشرية الأخرى ، فى اطار الرؤية أو فى اطار المنظور الجغرافى البشرى الكلى ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان •

وتبدو الدراسة الجغرافية البشرية الخاصة والمتخصصة ، على هذا الأساس ، دراسة أصولية لا أقل ولا أكثر • بمعنى أن تتعمد الدراسة الجغرافية البشرية تأصيل الرؤية الجغرافية ، التى تدقق فى كل تفاصيل الظاهرة الجغرافية البشرية المعنية • وقد لا يتأتى هذا التأصيل الجغرافى العلمى الدقيق ، الا من خلال التحليل ، ومن خلال التركيب ، على حد سواء • ويفضى هذا التأصيل بعد ذلك كله ، الى بيان واكتشاف القواعد العامة والأسس ، التى يرتكز اليها منظور الظاهرة الجغرافية البشرية المعنية ، فى المكان والزمان •

وتتمثل فروع الجغرافية البشرية التى يتخصص كل فرع منها فى دراسة كل ظاهرة جغرافية بشرية ، على انفراد ، فى جغرافية السلالات البشرية ، وجغرافية السكان ، وجغرافية السكن ، والجغرافية الأجتماعية ، والجغرافية الحضارية ، والجغرافية السياسية ، والجغرافية الاقتصادية • ويمكن أن تنضم الى هذه الزمرة ، بعض الفروع الجغرافية البشرية الأخرى ، كلما استوجب البحث الجغرافى العناية الجغرافية الخاصة والمتخصصة بظاهرة

جغرافية بشرية معنية ، ولم يسبق الاهتمام بها . كما يمكن أن تنبثق من الفرع الجغرافي البشري فروعا جغرافية ، لكي تكون الدراسة أكثر عمقا أو أكثر تدقيقا(١٣) .

ويحسن الاجتهاد الجغرافي صنعا ، وهو يلاحق حركة الحياة ، ويتلمس في التفاصيل الدقيقة ما يشغله ويهتم به . وقل أنه يجد المبررات التي تحفز توجه العناية الجغرافية الى تفاصيل الظاهرة الجغرافية البشرية . بل قل أن هناك دائما المبررات ، التي بررت وتبرر من حين الى حين آخر ، اضافة الفروع الجديدة ، الى صلب اهتمامات الدراسات الجغرافية البشرية. وتبتني كل اضافة جديدة ، تفرغ الاجتهاد الجغرافي للعناية بقضية هذا الاهتمام ، على بعض تفاصيل الظاهرة الجغرافية البشرية ، من أجل دراسة جادة وعميقة ، تكشف عن القواعد الحاكمة لها ، في اطار حركة الحياة ووجودها الحضاري والاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، في المكان والزمان.

واستوجب الترابط بين الظاهرات الجغرافية البشرية المتنوعة ، في اطار حركة الحياة ، وهي تشترك في صياغة منظور الواقع البشري ، أو تشترك في اكساب الواقع البشري خواصه ومواصفاته البشرية ، في المساحة المعنية ، تخصيص دراسة جغرافية بشرية عامة شاملة ومتخصصة. وتتناول هذه الدراسة الجغرافية البشرية العامة المتخصصة ، وتعالج المنظور البشري الشامل ، أو الرؤية الجغرافية البشرية الكلية ، وهو الذي نعبر عنه بالواقع البشري ، في المكان والزمان . وتكون مثل هذه الدراسة الجغرافية ، كاشفة عن كل العناصر الجغرافية البشرية ، التي تتداخل أو التي تشترك في صياغة وتكوين الواقع البشري . بل قل أنها تعبر عن رؤية الباحث الجغرافي ، لمنظور الواقع البشري على صعيد المساحة المعنية ، وتجربته الحياتية في المكان والزمان .

ومن خلال القدرة على التركيب ، تجمع هذه الدراسة الجغرافية البشرية العامة ، وتلم شمل أوصال من العناصر الجغرافية البشرية المتنوعة .

---

(١٣) تهتم الدراسة الجغرافية البشرية حتما بالظاهرة الجغرافية الاقتصادية . وهناك فرع خاص ومتخصص ، يتولى أمر هذه الظاهرة ، هو الجغرافية الاقتصادية . ومع ذلك أصبحت هناك المبررات التي استوجبت دراسة تفاصيل كثيرة في اطار الظاهرة الاقتصادية. ومن ثم كانت دراسة جغرافية الانتاج ودراسة جغرافية التجارة ، ودراسة جغرافية النقل . وغيرها من الفروع التي يحتويها اطار الجغرافية الاقتصادية .

التى تفضى الى تجسيد ، أو توليف مكونات الرؤية الجغرافية البشرية الكلية ، أو الى بيان المنظور العام للواقع البشرى • بمعنى أنها دراسة جغرافية ، تتعقب كل بعد من أبعاد حركة الحياة ، اجتماعيا ، واقتصاديا ، وحضاريا ، وسياسيا • ومن ثم تتبين بوضوح وتحصى نصيب ومبلغ اسهام كل بعد من هذه الأبعاد فى صياغة هذه الرؤية الجغرافية البشرية العامة . على صعيد المساحة المعنية فى المكان والزمان • بل قل أنها تحسن بعد ذلك كله ، تقصى محصلة العلاقة بين توليفة الأبعاد المتداخلة فى صلب حركة الحياة من ناحية ، والأرض وهى المسرح الذى يشهد هذه الحركة ، ومنظور الواقع البشرى من ناحية أخرى •

ومن خلال القدرة على **التحليل** ، تفكك هذه الدراسة الجغرافية البشرية العامة ، أوصال الرؤية الجغرافية البشرية الشاملة على صعيد المساحة المعنية • وقل أنها تحال تحليلا جغرافيا مناسبا المنظور العام للواقع البشرى ، حتى تتبين مكوناته ، دون افراط أحيانا ، ودون تفريط أحيانا أخرى ، فى علاقة هذا الواقع البشرى بالأرض ومسرح الأحداث الحياتية • بل قل أن هذه الدراسة الجغرافية البشرية العامة ، تتعقب ، فى اطار هذا التحليل ، العلاقات بين كل العناصر والأبعاد البشرية المتنوعة ، التى تتداخل فى ، أو التى تشترك فى جمع ولم وتوليف المكونات البشرية ، فى تسبيح الرؤية أو المنظور الجغرافى البشرى الكلى ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان •

ولا تعارض علمى أبدا ، بين دراسة جغرافية بشرية خاصة ، حيث يعكف كل فرع من فروع الجغرافية البشرية على تمحيص وتقصى حقيقة الرؤية الجغرافية المتخصصة ، لرؤية الظاهرة الجغرافية البشرية المتفردة من ناحية ، ودراسة جغرافية بشرية عامة ، حيث تعكف الجغرافية البشرية على تمحيص وتقصى حقيقة المنظور الجغرافى البشرى العام ، وكيف ولماذا تتداخل أو تشترك مجموعة الظاهرات الجغرافية البشرية ، فى صياغة منظور الواقع البشرى من ناحية أخرى • بل قل ولا تناقض أبدا بينهما ، عندما تجرى بحوث جغرافية بشرية خاصة أحيانا ، وبحوث جغرافية بشرية عامة أحيانا أخرى ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان •

هكذا ، تكون كل دراسة من هاتين الدراستين الجغرافيتين البشرية العامة والخاصة ، ذات جدوى • ولا ينبغى التفريط فى معطيات كل دراسة منهما • وقل أن هذا الازدواج الدراسى ، قد يفيد التوازى ، ولكنه لايجسد

أبدا الثنائية ، ولا يترك لأى دراسة عامة أو خاصة ، الفرصة التى تقفز فيها احداهما على الأخرى ، فتعتم عليها أو تشوهها • ويحافظ هـذا الازدواج الدراسى المتوازى على موجبات التوازن أيضـا ، بين الدراسة الجغرافيـة البشرية العامة ، والدراسة الجغرافيـة البشرية الخاصة • ويسفر هـذا التوازى والتوازن ، بكل تأكيد ، عن نتائج مفيدة أو مثمرة ، تتكامل ولا تتناقض أو لا تترك البحث الجغرافى يتخبط ، وهـو يعمل ويتوجه الى الهدف الجغرافى •

ومن وجهة النظر الجغرافيـة المتخصصة ، لا تكاد تغنى الدراسـة الجغرافية البشرية العامة ، على صعيد المساحة المعنية ، أبدا عن الدراسـة الجغرافية البشرية الخاصة • وتستوجب الدراسة الجغرافية البشرية العـامة التعميم والشمول ، وهى تطالع أو وهى تتناول وتتدارس المنظور البشرى العام للواقع البشرى • وتستوجب الدراسة الجغرافية الخاصـة التمحيص والتدقيق ، وهى تطالع أو وهى تتناول وتتدارس الظاهرة الجغرافية البشرية المعنية • ومع ذلك فانهما معا يستغرقان استغراقا مناسبا ، فى التخصص الدراسى الجغرافى البشرى ، وصـولا الى العمق الجغرافى المناسب لـكل منهما

وتنال كل دراسة من هاتين الدراستين الجغرافيتين البشريتين العامة على مستوى التعميم ، والخاصة على مستوى التخصيص ، عناية واهتمـام الاجتهاد الجغرافى المتخصص بشريا ، فى اطار أكبر قدر من التوازى دون تعارض ، وأكبر قدر من التوازن دون انحياز •• وهما معـا يعمقان الرؤية الجغرافية للواقع البشرى السائد ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان • ولا شىء يشغل بال الاجتهاد الجغرافى العلمى من خـلال حسن توظيف المهارة فى التركيب والتحليـل ، أهم من تعميق دراسـة الواقـع البشرى ، فى اطار المنظور الجغرافى •

وتستحق هذه الدراسة الجغرافية البشرية العامة أحيانا ، أو الدراسة الجغرافية البشرية الخاصة أحيانا أخرى ، بل قل تستوجب سـعة الاطلاع والتنور • ولا تنور أبدا من غير حسن انفتاح ، وتفتح شديد ويقظة وقدرة ومهارة على حسن استيعاب نتائج العلوم الانسانية والتزود بهـا • وكم يكون الباحث الجغرافى فى أمس الحاجة ، الى حسن الانتفاع بهذه النتائج والى حسن توظيفها واستثمارها الاستثمار الأنسب ، فى صياغة بحثـه الجغرافى البشرى • وقل أنه يكون فى وسع هذا الاجتهـاد الجغرافى ، أن

يؤلف من نتائج العلوم الانسانية ، شيئا مفيدا يبتنى عليه نتائج ومحصلة البحث الجغرافى البشرى ٠

وتبصر نتائج العلوم الانسانية ، التى ينبغى أن ينفتح لها عقل الباحث الجغرافى ، وأن يتسع لها وبها اهتمامه ، حتى لا تفلت منه دلالاتها العلمية أبدا ٠ وقل ان سعة الاطلاع وحسن الاستيعاب ، يزود الباحث الجغرافى ، بأهم السنن والقواعد العلمية البشرية ، التى ينبغى أن يعتمد عليها ، فى دراسة الظاهرة الجغرافية البشرية ، دراسة جغرفية تحليلية وتركيبية ، فى وقت واحد ٠ بل قل أنه من غير حسن احاطة الجغرافى علما بهذه النتائج العلمية ، يفلت منه زمام حسن التفسير والتحليل ٠ كما قد يستشعر بعض العجز أو كل العجز ، عن تعميق البحث الجغرافى ، أو عن موجبات التدقيق التخصصى ، فى الجغرافية البشرية ، على الاطلاق ٠

ولا تكاد تغنى سعة الاطلاع وحسن الاحاطة ومهارة الاستيعاب ، عن التحلى بمهارة الأخذ المناسب ، وحسن التزود بنتائج العلوم الانسانية ٠ بمعنى أن سعة الاطلاع شىء وحده لا يكفى ، وأن المهارة فى الأخذ شىء أكثر أهمية ، وبها يتحقق الانتفاع بنتائج العلوم الانسانية ٠ وينبغى أن يتزود الجغرافى بمهارة اختيار النتائج الأنسب للعمل الجغرافى البشرى ٠ كما ينبغى أن يكتسب الاجتهاد الجغرافى المهارة فى هذا الأخذ الضرورى من نتائج العلوم الانسانية ٠ بمعنى أن يتقن الباحث الجغرافى ، أو أن يجيد تقصى حقيقة القواعد العلمية البشرية الحاكمة أو المؤثرة فى مظهر أو فى جوهر الظاهرة الجغرافية البشرية المعنية ، لأن لا شىء غيرها يمكن أن يسعف التحليل الجغرافى البشرى ، على كل مستويات الدراسة الجغرافية البشرية ، فى المكان والزمان ٠٠

وفى اطار هذا التحلى بمهارة اختيار نتائج العلوم الانسانية ، ومهارة الأخذ والتزود وحسن الانتفاع ، يصبح فى وسع الباحث الجغرافى ، أن يتقصى القواعد العلمية البشرية ، وهى التى تصطنع المتغيرات البشرية حتى يستوعب مفعول التغيير فى المكان والزمان ٠ وعندئذ ، يتبين الاجتهاد الجغرافى فى الجغرافية البشرية شيئا مهما ، عن توجهات التغيير البشرى جغرافيا ، فى المساحة المعنية ، من عصر الى عصر آخر ٠ ولا ينجح الاجتهاد الجغرافى فى الدراسة الجغرافية أبدا ، دون هذا التزود بنتائج العلوم الانسانية ، ومنها ، علم الاجتماع ، وعلم التاريخ ، وعلم السياسة ، وعلم

الحضارة . وعلم الآثار ، وعلم النفس ، وعلم الاقتصاد ، وغيرها من مجموعة العلوم الانسانية ·

* * *

ويبقى بعد ذلك كله ، أن نؤكد على جدوى هــذا الافتراق على درب البحث الجغرافى ، بين الجغرافية الطبيعية وفروعها من ناحية ، والجغرافيــة البشرية وفروعها من ناحية أخرى ، وقل آنه افتراق علمى وظيفى معمول به، من أجل حسن التخصص، وحسن الأداء الجغرافى بصفة عامة · مع ذلك فان هذا الافتراق لا يعنى قطع الصلة أو انعدام الصلة ، أو حتى الاستخفاف بالعلاقة بينهما فى الاطار الجغرافى الشــامل · وقل أن مهارة الجغرافى لا يحسب لها حساب جيد ، الا وهو حريص على هذه الصلة ، التى لا يجوز التفريط فيها أبدا · بل قل أن من أهم مسوغات الاتقان فى انجاز البحث الجغرافى . هى أن يكتسب الباحث الجغرافى المهارة فى أن يعرف كيف :

أولا : يعتنى دائما بالعلاقة الأصلية التى تجمع بين الجغرافية الطبيعية ودراسة الأرض لحساب الانسان فى جانب ، والجغرافية البشرية ، ودراســة حضور الانسان وتعايشه فى ربوع الأرض ، فى جانب آخر ·

ثانيا : يتعقب الباحث الجغرافى أبعاد هذه العــلاقة ومعطياتها ، فى اطار الرؤية الجغرافية الشاملة ، التى تجمع فى وعاء واحد ، بين الانســان والأرض فى المكان والزمان ·

ولأن هذه العلاقة أصولية ، فلا هى مقطوعة أبدا ، ولا هى ممنوعة ، ينبغى أن يتلمس الباحث الجغرافى موجبات هذه العلاقة الحيوية · كما يجب أن يميز بين منطق هذه العــلاقة ، وهى علاقة تبعية بين متبوع يفرض وتابع يستجيب ، ومنطق هــذه العلاقة وهى عــلاقة متبــادلة بــين ندين متكافئين ، فى اطــار الضبط والانضــباط المتبــادل · وحسن تقصى حقيقة هذه العلاقة ، والعناية الجغرافية بها ، هو الذى يوفر أسباب أو موجبات الربط الموضوعى العلمى الدراسى ، بين الواقع الطبيعى ومتغيراته على صعيد المساحة المعنيــة فى جانب ، والواقع البشرى وحركة الحيــاة ومتغيراتها ، على نفس الصعيد فى جانب آخر · كما يهيىء للباحث الجغرافى أيضا ، حسن ادراك وتفهم أو استيعاب التأثير المتبادل ، بين الطبيعة وهى تضبط وتنضبط من ناحية ، والانسان وهو يضبط وينضبط من ناحيــة أخرى ·

الفصل الثالث

توجهات المعالجة الجغرافية

- تمهيـــد
- حتمية الاقلاع عن المعالجة العتيقة
- توجه المعالجة الجغرافية الجديدة
- توزيع الظاهرة الجغرافية المعنية
- تعليل انتشار أو توزيع الظاهرة الجغرافية المعنية
- تقصى العلاقة والربط بين الظاهرة الجغرافيـة المعنية والظاهرات الأخرى
- المعالجة وتجسيد الرؤية الجغرافية

الفصـــل الثالث

توجهات المعالجة الجغرافية

على امتداد كل المراحل السابقة ، لظهور أو لنشـــأة علم الجغرافيـــة الحديثة ، وحسن بيان وتجسيد ووضوح رؤية الهـــدف الجغرافى العلمى وتطلعاته لدراسة الأرض لحساب الانسان ودراسة الانسان وحضـوره فى ربوع الأرض ، كانت عناية الاجتهاد الجغرافى عنـــاية سطحية ومتعجلة • وربما كانت هذه العناية عـلى بينة بالرؤية الجغرافية فى المـكان والزمان تماما ، ولكنها كانت عناية قاصرة ومقصرة فى معالجة أو دراسة أبعاد هذه الرؤية الجغرافية تقصيرا شديدا • وقل أن الاجتهاد الجغرافى فى غيبة الاطار العلمى كان موفقا ، وهو يرصـــد المدركات الجغرافيـــة الحسية فى المـكان والزمان ، فلا تغيب عنه أبدا ، ولا يهمل فى مطالعتها • ومع ذلك فقـــد استوعب هذا الاجتهاد الجغرافى وعالج هذه المدركات الجغرافية الحسية ، فى اطار فكر هلامى وتأمل غير ملتزم باطار محدد ، معـــالجة هزيلة وسطحية تماما ، حتى وهو يدرك حقيقة العلاقة بين الانســـان والأرض ، فى المـكان والزمان فلا هو ينكرها ولا هو يتنكر لها أبدا •

حتمية الاقلاع عن المعالجة العتيقة :

وكانت هذه المعـــالجة العتيقة ، التى تأتت فى غيبة علم الجغرافية ، معالجة لا تعتنى بشىء قدر عنايتها **بالوصف الجغرافى** فقط • ويقف هـــذا الوصف ، وهو مخلوط بالشوائب غير الجغرافية ، أو وهـــو قد تخلص من هذه الشوائب ، عند حد معلوم ، لم يكن فى وســـعه أن يتجاوزه أبدا •. ويصور هـــذا الوصف أو يعبر عن الرؤية الجغرافية ، أو يجســد المنظور الجغرافى ، وهـــو يطالع الواقع الجغرافى جملة وتفصـــيلا ، على صـــعيد المساحة المعنية • ولقد تعود الاجتهاد الجغرافى غير الملتزم بأى قيود أو بأى ضوابط ، أو بأى قواعد علمية ، على عدم الانضباط فى الوصف الجغرافى • وكم جاء هذا الوصف الجغرافى وهو مخلوط بالشوائب التى تضر بحسن البيان والعرض فى كثير من الأحيـــان ، ولا تكاد تفيد الانجـــاز الجغرافى الوصفى فى شىء • وكم كانت هـــذه الشوائب ، وهى عالقـــة بالوصف الجغرافى ، لكى تكدر صفو الوضوح الجغرافى ، أو لكى تعتم على حسن بيان الوصف الصحيح ، فى الانجاز الجغرافى •

ومع مرور الوقت من عصر الى عصر آخر ، وتقدم الخطوات المتانية ، على درب التعامل مع المدركات الجغرافيــة الحسية فى المكان والزمان ، أحس الاجتهاد الجغرافى بهذا التعتيم على المنظور الجغرافى • كمــا استشعر ماذا تفعل الشوائب ومعنى انعدام وضــوح الرؤية الجغرافية ، وهى تعــاين المدركات الجغرافية الحسية • وأقدم الاجتهاد الجغرافى بحذر شديد وتحفظ أشد ، على تطهير الوصف الجغرافى ، وتنقيته من بعض الشــوائب ، التى كانت تكدر صفو الوضوح الجغرافى •

وبداية هذا التوجه الحميد ، لا يعنى تطهير الوصف الجغرافى تماما فى يوم وليلة • بل لقد بدأ بداية بطيئة جدا ، حفلت بالتحفظ أحيانا كثيرة • واستمر هذا التوجه الحميــد على المدى الطويل ، وهو يسعى الى انقاص معدلات الخلط ، بين ما يهم المعرفة الجغرافية ويجب المحافظة عليه ، وما لا يهم هذه المعرفة وينبغى التخلص منه • وفى غيبة العلم واطاره المحكم وضوابطه، خضع أمر هذه التنقية ، والكف عن الحشو الذى يضيف كثيرا من الشوائب الى الوصف الجغرافى ، لاختيار الاجتهاد الجغرافى وتقديره ، وحسن عرض أو تصوير الوصف الجغرافى •

ومع هذا التفاوت فى التقــدير وفى الاختيار ، تفاوتت الكتابة فى الوصف الجغرافى تفاوتا كبــيرا • وكانت بعض كتابات الوصف الجغرافى أكثر وضوحا من كتابات وصــفية أخرى ، فى غيبة علم الجغرافية • وفى غيبة المقاييس العلميــة ، ينبغى أن نتوقع هــذا التفــاوت ، فى اطار حسن النية التى يمكن أن يتذرع بها صاحب كل كتابة فى الجغرافية الوصفية • ومع ذلك فيجب أن نقر باستمرار هذا التوجه الحميد • وكان وكأن ليس لهذا التوجه الحميد هدف حقيقى ، أهم وأجدى من وضوح الرؤية الجغرافية، وحسن التوصيف الجغرافى ، على صــعيد المســاحة المعنية ، فى المكان والزمان •

ولقد تأتت آخر خطوة من خطوات هــذا التوجه الحميد ، الى تطهير وتنقيــة الوصف الجغرافى ، فى وقت متأخر جدا ، يرجــع الى القرن الثامن عشر الميلادى • وتمثلت هذه الخطوة الأخيرة ، فى الفصــل أو العزل بين الوصف الجغرافى فى جانب ، والسرد التــاريخى فى جانب آخر • وبارك الفكر الجغرافى هذا الفصل • وانتهى هذا الخلط الذى برر عدم القدرة على التميز ، بين الجغرافى والمؤرخ ، على المدى الطـويل • وأصبح هــذا التمييز بينهما أمرا سهلا وميسورا • بل قل أصبح الوصف الجغرافى نقيا الى حــد بعيد •

وكان هذا الفصل وهو شكل من أشكال التطهير ، وتنقيـة الوصف الجغرافى ضروريا فى هذه المرحلة ، التى كانت تبشر بمولد علم الجغرافية . وقل أن وجه الضرورة كان جادا ، حتى يتسنى صياغة الاطار العلمى ، الذى اصطنع من التفكير الجغرافى الحديث علما ، أو الذى أنهى شكله الهلامى . بل قل لقد وضع هذا الاجتهاد الجغرافى حـدا لهـذا الانزلاق فى خطيئة الخلط ، الذى سواء كان بحسن نية أو كان بسوء نية ، قد شوه دائمـا الوصف الجغرافى ، أو عتم على قدر كبير من صدق التعبير ووضـوحه فى المنظور الجغرافى .

وأفلح الاجتهاد الجغرافى العلمى الذى تلمس الوضوح الجغرافى ، فى هذا التطهير . وقل أنه أفلح فى صياغة أسلوب عناية جديدة أفضل ، كفات الصدق والوضوح ، والاهتمام بالرؤية الجغرافية وحسن تمحيصها . وأخرج هذا الأسلوب الذى كشف عن الوصف الجغرافى غشـاوة الخلط ، البحث الجغرافى العلمى ، وفى اطار الالتزام بالهدف الجغرافى ، من جمود الوصف الجغرافى ومن تعبيره السطحى الجامد . وكان ذلك وكأنه نقطة البداية فى التوجه الجغرافى العلمى ، فى الاتجاه الصحيح ، الى معالجة المدركات الجغرافية الحسية معالجة جغرافية علمية أنسب .

توجه المعالجة الجغرافية الجديدة :

واخراج العمل الجغرافى من جمـود الوصف الجغرافى ، أنهى قضـية العناية الجغرافية بالتوصيف المجرد . بل قل انتهى تصوير الرؤية الجغرافية والتعبير عنها تعبيرا سطحيا وجامدا . وهذا فى حد ذاته أهم الدواعى التى الزمت الاجتهاد الجغرافى العلمى ، بالبحث عن أبعاد جـديدة أو أسلوب عمل جغرافى أفضل ، من أجل :

(أ) حسن عرض الرؤية الجغرافية ، واجادة التعبـير العلمى الجغرافى الصادق عنها .

(ب) تعميق وحسن اسـتيعاب وتفهم الرؤية التى تستوعب المنظور الجغرافى الواضح ، فى صعيد المساحة المعنية .

وهذا من غير شك توجه هادف الى الانجاز الجغرافى الأفضـل . ولم يكن هذا التوجه الهادف ، يعنى أهم من التمعن الجيد ، فى مكونات أو فى نسيج الرؤية الجغرافية . كما يعنى الاقدام على معالجة جغرافيـة ، تتجاوز الوصف الجغرافى الى آفاق جديدة من خـلال المهـارة الجغرافية فى الحـل والتركيب . ولقد جاوب البحث الجغرافى هذه العناية ، التى كشفت النقاب

عن ارادة أو عن تطلع هـــذا التوجه الجغرافى الجيد ، الى الاضـــافة أو الى التجديد .

وقل أن هذه العناية الجغرافية ، فى ثوبها الجـديد ، هى التى أعلنت عن جوهر أو لب ، أو عن حقيقة الهدف الجغرافى ، الذى تبناه علم الجغرافية وعمل من أجله ، لحســاب الفكر الجغرافي الحديث . وسـواء كان البحث الجغرافى من أجل دراسة الظاهرة الجغرافية الطبيعية متفردة ، أو وهى فى اطار الرؤية الجغرافية للواقع الطبيعى ، أو كان البحث الجغرافى ، من أجل دراسة الظــاهرة الجغرافيـــة البشرية متفردة ، أو وهى فى اطار الرؤية الجغرافية للواقع البشرى ، أو كأن البحث الجغرافى أعم وأشمل ، من أجل دراسة جغرافية شاملة تجمع بين رؤية الواقــع الطبيعى على وجه ، ورؤية الواقع البشرى على الوجه الآخر ، التزم الاجتهاد الجغرافى العلمى ، التزاما جادا ، بتمحيص وتأمل وعناية جغرافية جديدة . وكان حقا عليها أن تتفتح وتتنور ، حتى تتجاوز حـدود الوصف الجغرافى ، مهمـــا كان معبرا عن الصدق والموضوعية ، الى أبعاد جديدة تحدث البحث وتنعشه ، حتى يخوض الاجتهاد الجغرافى فى أعمـــاق جغرافية جـــديدة ، تجاوب الهدف الجغرافى وتطاوع تطلعاته .

وارتكز هذا التجاوز الذى أخرج البحث الجغرافى من الوصف الجامد المجرد ، على ثلاثة أبعاد هامة . بل قل أنها أبعاد جوهرية أو أساسية من وجهة النظر الجغرافية . وتقود هذه الأبعـــاد الأساسية مسيرة المعالجة أو الدراسة أو البحث ، أو قل هذا التوجه الجـــديد ، فى الاتجـاه الجغرافى الصحيح . بل قل أنها هى التى توجـــه البحث الجغرافى ، فى الوجهـــة الموضوعية التى تجنب الباحث جمود الوصف . ثم هى التى تحمله عـــلى متابعة الدراسة ، على نحو جديد ، يجاوب الهدف الجغرافى . ثم هو الذى يفضى — فى نهاية الأمر — الى تعميق الرؤية الجغرافية ، على كل المستويات ، حتى تنجز أو تقدم شيئا مفيدا ، لحساب الهدف الجغرافى العلمى .

وتمثلت هذه الأبعاد الأساسية ، التى أسفرت عن دراسات جغرافية جادة ، ذات معنى ومغزى ، أو أســـفرت عن بحوث جغرافيـــة جيدة ، ذات مضمون ، فى :

أولا — توزيع الظاهرة الجغرافية المعنية :

وتوزيع الظاهرة الجغرافية المعنية ، سواء كانت هذه الظاهرة طبيعية أو بشرية ، يعنى بالضرورة ، توزيعا أفقيا فى ربوع المكان . ويسجل هذا التوزيع الأفقى ، متابعة الباحث الجغرافى ، وهو يتابع هذه الظاهرة المعنية ،

على صعيد المساحة المعنية • بل قل أن هـذا التوزيع الذى تنتهى اليـه أو الذى تسفر عنه المتابعة الجغرافية أو الرصد الجغرافى الدقيق ، يجسد مبلغ انتشار الظاهرة الجغرافية انتشارا واقعيـا ، فى ربوع وأنحـاء المساحـة المعنية •

ويكون الوصف الجغرافى هو الوسيلة التى تعبر عن هـذا التوزيع الجغرافى • وقل يمضى هـذا التوصيف الذى يجب أن يتحلى بكل الـدقة والصدق ، لكى يعبر عن هذا التوزيع ، أو يبين ملامح الانتشار على امتداد المستوى الأفقى ، فى المكان والزمان • وينبغى أن يتجنب حشد هذا الوصف الجغرافى الدقيق ، الذى يعبر عن اتجاهات التوزيع الأفقى للظاهرة الجغرافية المعنية ، ما يلى :

أ - الخلط الذى يشوه وتضيع فى زحمته الموضوعية الجغرافية البينة•

ب - المبالغة التى تفتـح أبواب الادعاء والـكذب والبحث عن دواعى الاثارة •

جـ - كل دواعى أو موجبات التشويه ، أو التعتيم التى تغطى عـلى الصدق والوضوح والموضوعية الجغرافية •

ومن أجل وضوح الرؤية الجغرافية ، كما ينبغى أن يعبر عنها الوصف الجغرافى ، الذى يتعقب توزيع الظاهرة الجغرافية المعنية ، على صعيد المساحة من الأرض ، ومن أجل حسن البيان والكتابة والتعبير بالكلام عن صـور التوصيف الجغرافى ، الذى يتابع انتشار الظاهرة الجغرافيـة المعنية ، فى المكان والزمان ، يوظف الاجتهاد الجغرافى العلمى الخريطة الجغرافية • ويثبت الاجتهاد الجغرافى من خلال الخبرة أو المهارة المتخصصة ، فى اعداد الخرائط هذا التوزيع على خريطة المسـاحة المعنية • كمـا يستخدم الرسم البيانى ، استخداما جيدا ، لكى يشارك هذا الرسم فى وضوح وبيـان هذا التوزيع الجغرافى ، على صعيد المساحة المعنية •

وهناك أساليب فنية ومهارات متنوعة ، أجاد الاجتهاد الجغرافى العلمى ابداعها ، أو ابتكارها ، وحسن توظيفهـا ، لحساب الوضوح ، فى هـذا التوزيع الجغرافى • وقد أجاد بموجب حسن استخدام هـذه الوسـائل والأساليب ، حسن البيان والتعبير الوصفى ، وهـو الذى ينطق بالصـدق الموضوعى الهادف ، عن توزيع الظـاهرة الجغرافية المعنيـة ، فى المـكان والزمان • هذا ، وينبغى أن تكون فى صحبة أو فى معية هـذه الأسـاليب

كلها ، العين الجغرافية التى تعاين وترقب عن كثب ، أو التى تشاهد وترى عن قرب ، هذا التوزيع الجغرافى • بل قل ينبغى أن تكون هـــذه العين الجغرافية واعية وحساسه وماهرة ومدققة •

ويوظف الاجتهاد الجغرافى الرحلة الجغرافية ، التى قلنا أنها باتت ، فى اطار العمل الجغرافى ، متخصصة فى الهدف وفى القيادة • وأصبحت الرحلة الجغرافيـــة ، وكأنها العين الجغرافيـــة المبصرة • وتخرج الرحلة الى الميدان أو الى الحقل ، وهى العين التى لا تغفل عن معاينة المنظور الجغرافى ، فى المكان والزمان • وتتجول الرحلة الجغرافية فى ربوع المساحة المعنية ، وهى تتابع التوزيع ، وتتعقب الانتشار ، على المستوى الأفقى • وقل أنهـا لا تخذل الباحث الجغرافى أبدا ، فى أداء المهمة الجغرافية ، وهـو يتحسس هذا التوزيع الجغرافى • بل قل أنها هى التى تجاوب على كل استفسار عن هذا التوزيع الجغرافى ، على صعيد المساحة المعنية •

ويبـــدو أن الباحث الجغرافى يعرف جيـــدا ، كيف يستثمر الرحلة الجغرافية ، على صعيد المساحة المعنية • ويصبح الباحث الجغرافى بنـاء على المعاينة أو المشاهدة ، أو المتابعة ، وهو يتعقب أحـوال الظاهرة الجغرافيـــة المعنية ، فى حاجة ملحة لمعرفة الكيفية التى يتأتى بموجبها هذا التوزيع ، أو هذا الانتشار على المستوى الأفقى ، فى ربوع الميدان • وان شئت قل أنه يعتمد فى حسن الاجابة ، عن السؤال الذى يقول : كيف يتأتى هذا التوزيع على المستوى الأفقى ؟ على هذه المعاينة • ومن ثم يضمن أفضل وصف ، وهو يعبر عن هـــذا النوزيع الجغرافى ، للظاهرة الجغرافيـــة المعنية ، فى ربوع المكان والزمان • بل قل أن الباحث الجغرافى لا يعود من الرحلة الجغرافيـــة الا بعد أن يتزود برؤية جيـــدة ، تجسد له أبعـــاد المنظور الجغرافى فى الميدان ، تجسيدا واضحا •

ولا بداية فى دراســـة الظاهرة الجغرافية المعنيـــة ، الطبيعية ، أو البشرية ، على أى مستوى وفى أى ميدان ، من غير الاحاطة بهـــذا التوزيع الجغرافى ، الذى يعبر عنه الوصف الجغرافى تارة ، أو الذى تصوره الخريطة الجغرافية تارة أخرى • وهذا معناه أنه لا اعتراض عـلى الوصف الجغرافى أبدا ، ولكن يشترط أن يكون هذا الوصف صادقا بكل المقاييس ، ومنزها عن الخلط أو التعتيم • واذا كان هناك اعتراض حقيقى يتبناه عام الجغرافية ، فانه يتمثل فى التوقف فى الدراسة الجغرافية ، عند حد الوصف الجغرافى للظاهرة الجغرافية المعنية •

ولا يعنى التوقف عند حد الوصف الجغرافى شيئا ، غير الجمود . كما يعنى امتناع العمل الجغرافى عن مباشرة مشوار التوجه الصحيح ، الى الهدف الجغرافى الحقيقى ، كما أراد له الفكر الجغرافى الحديث أن يكون . وهذا معناه أن الوصف الجغرافى الذى يعبر عن التوزيع مهم ، ولكنه لا يمثل الا المقدمة ، أو التمهيد من أجل الاقتراب من لب أو جوهر العمل الجغرافى الصحيح . ومن بعد هذه المقدمة يكون الانتقال الى متابعة الظاهرة الجغرافية المعنية ، من خلال الاجابة على السؤال ، الذى يقول « لماذا جاء التوزيع الجغرافى فى المكان والزمان ، على هذا النحو ، الذى يعبر عنه الوصف الجغرافى ؟ » .

ثانيا ـ تعليل توزيع أو انتشار الظاهرة الجغرافية :

متابعة التوزيع العام أو التوزيع الخاص ، وهو الذى يعبر عن مبلغ انتشار الظاهرة الجغرافية الطبيعية أو الذى يعبر عن مبلغ انتشار الظاهرة الجغرافية البشرية ، على المستوى الأفقى ، فى ربوع المساحة المعنية ، يجسد الصورة الجغرافية ، فى المكان والزمان . ورؤية الصورة الجغرافية ، من خلال المعاينة ، ثم من خلال الوصف الجغرافى الجيد ، يعنى أن هذا التوزيع الجغرافى ، يعبر عن هذا المنظور الجغرافى تعبيرا جامدا وصامتا ، لأنه لا ينطق بشىء .

ومن ثم ، قل أن التوزيع الجغرافى وحده ، مهما كان معبرا وصادقا ، لا يكاد يفضى بشىء جوهرى ، يجاوب الهدف الجغرافى . وقل أيضا أنه لا يكاد ينتهى الى نتيجة موضوعية جادة أو مجدية ، لحساب الهدف الجغرافى . ولا شىء يكون فى مصلحة الهدف الجغرافى ، غير انهاء الجمود والتوقف عند حد التوزيع والوصف الجغرافى . ولا شىء ينهى هذا الجمود ، أو يفض هذا التصوير الجغرافى الصامت ، غير المضى قدما ، بحثا عن تفسير مناسب ، أو تحليل مقبول ، يفسر أو يحلل ويعلل ، ثم يبرر هذا التوزيع الجغرافى ، فى ربوع المساحة المعنية ، فى المكان والزمان .

ومثل هذا التفسير يكون وكأن الظاهرة الجغرافية المعنية ، تتحدث عن موجبات انتشارها الأفقى . بمعنى أنها لا تسكت ، بل تقلع عن الجمود والصمت وتتكلم عن مبررات وجودها وانتشارها على المستوى الأفقى . والبحث عن مثل هذا التفسير ، بحث حيوى ، لحساب الهدف الجغرافى . وهو الذى يضع الاحتهاد الجغرافى العلمى فى مواجهة المسئولية عن تحليل وتعليل وتبرير التوزيع الجغرافى ، أو الانتشار ، على المستوى الأفقى . ولا

ينبغي أن يتهرب الاختهـاد الجغرافي العلمي من هـذه المسئولية ، حتى لا يخـل البحث والتوجه السديد ، الى الهدف الجغرافي ·

وقل أن هذا التفسير الجغرافي يستحق الاهتمام والعناية الجغرافية · ويبتنى هذا التفسير بالضرورة على محصلة سعة الاطلاع والاحاطة وحسن استيعاب نتائج العلوم الانسـانية ، لتعليل أو لتحليل انتشـار الظاهرة الجغرافية البشرية المعنية · ويبتنى هذا التفسير أحيانا أخرى ، على محصلة سعة الاطلاع والاحاطة وحسن استيعاب نتائج العلوم الطبيعية ، لتعليل أو لتحليل انتشار الظاهرة الجغرافية الطبيعية المعنية · ومن خلال هذا التفسير وحسن الوصول اليه ، يعرف الاجتهاد الجغرافي كل شيء ، عن موجبـات هذا الانتشار الأفقى ، وتوزيع الظاهرة الجغرافية المعنية توزيعا أفقيا ، على صعيد المساحة المعنية فى المكان والزمان ·

وتبدو حاجة الباحث الجغرافى الى تقصى الأسـباب والدواعى ، التى تكون من وراء الرؤية أو الصورة الجغرافية غاية فى الأهمية من أجل تعميق البحث · وينبغى أن يجيد الاجتهاد الجغرافى تعقب مسئولية هذه الأسباب عن توزيع الظاهرة الجغرافية المعنية ، فى ربوع الأرض أو المساحة المعنية · ومن ثم لا يجوز اهمال هذا التفسير الجغرافى ، أو التهاون فى حسن عرضه جغرافيا أو التفريط فيه · بل قل يتحمل الباحث الجغرافى مسئولية العثور على القاعدة العلميـة ، التى تضبط التـوزيع الجغرافى ، أو التى ينضبط بموجبها الانتشار على المستوى الأفقى · كمـا يتحمـل الباحث الجغرافى أيضا ، مسئولية تفسير الاستثناء ، ومظاهر الشـذوذ فى هـذا التوزيع الجغرافى ، على صعيد المساحة المعنية ·

وفضلا عن حشد الأسباب الوجيهة ، واضافة الى حسن بيان المبررات والدواعى ، التى تفسر التوزيع الجغرافى وتعلل الانتشار العام ، ومواضـع الشذوذ ، عـلى المستوى الأفقى ، يوظف الباحث الجغرافى مهـاراته فى التحليل ، توظيفا مناسبا من أجل تعميق هذا التحليل · وقل انه يكون فى حاجة لبيان مبلغ انضباط التوزيع مـع القاعدة ، أو مبلغ الخروج عن هـذه القاعدة الجغرافية · بل قل أنه ينبغى أن يتحرى الصدق والتدقيق وسلامة التعليل ، بكل ما أوتى من حسن البيان والمهارة فى توظيف نتائج العلوم الطبيعية أو البشرية ، فى حسن صياغة هـذا التعليل الجغرافى ، أو فى حسن بيان وتعبير التفسير العامى الجغرافى ·

وينبغى أن تجيد الخبرة الجغرافية المهارات التى تبتنى عليهـا القواعد

الجغرافية العامة ، للتوزيع الجغرافى • كما ينبغى أن تملك الخبرة الجغرافية القدرة ، على استشعار فعل العوامل الطبيعية أو العوامل البشرية ، وهى تفسر التـــوزيع الجغرافى ، أو وهى تحلل الرؤية الجغرافيـــة • بمعنى أن يحسن الاجتهـــاد الجغرافى ، أو أن يتقن حسن استشعار مسئولية بعض نتائج العلوم الطبيعبة أو بعض نتـــائج العلوم الانسانية ، التى تصـطنع القواعد الجغرافية الحاكمة للتوزيع فى اطار الرؤية الجغرافيـة ، فى المـكان والزمان • وفى وسع الخبرة الجغرافية ، أن تمتلك الرصيد المناسب من هذه النتائج العلمية البحتة لكى تسعف التفســير الجغرافى ، وحسن بيـانه • ويكرس الاجتهاد الجغرافى كل ما فى الجعبة من رصيد مناسب ، اضافة الى كل المهارات التى يتحلى بها ، وهو فى رحلة الدراســة الجغرافية الميدانيـة من أجل :

(أ) استشعار أو ادراك فعل العوامل الطبيعية أو العوامل البشرية ، ومبلغ تأثيرها على صيغة القواعد الجغرافية الحاكمـــة للتوزيع ، فى المساحة المعنية •

(ب) استشعار أو ادراك الكيفية التى تتداخـــل بموجبهـــا دواعى التوزيع والانتشار ، على صعيد المســاحة المعنية ، لـكى يتأتى التوزيــع الجغرافى ، ويبدو كما ترصده العين الجغرافية الواعية •

وهذا معناه أن يعرف الباحث الجغرافى ، وهـــو فى رحلة الدراســة الجغرافية الميدانية ، كيف يعاين التوزيع الجغرافى ، وكأنه يقرأ فى كتــاب مفتوح • وقل لا ينبغى أن يعود من هذه الرحلة الجغرافية ، الا وقد أمسك بزمام التفسير الجغرافى • وان شئت قل أن هـذا هو فقط السبيل الذى يعتمد عليه حسن التفسير الجغرافى • بل قل أنه هـو الذى يسدد حسن الاجابة عن الاستفسارات ، التى تســأل عن دواعى أو موجبـات التوزيع الجغرافى ، فى المساحة المعنية •

وانجاز هذا التفسير الجغرافى للتوزيع ، الذى يبتنى أصلا على تحليل الرؤية الجغرافية لانتشار الظاهرة الجغرافية المعنية ، يمثل خطوة مناسبة . فى اتجاه البحث نحو الهدف الجغرافى • وقل أن هـــذه الخطوة التى تنهى مهمة الاجتهاد الجغرافى ، والتزامه بالبحث عن التفسير الجغرافى ، تضعه فى الوضع الصحيح أو الاتجاه الصحيح • ذلك أنه لا يتوقف عند هذا التفسير الجغرافى ، لكى تكون النهاية التى ينتهى اليهـا البحث الجغرافى • بل قل ينبغى أن يبدأ الاقدام الجغرافى على اتمام المسيرة ، اتماما يحقق أو يجـاوب

الهدف الجغرافى ، أو اتماما يكتمل بموجبه البحث الجغرافى • وخطوة ثالثة يلتزم بها هذا الاقدام الجغرافى ، تكون ضرورية ، من أجل الوصول الى كل ما ينبغى ، أن يجاوب الهدف الجغرافى •

وتبتنى هذه الخطوة الثالثة ، على أساس أن الظاهرة الجغرافية المعنية ، التى يعكف الباحث الجغرافى على رصد وتسجيل توزيعها على المستوى الأفقى ، ثم يعكف على تفسير هذا التوزيع أو الانتشار ، ليست هى الظاهرة الجغرافية الوحيدة ، على صعيد المساحة المعنية • وقل أنه ليس فى وسع الباحث الجغرافى أن يعزل هذه الظاهرة عزلا قاطعا الصلة بينها وبين الظاهرات الجغرافية الأخرى • بل قل وكيف يتسنى هذا العزل والظاهرة الجغرافية المعنية متداخلة فى منظومة منسقة ومنسجمة ، فى اطار المنظور الجغرافى العام ، على صعيد المساحة المعنية ؟ ومن ثم يستوجب البحث الجغرافى الاقدام الجغرافى على الخطوة الثالثة • وفى هذه الخطوة الثالثة ، تكون الاجابة عن الاستفسار الذى يسأل عن العلاقة بين الظاهرة الجغرافية المعنية ، وكل الظاهرات الجغرافية الأخرى ، فى منظومة الرؤية أو المنظور الجغرافى على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان •

ثالثا ـ تقصى العلاقة والربط بين الظاهرة المعنية والظاهرات الأخرى :

تقصى حقيقة العلاقة بين الظاهرة الجغرافية المعنية من ناحية والظاهرات الجغرافية الأخرى فى المنظور الجغرافى من ناحية أخرى ، يكون هو الشغل الشاغل الذى يهم الباحث الجغرافى • ويجسد هذا الاهتمام الجغرافى معانى الربط الايجابى أحيانا ، أو السلبى أحيانا أخرى ، فى اطار المنظومة التى تجمع بين كل المكونات الجغرافية ، لصورة المنظور الجغرافى ، على صعيد المساحة المعنية • وبناء على هذا الربط وتقصى العلاقات فى المكان والزمان ، يتوجه البحث الجغرافى توجها سديدا ، الى ما يبتغيه ويتطلع اليه الهدف الجغرافى ، فى نهاية المطاف •

وفى هذه المرحلة الحاسمة ، التى تفضى الى الهدف الجغرافى ، يتلمس الاجتهاد الجغرافى ، دواعى العلاقة • وكيف تؤدى الى شكل بديع من أشكال الربط بين الظاهرات الجغرافية الطبيعية والبشرية ، على صعيد المساحة المعنية • كما يلتمس الاجتهاد الجغرافى نتائج هذا الربط وفعل العلاقات ، فى اطار الرؤية الجغرافية الشاملة ، للواقع الجغرافى الكلى السائد ، فى المكان والزمان • وهذا الربط سواء كان ايجابيا ، أو كان سلبيا ، هو الذى يجمع الأجزاء وينسق فيما بينها ، ويؤلف من الظاهرة الجغرافية

المعنية مع سائر الظاهرات الجغرافية الطبيعية والبشرية الأخرى ، الصورة في المنظور الجغرافي . وقل أنه هو الذى يبتنى ذلك الترابط بين الأجزاء لكى يتكامل الواقع الجغرافي الكلى المتكامل ، فى الرؤية الجغرافية ، على صعيد أو فى ربوع المساحة المعنية .

ويهيىء هذا الربط والوقوف على موجبات العلاقة أو العلاقات ، الحكم الجغرافى السديد ، على الكيفية التى تتداخل بهـا الظاهرات الجغرافية الطبيعية والبشرية ، تداخلا منضبطا ، فى صلب توليفة المنظور الجغرافى ، وفضلا على ذلك كله ، يهيىء هذا الربط وتقصى العلاقات الفرصة ، التى يضع فيها يد الاجتهاد الجغرافى على :

(أ) الكيفية التى يتأتى بموجبها التأثير المتبادل ، بين الظاهرات الجغرافية الطبيعية والبشرية المتعددة والمتنوعة ، فى المنظور الجغرافى العام على صعيد المساحة المعنية .

(ب) الكيفية التى يتأتى بها التغيير الذى ينال من ظاهرة جغرافية معينة ، حتى تتوالى المتغيرات وتتمثل ردود فعلها المباشر وغير المباشر ، فى مجموعة العلاقات فى منظومة الربط الشامل ، وتكوين المنظور الجغرافى العام المتغير ، من عصر الى عصر آخر استجابة لفعل المتغيرات .

ومن خلال هـذا الربط ، يجنى البحث الجغرافى ثمرات العلاقات الجغرافية ، بين مكونات المنظور الجغرافى . ويتوصـل البـاحث الجغرافى بالضرورة من خلال هذه العـلاقات الجغرافية ، الى أهم القواعد الجغرافية العلمية الحاكمة ، أو التى يستجيب لهـا توزيع وتفسير انتشار الظاهرة الجغرافية المعنية ، فى المكان والزمان . كما يتوصل الباحث الجغرافى أيضا الى ادراك واستيعاب فعل المتغيرات ، التى تتغير بموجبها دواعى وموجبات هذا التوزيع الجغرافى ، على صعيد المساحة المعنية ، من عصر الى عصر آخر .

وهذا ، فى حد ذاته توصل جغرافى مهم ، لا ينبغى اهماله أو التفريط فيه . وهو يضيف نتيجة حاسمة جغرافيا . بل قل أنهـا نتيجة مجدية لحساب الهدف الجغرافى . ومن يجيد هذا الربط ، ويحسب حساب العلاقات يكون فى وسعه ، أن يطالع على صفحة الأرض فى المكان والزمان ، ويتعقب ظاهرة جغرافية معنية ، يبدأ من عندها وعلى أساس توزيعها ، تصـور جغرافى بديع . ويكشف هذا التصور الجغرافى البديع عن أبعاد الواقع الجغرافى المتغير فى المكان والزمان ، وكأن الجغرافى يقرأ فى كتاب مفتوح .

وفضلا عن رصد هذه العلاقات ، التى تصور التداخل بين الظاهرات الجغرافية الطبيعية والبشرية ، ويبدو وكأنه اختلاط كما تختلط الألوان ، فى الصورة الزيتية ، يتبين الباحث الجغرافى ، مبلغ لزوم أو توقع هذا التداخل وتأثيره المتبادل ، ومبلغ انضباطه ، فى المنظور الجغرافى الكلى . وهنا يكون التحلى بالمهارة الجغرافية فى الدراسة التحليلية ، مطلوبا حتى يتسنى للباحث الجغرافى أن يتعقب هذه العلاقات ، وأن يتبين نتائجها ، فى الرؤية الجغرافية الكلية ، على صعيد المساحة المعنية .

وقل أن الوصول من خلال التحليل والربط الى جوهر أو الى كنه هذه العلاقات الجغرافية ، يرسخ أحيانا ، أو يبتنى أحيانا أخرى بعض القوانين الجغرافية . ولا تكاد تضل هذه القوانين الجغرافية . بل انها لا تكذب ولا تضلل الباحث الجغرافى أو تخذله ، وهو يتوجه نحو الهدف الجغرافى . ومن ثم يرى الباحث الجغرافى فى هذه القوانين الجغرافية ، شيئا مهما يستحق العناية . وتتخذ هذه القوانين فى تقديره الجغرافى :

(أ) صفة الضوابط الحاكمة لوجود ، أو لتوزيع ، أو لانتشار الظاهرة الجغرافية المعنية ، فى المكان والزمان .

(ب) صفة البيان الصريح الكاشف ، عن التأثير المتبادل أو عن الضبط والانضباط المتبادل ، بين الظاهرات الجغرافية الطبيعية والبشرية ، فى المكان والزمان .

المعالجة وتجسيد الرؤية الجغرافية :

هذا ، ومن خلال **التوزيع ، والتعليل ، والربط** ، يعلن الاجتهاد الجغرافى العلمى عن المهارة ، فى كل مجال من مجالات ، تناول أو معالجة ، أو دراسة وتقصى حقيقة الظاهرة الجغرافية المعنية ، أو حقيقة الموضوع الجغرافى المعنى . وقل أن التوزيع والتعليل والربط على التوالى ، هو الذى يصطنع الأبعاد التى تحتوى رؤية ، الظاهرة الجغرافية أو الموضوع الجغرافى ، حتى تلقى عليه الأضواء من كل جانب ، وتكفل غاية ما يرنو اليه الوضوح الجغرافى . وهذا الاحتواء هو الذى يثرى البحث الجغرافى بصفة عامة . وهو الذى يعمق أهم المفاهيم الجغرافية . وهو الذى يجمع أوصال المدركات الجغرافية ، التى تتداخل حتى يتحقق حسن التصوير ، ووضوح التعبير ، وعمق البيان الجغرافى الصريح ، فى المكان والزمان .

وبناء على هذا الأسلوب ، ينساب العرض الجغرافى انسيابا علميا

منضبطا • ويتقن الاجتهاد الجغرافى بهذا الأسلوب ، آداء المهام المنوطة به فى البحث الجغرافى ، وصـولا الى جوهر الحقيقـة الجغرافية العلميـة فعلا ، لحساب الهدف الجغرافى • وهـذا هو الاعـلان الصريح عن حسن توظيف مهارات الاجتهاد الجغرافى العلمى ، استجابة لمنطق ولفلسفات الفكر الجغرافى الحديث • ويكون حسن التوظيف لحساب العمل الجغرافى على مستويين هما:

(أ) التحليل الذى يجيد تفكيك أوصـال **الرؤية الجغرافية** ، حتى يتعرف على مكوناتها ، وعلى تداخل هذه المكونات فى نسيجها أو فى تركيبها الهيكلى الجغرافى •

(ب) التركيب الذى يجيد جمع ولم شمل أوصـال ومكونات **الرؤية الجغرافية** ، حتى يتعرف على دواعى وموجبات تجميع وصياغة وتنسيق هذه المكونات فى تركيبها الهيكلى الجغرافى ، فى المكان والزمان •

* * *

الفصل الرابع

علم الجغرافية الحديثة وقضايا تحديد المكان والزمان

- تمهيد
- ارتباط المعالجة الجغرافية بالمكان والزمان
- التوجه الجغرافي لتحديد المكان
- العناصر الجغرافية وحبكة الاطار الاقليمي في المكان
- التوجه الجغرافي لتحديد الزمان
- العناصر الجغرافية ومضى التغيير على امتداد البعد الزمني في المكان والزمان

الفصل الرابع

علم الجغرافية الحديثة وقضايا تحديد المكان والزمان

استوجبت المرونة الجغرافية العلمية في تحديد المكان والزمان، انسلاخ العمل الجغرافي من السرد التاريخي . ومن بعد هذا الانسلاخ، الذي أدخل العمل الجغرافي في ثوبه العلمي، أو الذي كشف الغطاء عن أبعاد الاطار العلمي . أو الذي هيأ دواعي وتوجهات صياغة الهدف الجغرافي العلمي، كانت الاجتهادات الجغرافية التي حاورت وجادلت في قضية تحديد المكان والزمان، لحساب العمل الجغرافي . ولم يتناول هذا الجدال خصوصية هذا التحديد فقط، بل قل انه كان جدالا فعالا، اهتم بأبعاد المرونة المطلقة، التي ينبغي أن يتحلى بها هذا التحديد .

ارتباط المعالجة الجغرافية بالمكان والزمان :

توجه البحث الجغرافي وانجازه، كما أراد له الفكر الجغرافي الحديث، أن يكون، وهو أمانة غالية في عنق علم الجغرافية، قد استوجب العناية بالظاهرة الجغرافية أحيانا، أو بالموضوع الجغرافي أحيانا أخرى في المكان، وفي الزمان . وليس من الجغرافية في شيء، أن تجرى الدراسة أو أن يجرى البحث الجغرافي، دون الارتباط بالمكان وبالزمان . والمكان على صعيد الأرض، هو الذي يجسد المسرح الجغرافي . والزمان هو الذي يحدد المدى، الذي تجرى فيه حركة الأحداث على المسرح الجغرافي .

وسواء كانت الظاهرة الجغرافية طبيعية أو بشرية، وسواء كان الموضوع الجغرافي طبيعيا أو بشريا، فلابد من أن تكون الدراسة الجغرافية، في المكان، وفي الزمان . بمعنى أن العناية الجغرافية، لا يمكن أن تتأتى، دون تحديد واضح، يحدد أبعاد المكان والزمان . وقل لا يصلح البحث الجغرافي أبدا، الا في اطار واضح، يصنع أبعاده المكان والزمان . بل قل أن الدراسة الجغرافية، التي تنجز بحثا جغرافيا طبيعيا أو بشريا، لاينبغي أن تتجرد، من تحديد المكان تحديدا قاطعا، وحساب الزمان حسابا صحيحا .

وتحديد المكان القاطع ، يكون على صعيد مساحة من الأرض ٠ وحساب الزمان ، يكون على أساس مرور الوقت ٠ وتحديد المكان ، وحساب الزمان، هما معا اللذان يصطنعان الحبكة ، التى ينبغى أن تحتوى البحث الجغرافى ٠ ويجسد تحديد المكان حبكة الوجود فى المكان ٠ ويجسد حساب الزمان حبكة الوجود ومتغيراته مع مرور الزمان ٠ والتجرد من تحديد المكان ، أو من حساب الزمان ، يعنى انعدام الحبكة ٠ وقد يعنى الخروج على موجبات هذه الحبكة ، وهى التى يحرص عليها التوجه الجغرافى العلمى ، الى الهدف الجغرافى الصحيح ٠

ومن وجهة النظر الجغرافية ، لا يجوز أبدا التجرد من تحديد المكان أو من حساب الزمان ، حتى لا نفتقد مع انعدام الحبكة الجغرافية ، أواصر الصلة أو العلاقات الحميمة ، بين :

(أ) الظاهرة الجغرافية المعنية أو الموضوع الجغرافى ، فى الوضع المناسب على صعيد الأرض ٠

(ب) الأرض ومسرح الحياة وهو يشهد حركة الحياة الإنسانية وفعل المتغيرات التى تتوالى مع حركة الزمان ٠

وقل كيف ولماذا يكون ، أو يجوز هذا التجرد من تحديد المكان ، ومن حساب الزمان ، وهو الذى ينتهك أصول وواقعية وصدق التصنيف الجغرافى العلمى السليم ، للدراسة الجغرافية ، أو لاجراء البحث الجغرافى ؟ بل قل هل يجوز هذا التجرد ، الذى يسقط أو الذى يهمل تحديد المكان وحساب حركة الزمان ؟ وفى الاعتقاد الجغرافى العلمى الصحيح ، أنه أمر غير جائز على الاطلاق ٠ وفى الاعتقاد الجغرافى العلمى أيضا ، أن هذا التجاوز هو الذى يخرج البحث الجغرافى عن الاتجاه الصحيح ، ويفقده صدق الانتماء الى العمل الجغرافى العلمى ٠

التوجه الجغرافى لتحديد المكان :

ولا تكون الدراسة الجغرافية دراسة موضوعية تجاوب الهدف الجغرافى من غير تحديد المكان ٠ وتتبرأ الجغرافية من أى بحث جغرافى ، يجريه الباحث دون تحديد واضح للمكان ٠ وتحديد المكان أمر لازم ولا مفر منه ٠ وهو الذى يحدد أبعاد المساحة المعنية الأنسب ، التى تصنع الاطار ، وتحتوى الدراسة الجغرافية ، سواء توجهت هذه الدراسة الجغرافية الوجهة الطبيعية

أو توجهت الوجهة البشرية • ويمتلك الاجتهـــاد الجغرافى العلمى ، وهـو يجرى البحث الجغرافى ، أو وهو يقدم على انجاز الدراسة الجغرافية ، حـق تحديد المكان والالتزام به •

وبناء على هذا الحق ، يكون التحديد ، لكى يحتوى المساحة المعنية على أضيق نطاق ، أو لكى يحتوى المساحة المعنية على أوسع نطاق • بمعنى أن فى وسع الباحث الجغرافى ، وهو يملك حق الاختيار ، وحق التحديد ، أن يوسع نطاق المساحة المعنية ، لكى تشمل العالم كله ، أو لكى تشمل قارة من القارات • ويكون فى وسع الباحث الجغرافى أيضـــا ، أن يضيق نطاق المساحة المعنية ، لكى تشمل المكان المحدد • وفى جميع الأحوال يجاوب هذا التحديد حاجة وتوجهات البحث الجغرافى ، الى الهدف الجغرافى •

واتساع النطاق الذى يشمل المساحة المعنية ، على صعيد القارة ، أو على الصعيد العالمى ، أمر هين وسهل ومتوقع • ولا يفتعل هذا الاتســـاع مشكلة علمية ، ولا يثير جدلا جغرافيا • وقل أن وضع المساحة المعنية على هذا النحو الواسع الفضفاض ، يحدد المكان بالفعل • بل قل أنه يصطنع الاطار ، الذى يكفل الحبكة ، التى يتأتى بموجبها اجراء البحث الجغرافى • ومع ذلك يكون البحث الجغرافى أو تكون الدراسة الجغرافية ، فى اطار حبكة المكان على هذا المستوى الواســـع الفضفاض ، مثمرة ، ولـكن دون العمق العلمى المناسب • وربما اتخذت مثل هذه الدراسة الجغرافية ، صفة المسح الجغرافى الشامل •

ويجنح هذا المسح الجغرافى — فى الغالب — مع اتساع المساحة الى قدر كبير من التعميم والسطحية • بل قل أنه لا يطلق يد الاجتهاد الجغرافى العلمى على صعيد المساحة المعنية الواسعة الفضفاضة ، من أجل تعميق البحث الجغرافى تعميقا كافيا ، وهو يجاوب الهدف الجغرافى • وقد يغلب على هذا الانجاز الوصف الجغرافى ، ولا تتهيأ الفرصة للتعليل أو للربط • وهـــذا سبب مناسب ، يبرر الطعن فى جدوى البحث الجغرافى ، على مستوى هذا الاتساع الفضفاض فى أحيان كثيرة •

هذا ، ويثير تحديد المكان الجغرافى ، عـــلى صعيد المســـاحة المعنية المحدودة — على كل حال — قضية حيوية وهامة • ويواجه الاجتهاد الجغرافى هذه القضية الحيوية ، بهدوء ومهارة ، وهو يطلب صياغة الاطار الأنسب ، من أجل تحديد أبعاد المساحة المعنية الأفضل • وقل تصبح هـــذه القضية الشغل الشاغل الذى يهم الاجتهاد الجغرافى • بل قل كانت عينه لا تغفل

عن طلب القرار الصحيح ، فى شأن الحبكة الذى يوفرها الاطار الأنسب ، وهو يحدد المساحة المعنية المحدودة • وفى مثل هــذه الحالة ، لا يمكن أن يبــدأ ، أو أن يتأتى الاقدام على اجراء البحث الجغرافى ، قبـل أن يفرغ الاجتهاد الجغرافى العلمى ، من تحديد المكان ، الذى يحتوى المساحة المعنية الأنسب ، ويصطنع من حولها الاطار ، حتى يضمن الباحث حبكة السياق الملتزم ، بالهدف الجغرافى •

ولقد تصدى الاجتهاد الجغرافى لهذه القضية الحيوية ، بالقــدر الذى تستحقه من العناية والاهتمـام ، وتلمس هذا الاجتهــاد الجغرافى ، الذى نالت هذه القضية اهتمامه ، قبل ولادة علم الجغرافية ، البحث عن الكيفية التى يستوعب بها تحديد المكان ، ويجاوب اهتمامات الباحث الجغرافى — اذا جاز هذا التعبير — • وقل دار البحث حول هذه الاستجابة للباحث الجغرافى على مستويين هما :

(أ) المستوى الفضـــفاض حيث يهتم الباحث ويتنـــاول الظاهرة الجغرافية ، فى المساحة المعنية الفضفاضة ، على الصعيد العالمى ، أو عــلى صعيد القارة كلها •

(ب) المستوى المحــــدود ، حيث يهتم البــاحث ويتناول الظاهرة الجغرافية على المساحة المعنية المحدودة ، فى ربوع المكان المحدد •

وأثار هذا التصدى للقضية جدلا جغرافيا بالفعل ، بين زمرة المفكرين الجغرافيين • وربما كان الحوار مفيدا ومثيرا ، ولكنه لم يصل الى قرار • بل ولم يكن فى وسع هذا الجدل ، أن يقضى ، أو أن يفضى الى اصــدار القرار الصحيح ، الحاكم فى هذه القضية • وقل أن هذا الجدل وهو جزء من التفكير الجغرافى ، لا يمكن أن يفض الحوار أو ينهيه الى قرار ، قبـل أن يكون علم الجغرافية فى ثوبه العلمى ، وحتى تكون كل قواعده العلميـة الأساسية ، التى يبتنى عليها ، مثل هذا القرار •

وتبقى هذه القضية المثيرة ، ويستمر الجــدل الجغرافى المثير ، عــلى مستوى حيوية وأهمية ، ما ينبغى أن يبتنى عليه اصدار القرار القاطع • فى شأن تحديد المكان ، فى الاطار المحدود • وقل أن حيوية وأهمية هــذه القضية ، لا تتمثل فقط ، فى تقصى القـــواعد والأسس ، التى يتأسس عليها ، قرار تحديد المكان المحدود ، بل ان جوهر هـــذه القضية ، يكمن — قبل أى شىء آخر — فى ضرورة تجاوز مسألة المرونة ، التى يتحلى بهــا

الاجتهاد الجغرافى ، ويمارسها بالفعل ، وهو ينتقل بحرية ودون اعتراض من الرؤية الجغرافية فى المكان المحدد ، الى الرؤية الجغرافية الكلية الشاملة فى كل مكان ، لكى يعالج الجغرافى ، أو لكى يتناول ويتدارس الظاهرة الجغرافية المعنية .

وضرورة التجاوز عن منطق هذه المرونة ، دون التفريط فى هذا المنطق السليم ، كان هو وحده الذى يتلمس ويضع المقدمات المناسبة ، لحسم قضية تحديد المكان ، وصياغة الاطار الأنسب للمساحة المعنية . وفى الاعتقاد الجغرافى العلمى بعد نشأة علم الجغرافية الحديثة ، تجلى أنه لا محل للجدل المثير ، حول قضية تحديد المكان ، أو التخوف من تعارض هذا التحديد مع المرونة وحرية الانتقال فى البحث الجغرافى ، الذى يتجاوز هذه الحدود .

ورأى الاجتهاد الجغرافى العلمى ، أن لا وجه أبدا للتناقض أو التعارض العلمى الجغرافى ، بين التحلى بالمرونة بكل ما ينطوى عليه هذا التحلى من معانى ، وما يستوجبه من أداء ، وما يفضى اليه من نتائج جغرافية مفيدة وضرورية فى جانب ، وهذا التحديد الأنسب للمكان ، وموجباته المنطقية وصياغة الاطار الذى يحتوى المساحة المعنية فى جانب آخر . بمعنى أنه قد تبين للاجتهاد الجغرافى العلمى ، أنه لا تثريب أبدا على حسن توظيف هذه المرونة ، رغم تحديد حبكة المكان ، لكى ينتقل الباحث انتقالا منطقيا وضروريا ، وهو يتناول أو وهو يتدارس الظاهرة الجغرافية المعنية ، على مستوى حبكة المكان المحدود ، الى تناول ودراسة نفس هذه الظاهرة ، على مستوى حبكة المكان الأكثر اتساعا .

ولقد أفضى الاجتهاد الجغرافى العلمى الذى تصدى بمهارة اعتبارا من النصف الثانى من القرن التاسع عشر لقضية تحديد المكان ، وصياغة الحبكة الجغرافية على المستويات المتفاوتة ، الى تجسيد فكرة الاقليمية . بل قل وضعها هذا الاجتهاد الجغرافى ، فى شكلها العلمى القاطع ، الذى لا يجوز الطعن فيه . ويبدو وكأن هذا الحسم ، قد استلهم فكرة الاقليم من العودة الى ، والاطلاع على ، التراث الجغرافى العريق فى مراحل تاريخية سابقة .

وصحيح أن كتابات بعض المفكرين الجغرافيين ، وفى مقدمتهم بطليموس الجغرافى الاسكندرانى ، قد ذكرت الاقليم صراحة ، فى الكتابة الجغرافية ، وفى رسم الخريطة الجغرافية . وصحيح أن هناك محاولات فى التقسيم الاقليمى ، قد أقدم عليها بعض المفكرين ، ومنهم الادريسى

الجغرافى العربى • وصحيح أن هذه المحاولات قد برهنت على مبلغ الاستجابة للتوجه الجغرافى الفكرى آنذاك ، الى تغطية العالم كله مرة ، ثم عبرت عن مبلغ التحلى بالمرونة فى الانتقال • من الرؤية الجغرافية المحدودة والمحددة فى المكان ، الى الرؤية الجغرافية الموسعة فى كل مكان ، مرة أخرى • ولكن الصحيح بعد ذلك كله أن هذه المحاولات التى ذكرت فكرة الاقاليم ومارست التقسيم الاقليمى ، قد سارت على درب خاص ، غير الدرب الذى يمضى فيه التوجه الجغرافى العلمى الحديث ، الى تصور ، ثم الى تجسيد فكرة الاقليم والاعتماد عليها(١٤) •

العناصر الجغرافية وحبكة الاطار الاقليمى فى المكان :

بداية من انجـــازات كارل ريتر ، تبنى الاجتهـــاد الجغرافى العلمى العناية بفكرة الاقليم ، والتقسيم الاقليمى • وابتنى تجسيد فكرة الاقليم ، على ما ينبغى أن يستشعره هذا الاجتهاد الجغرافى ، من مواصفات جغرافية خاصة ، يتفرد بموجبها الاقليم ، الذى يضم المساحة المعنية المحددة • وتميز هذه المواصفات الجغرافية الاقليم ، تميزا جغرافيا قاطعا عن غيره من الأقاليم الأخرى •

وأصبح فى وسع الجغرافى ، وهو على بينة كاملة باستحالة التكرار أو التماثل فيما تسفر عنه عناصر الطبيعة فى المكان ، أو فيما يسفر عنه حضور حركة حياة الانسان فى المكان ، أو فيما ينتهى اليه التفاعل الحيـــاتى بين الانسان والأرض فى المكان ، أن يحدد الاقليم الـــذى يتميز فى الصـــفة الجغرافية • كما كان فى وسعه أيضـــا ، أن يصطنع للاقليم المتميز اطـارا مناسبا ، يحتوى ويحدد المساحة المعنية المتميزة جغرافيا • بل قل أصبح فى وسع الخبرة الجغرافية العلمية ، أن تجعل من الاقليم الذى يتميز جغرافيا فى المكان وحدة تقسيم أساسية • ومن ثم يتأتى تغطية العالم كله ، وتقسيمه الى مجموعة كبيرة من الأقاليم •

---

(١٤) لم يتأسس هذا التوجه القديم أبدا على العناية بالظاهرة الجغرافية التى يتفرد أو يتميز بها الاقليم • وهذا معناه ، أن ذكر الاقليم وهو وارد فى الكتابة الجغرافية ، أو وهو وارد فى الخريطة ، على عهد بطلميوس ، وعلى عهد الادريسى ، لم يكن لكى يعبر صراحة عن رؤية جغرافية صحيحة لمفهوم الاقليم الجغرافى ، كما أراد له الاجتهاد الجغرافى العلمى أن يكون فيما بعد نشأة علم الجغرافية •

الشامى ، صلاح الدين : الفكر الجغرافى • سيرة ومسيرة - الاسكندرية سنة ١٩٨٠ •

وانطلاقا من هذه القاعدة الجغرافية ، يكون التقسيم الاقليمي الجغرافي ، ويحدد هذا التقسيم الاقليمي الاطار الواضح ، ويوفر الحبكـــة الحقيقية في المكان • وقل أنه يحدد هذا الاطار ويحقق الحبكة ، في ظل تفرد واضح ومتفق عليه ، في الصفة ، أو في مجموعة الصفات الجغرافية ، التي تميز الاقليم عن الأقاليم الأخرى • بمعنى أن الاقليم لا يكون اقليما بالفعل ، ويحتوى المساحة المعنية ، على أي مستوى ، وعـــلى أى صعيد ، الا اذا كان متفردا أو متميزا جغرافيا في صفة معينة ، أو في أكثر من صفة جغرافية ، طبيعية أو بشرية •

وكأن اكتساب الاقليم الصفة أو مجموعة الصفات الجغرافية التي تميزه ، يمثل مسألة جوهرية ، في ممارسة التقسيم الاقليمي • ويستوى في ذلك ، أن تكون هذه الصفة جغرافية طبيعية ، ويفضى اليهـــا عنصر من عنـــاصر الطبيعة ، أو أن تكون هذه الصفة جغرافية بشرية ، ويفضى اليها عنصر من عناصر حركة الحياة وحضور الانسان ، وهي تميز المساحة المعنية ، التي يحتويها الاقليم • بمعنى استحالة تماثل الأقاليم جغرافيا • وبمعنى أن تفرد الاقليم بصفة جغرافية أو بمجموعة من الصفات الجغرافية ، هو الذى يميزه جغرافيا عن الأقاليم الأخرى •

ويتخذ هذا الاجتهاد الجغرافي العلمي من خواص ومواصفات العنـــاصر الجغرافية الطبيعية ، وفعلها المباشر أو غير المباشر ، التي تشترك في صياغة صورة أو منظور الواقع الطبيعي ، قاعدة أنسب ، لكي يبتنى عليها تفـــرد الاقليم الجغرافي الطبيعي ، في صفة جغرافية أو أكثر من صـــفة جغرافية واحدة • ويتأتى بموجب هذا التفرد الجغرافي الطبيعي ، الذى يميز الاقليم الطبيعي عن سائر الأقاليم الطبيعية الأخرى ، تقسيم العالم ، الى مجموعة من الأقاليم الجغرافية الطبيعية • ويبدو للعين الجغرافية ، التي تعاين الواقع الجغرافي الطبيعي في كل اقليم من هـــذه الأقاليم الطبيعية المتعـــددة ، أنه متميز جغرافيا ، في مواصفاته الجغرافية الطبيعية •

وصحيح أن العناصر الجغرافيـــة الطبيعية ، التي تتألف من الموقـــع الجغرافي والبنية ، والتضاريس ، والمناخ بكل عناصره المتداخلة ، والوجـــود الحيوى ومحتواه النباتي والحيواني ، هي التي تكسب الواقع الجغرافي الطبيعي في الاقليم ، وفي كل اقليم جغرافي طبيعي خواصـــه ومواصفاته الجغرافية الطبيعية • ولكن الصحيح أيضا ، أن نصيب كل عنصر من هذه العناصر ، وهي تفعل ذلك ، أو وهي تشترك في صياغة الصورة أو المنظور العام الذى يعبر عنه الواقع الجغرافي الطبيعي في الاقليم الجغرافي الطبيعي ، لا يكاد

يتكرر ، أو لا يكاد يتماثل فعله وتأثيره من اقليم جغرافى طبيعى ، الى اقليم جغرافى طبيعى آخر • ويبتنى على عدم التكرار ، أو على عدم التماثل الجغرافى ، معنى التفرد المتميز • وهذا التفرد المتميز ، هو الذى يفضى فى نهاية الأمر ، الى صياغة الواقع الجغرافى المتميز على صعيد الاقليم الجغرافى الطبيعى ، فى الزمان •

ويتخذ الاجتهاد الجغرافى العلمى ، من خواص ومواصفات العناصر الجغرافية البشرية ، وفعلها المباشر وغير المباشر ، التى تشترك فى صياغة صورة ، أو منظور الواقع البشرى ، قاعدة أنسب أخرى ، لكى يبتنى عليها تفرد الأقاليم الجغرافية البشرية ، فى صفة جغرافية ، أو فى أكثر من صفة جغرافية واحدة • ويتأتى بموجب هذا ، صفة التفرد الجغرافى البشرى ، الذى يميز الاقليم البشرى ، عن سائر الأقاليم البشرية • ومن ثم يكون تقسيم العالم الى مجموعة من الأقاليم الجغرافية البشرية • ويبدو للعين الجغرافية ، التى تعاين الواقع الجغرافى البشرى ، فى كل اقليم من هذه الأقاليم الجغرافية البشرية ، أنه متميز جغرافيا ، فى مواصفاته الجغرافية البشرية •

وصحيح أن العناصر الجغرافية البشرية ، التى تتألف من حضور الانسان وحساب الكم ، وحساب الكيف ، وحساب التوجه الى التعامل مع الأرض ، وتوفير فرص التعايش ، وغير ذلك من أبعاد اجتماعية ، واقتصادية ، وسياسية ، وحضارية ، يفضى اليها ويرتكز عليها وجود الانسان ، هى التى تكسب الواقع البشرى فى الاقليم ، وفى كل اقليم جغرافى بشرى خواصه ومواصفاته الجغرافية البشرية • ولكن الصحيح أيضا ، أن نصيب كل عنصر من هذه العناصر ، وهى تفعل ذلك ، أو هى تشترك فى صياغة الصورة ، أو المنظور العام ، الذى يعبر عنه الواقع الجغرافى البشرى ، فى الاقليم الجغرافى البشرى ، لا يكاد يتكرر ، أو لا يكاد يتماثل فعله وتأثيره ، من اقليم جغرافى بشرى الى اقليم جغرافى بشرى آخر • ويبتنى على عدم التكرار ، أو على عدم التماثل الجغرافى ، معنى التفرد المتميز • وهذا التفرد المتميز ، هو الذى يفضى فى نهاية الأمر ، الى صياغة الواقع الجغرافى المتميز ، على صعيد الاقليم الجغرافى البشرى ، فى الزمان •

هكذا أمن الاجتهاد الجغرافى العلمى ، وحدة التقسيم الجغرافى الاقليمى على الصعيد العالمى • كما تلمس الكيفية التى يبتنى عليها هذا التقسيم ، وهو يكفل التمييز الجغرافى بين الأقاليم ، على كل المستويات • ويبرهن هذا الاجتهاد الجغرافى ، على مبلغ العناية بتحديد المكان ، فى مرحلتين هما :

(أ) فى المرحلة الأولى يحدد الصفة أو الصفات الجغرافية التى يتميز بها الاقليم ، وهو يحتوى المساحة المعنية ٠

(ب) فى المرحلة الثانية يصطنع من الصفة أو من الصفات الجغرافيـة الاطار أو الحد الاقليمى الواضح ، الذى يحتوى المساحة المعنية ، وعى يتميز جغرافيا ٠

وبات هذا التقسيم الاقليمى الجغرافى معمولا به ، لحساب تحـديد المكان ، الذى يضم المساحة المعنية ٠ ومن شأن هذا التقسيم الاقليمى الجغرافى أن يضم مجموعة من الأقاليم الجغرافية الطبيعية ، تغطى كل الأرض عـلى الصعيد العالمى ٠ كما يضم أيضا مجموعة من الاقاليم الجغرافية البشرية ، تغطى كل الأرض ، على الصعيد العالمى ٠ وتجاوب المساحة المعنية ، فى كل اقليم طبيعى ، أو فى كل اقليم بشرى ، فكرة تحديد المكان لحساب البحث الجغرافى العلمى ٠ ويفصل الحد الطبيعى ، أو الحـد البشرى ، بين الاقليم الجغرافى ، والاقليم الجغرافى الآخر ، فصلا جغرافيا حقيقيا ٠

وهذا معناه أن يكون البحث الجغرافى ، على صعيد المساحة المعنية فى الاقليم ، الذى يتفرد أو يتميز طبيعيا ، لكى يجـاوب الحاجـة الى دراسة الظاهرة الجغرافية الطبيعية ، أو الى دراسة الموضوع الجغرافى الطبيعى ٠ كما يكون البحث الجغرافى ، على صعيد المساحة المعنية فى الاقليم ، الـذى يتفرد أو يتميز بشريا لكى يجاوب الحاجة ، الى دراسة الظـاهرة الجغرافية البشرية ، أو الى دراسة الموضوع الجغرافى البشرى ٠ وفى اطار هذا التحديد تكون الدراسة الجغرافية سليمة ، أو يكون البحث الجغرافى سليما ، وهـو يتوجه الى صلب وجوهر الهدف الجغرافى ٠

وتأسيسا على هذا المنطق الجغرافى المعمول به فى التقسيم الاقليمى ، انطلق الاجتهاد الجغرافى العلمى . أو قل تمادى فى الجمـع بين الواقـع الطبيعى والواقع البشرى ٠ على صعيد المساحة المعنية ، لكى يكون الواقع الجغرافى الكلى ٠ ومن خلال هذا الجمع ، الذى يؤلف الواقع الجغرافى ، يفلح الاجتهاد الجغرافى فى تحديد المكان فى اقليم متفرد آخر ٠ وأسفر ذلك عن صياغة الاقليم الجغرافى ٠ وهذا الاقليم الجغرافى ، هو الذى يتفرد ، وتتميز مواصفاته ، على صعيد المساحة المعنية طبيعيا وبشريا ، فى وقت واحد ٠ ولا محل للتماثل أبدا ، بين اقليم جغرافى واقليم جغرافى آخر ٠

ومن ثم يصبح هذا الاقليم الجغرافى ، وحدة كبرى من وحدات التقاسيم

الاقليمية المعمول بها ، لحساب البحث الجغرافى • ويجسد هـذا التقسيم الاقليمى ، تحديد المكان من خلال التفرد الطبيعى ، ومن خلال التفرد البشرى ، فى الزمان • وبناء على هذا التفرد المزدوج ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الاقليم الجغرافى ، يكون التميز حاسما • وقد تتشابه الاقاليم الجغرافية تشابها جزئيا فى بعض الحالات ، ولكنها أقاليم متميزة دائما ، ولا تتماثل أبدا •

واذا كان التركيب الهيكلى لمفهوم الاقليم الطبيعى أو لمفهوم الاقليم البشرى ، يجسد التداخل فى زحمة العناصر الجغرافية الطبيعية أو البشرية ، التى تكسب كل اقليم منهما مواصفاته الجغرافية الخاصة ، فأن التركيب الهيكلى لمفهوم الاقليم الجغرافى ، يجسد التداخل المركب ، أو التعقيد الشديد فى التداخل ، الذى يجمع فى وقت واحد ، بين العناصر الطبيعية والعناصر البشرية وهى تكسب هذا الاقليم المركب جغرافيا ، خواصه المتفردة • ولا محل أبدا لكى نتصور أن فى وسع الاجتهاد الجغرافى العلمى ، بموجب هذا الجمع والتكوين المركب ، أن يفككك ثم يستخرج من صلب الاقليم الجغرافى ، اقليما طبيعيا واقليما بشريا ، أو أن يجمع ويصطنع من الاقليم الطبيعى والاقليم البشرى ، اقليما جغرافيا واحدا •

وقل أن كل تقسيم من هذه التقاسيم الاقليمية ، يبتنى على أساس قاعدة خاصة • وتكون هذه القاعدة مؤهلة لهذا الغرض ، على النحو الذى يناسب ، كل مستوى من مستويات هذه التقسيمات الاقليمية • بمعنى أن القاعدة المعمول بها ، لحساب تحديد المكان وصياغة الاطار للاقليم الطبيعى أو لحساب تحديد المكان وصياغة الاطار للاقليم البشرى • وخصوصية القاعدة التى يبتنى عليها هذا التقسيم الاقليمى ، فى مستوياته المتفاوتة ، تعنى بالضرورة ، خصوصية هذا التقسيم الاقليمى ، عند توظيفه أو استخدامه فى العمل الجغرافى ، أو فى انجاز الدراسة الجغرافية العلمية •

ولم يتوقف الاجتهاد الجغرافى العلمى عند هذا الحد ، فى شأن توظيف التقسيم الاقليمى ، من أجل تحديد المكان • بل لقد تمادى فى البحث عن بعض أهم موجبات تفاصيل التفرد فى المواصفات الجغرافية • وكان الهدف وضع أو انجاز تقسيمات اقليمية دقيقة أو تفصيلية ، تبتنى على التفرد الدقيق فى تفاصيل العناصر الجغرافية الطبيعية ، أو فى تفاصيل العناصر الجغرافية البشرية • وأفلح هذا التمادى الجغرافى ، الذى لا يبدأ من فراغ ، فى رصد تفرد هذه العناصر فى أدق التفاصيل ، التى يتألف منها بعض هذه

العناصر على الأقل .

ولقد اعتمد الاجتهاد الجغرافي العلمي ، على المهارة الجغرافية في التحليل وفي التركيب ، وهو يتقصى حقيقة التفرد الذى يتميز بموجبه كل عنصر أحيانا ، وتفاصيل كل عنصر أحيانا أخرى ، من عناصر التفرد الطبيعي أو من عناصر التفرد البشرى ، في المكان والزمان ، حتى يتلمس قاعدة لتقسيمات الاقليمية الصغرى . بمعنى أنه كان يسأل عن الكيفية ، التى يصطنع بموجبها ، كل عنصر من عناصر التفرد البشرى ، مزيدا من التفرد الأدق ، في المكان والزمان . ومن ثم يتلمس الاجتهاد الجغرافي العلمي ، الكيفية التى يوظف بموجبها هذا التفرد الطبيعي التفصيلي الدقيق ، أو هذا التفرد البشرى التفصيلي الدقيق . في انجاز تقسيمات اقليمية دقيقة ، طبيعية أو بشرية ، وهي أكثر تفردا وتميزا ، من وجهة النظر الجغرافية .

وكان في وسع الاجتهاد الجغرافي العلمي ، اعتمادا على التفرد الجغرافي الطبيعي الدقيق ، الذى يتميز به كل عنصر من عناصر التفرد الجغرافي الطبيعي ، أو الذى يتميز بموجبه تأثير وفاعلية كل عنصر على انفراد ، وهو يشترك في صياغة التفرد الطبيعي الاقليمي ، أن يجسد مفهوم الاقليم الطبيعي ، في اطار التقسيمات الاقليمية الدقيقة والاكثر تخصصا . ونضرب لذلك مثلا ، بالاقليم التضاريسي ، أو الاقليم المناخي ، أو الاقليم الحيوى النباتي ، أو الاقليم الحيوى الحيواني . وقد يتمادى التقسيم الاقليمي في مزيد من التفرد المناخي الأدق ، ويمثله الاقليم الحرارى ، أو الاقليم المطرى . ويميز كل اقليم من هذه الأقاليم الدقيقة ، صفة جغرافية طبيعية معينة ، وبموجبها يتفرد مثل هذا الاقليم تفردا ، لا يجوز الطعن فيه . ويبتنى على ذلك تغطية العالم بهذه التقسيمات الجغرافية الاقليمية الطبيعية الدقيقة .

وانطلاقا من وضوح رؤية الجغرافي الجيدة ، لمفهوم هذا التفرد الطبيعي، الذى يميز كل اقليم من هذه الأقاليم المتنوعة ، توضع القواعد والأسس الجغرافية التى يبتنى عليها تقسيم العالم ، الى أقاليم تضاريسية وتفردها تضاريسي ، أو الى أقاليم مناخية وتفردها مناخي ، أو الى أقاليم حيوية وتفردها حيوى . بمعنى أن يحتوى كل اقليم من هذه الأقاليم الدقيقة ، المساحة المعنية الأنسب ، التى تحتوى البحث أو الدراسة الجغرافية المتخصصة ، تضاريسيا ، أو مناخيا ، أو حيويا . وبناء على مثل هذا التقسيم الاقليمي الدقيق ، الذى يحدد المساحة المعنية ، ويصطنع لها اطارا محددا ومحدودا في المكان والزمان لا يجوز تجاوزه أبدا ، تتحقق حبكة الدراسة .

وهى حبكة لا تتعارض مع مرونة الانتقال من الاقليم الجغرافى الدقيق ، الى سائر الأقاليم الأخرى ، التى تغطى فى اطار هذا التفرد الجغرافى المتميز ، العالم كله ٠

واعتمادا على التفرد الدقيق ، الذى يتميز به كل عنصر من عناصر التفرد الجغرافى البشرى ، أو الذى يتميز بموجبه تأثير كل عنصر من هذه العناصر على انفراد ، وهو يشترك فى صياغة التفرد البشرى الاقليمى الكلى ، كان فى وسع الاجتهاد الجغرافى العلمى ، أن يجسد مفهوم الاقليم البشرى ، فى اطار التقسيمات الاقليمية الدقيقة والأكثر تخصصا ٠ ونضرب لذلك مثلا ، بالاقليم السلالى ، أو بالاقليم الحضارى ، أو بالاقليم السكانى ، أو بالاقليم السياسى (الدولة) ، أو باقليم الاقتصادى ٠ وقد يتمادى التقسيم الاقليمى ، فى مزيد من التفرد الاقتصادى الأدق ، ويمثله اقليم الزراعة ، واقليم الرعى واقليم الصناعة ٠ ويميز كل اقليم من هذه الأقاليم الدقيقة ، صفة جغرافية بشرية معينة ٠ وبموجبها يتفرد مثل هذا الاقليم ، تفردا لا يجوز الطعن ٠ ويبتنى على ذلك الأساس تغطية مساحات العالم ، بهذه التقسيمات الاقليمية الجغرافية البشرية الدقيقة ٠

وانطلاقا من وضوح رؤية الجغرافى الجيدة ، لمفهوم هذا التفرد الجغرافى البشرى ، الذى يميز كل اقليم من هذه الأقاليم المتنوعة ، توضع القواعد والأسس ، التى يبتنى عليها تقسيم العالم تقسيما اقليميا ٠ وتكون هذه التقسيمات البشرية الاقليمية ، سلالية وتفردها سلالى ، أو حضارية وتفردها حضارى ، أو اجتماعية وتفردها اجتماعى ، أو سياسية وتفردها سياسى ، أو اقتصادية وتفردها اقتصادى ٠ ويميز كل تقسيم اقليمى من هذه التقسيمات الاقليمية ، صفة جغرافية بشرية خاصة ، حيث يحتوى الاقليم المتميز فى الصفة المساحة المعنية ٠ وعلى صعيد هذه المساحة المعنية ، يتحقق البحث الجغرافى المتخصص بشريا فيكون بحثا سلاليا ، أو بحثا سكانيا ، أو بحثا اقتصاديا ٠ وبناء على مثل هذا التقسيم الاقليمى الدقيق ، الذى يحدد المساحة المعنية ، ويصطنع لها اطارا محددا ومحدودا ، فى المكان والزمان ، لا يجوز تجاوزه أبدا ، تتحقق حبكة الدراسة ٠ وهى حبكة لا تتعارض مع مرونة الانتقال من الاقليم الجغرافى الدقيق ، الى سائر الاقاليم الأخرى ، التى تغطى فى اطار هذا التفرد الجغرافى المتميز ، العالم كله ٠

وهكذا ، يحقق تحديد المكان فى المساحة المعنية ، التى يحتويها الاقليم ، على أى مستوى من مستويات التقسيمات الاقليمية ، أحسن وعاء لحساب

البحث الجغرافى ، وانجاز الدراسة انجازا مناسبا ، يجاوب الهدف الجغرافى . ولا يتعارض هذا التحديد فى هذه المساحة المعنية أبدا ، مع مرونة الانتقال لحساب البحث الجغرافى الأكثر اتساعا ، من الرؤية الجغرافية ، وهى محدودة فى المكان على صعيد الاقليم ، الى الرؤية الجغرافية ، وهى كلية وشاملة فى كل مكان ، على صعيد مجموعة الأقاليم التى تغطى القـــارة أو التى تغطى العالم - ومثل هذا التوجه الجغرافى الى تحديد المكان فى اطـار التقيسمات الاقليمية ، يبدو حميدا ومفيدا ، لأنه يفيد حرية ومرونة الانتقال . وقل أنه لا ولم ولن يوقع البحث الجغرافى ، فى اطار التحديد المكانى ، وهو يتمتع فى نفس الوقت بهذه المرونة ، فى قبضة القوالب الدراسية الجامدة . بل قل أيضا ، أن حرص الاجتهاد الجغرافى العلمى ، على موجبات التفرد الطبيعى أو البشرى ، أو على موجبا تالتفرد الجغرافى الكلى عـــلى الوجهين الطبيعى والبشرى ، أو على موجبات التفرد التفصيلى الجغرافى طبيعيا أو بشريا ، وهو الذى يسعف التقسيمات الاقليمية المتنوعة ، حتى تحمى البحث الجغـــرافى المتخصص ، من نمطية القوالب الدراسية الجغرافية الجامدة .

وهذا معناه — على كل حال — أن الاجتهاد الجغرافى العلمى ، الذى كان قد ابتنى على قواعد وأسس ، اصطنعها ورسخها الفكر الجغرافى الحديث ، أصبح متمكنا فى صياغة التقسيمات الاقليمية ، وفى حسن استخدامها ، لحساب العمل أو البحث الجغرافى . وأصبح فى وسع الجغرافى أن يمارس التقسيمات الاقليمية على المدى الكبير من التنوع ، ويختار الأنسب ، لكى يتدارس الظاهرة الجغرافية المعنية ، فى ربوع المساحة المعنية المحددة ، التى يحتويها الاقليم . ويكون الجغرافى — عندئذ — فى كامل الوعى وحسن العناية والتقدير ، وهو يختار التقسيم الجغرافى الاقليمى الأنسب ، اختيارا يتلمس أبعاد التفرد الجغرافى فى هذا التقسيم الجغرافى الاقليمى المنتخب .

وهذا معناه أيضا ، أن الاجتهاد الجغرافى العلمى يكون على بينة وعلم ، بالكيفية التى يتأتى بموجبها هذا التفرد الجغرافى فى الاقليم المعين ، ضمن التقسيم الاقليمى المنتخب . كما يكون على بينة وعلم ، باحتمالات التشابه الذى يبتنى علية وحدة التقسيم الاقليمى ، واحتمالات تفرد كل اقليم من الأقاليم فى اطار هذه الوحدة . بمعنى أن تقسيم العالم الى أقاليم تضاريسية مثلا ، يجسد التشابه فى التفرد الجغرافى التضاريسى ، ولكن يبقى تفرد كل اقليم من هذه الأقاليم التضاريسية ، واردا ، ولا يمكن انكاره . وكان رصد هذا التشابه ، الذى يجمع ويلم شمل أو يصطنع وحدة التقسيم الاقليمى ،

لا ينتهك أبدا موجبات التفرد الجغرافى ، فى أى اقليم من الأقاليم المجتمعة جغرافيا فى التقسيم الاقليمى •

وفى الوقت ، الذى يتجنب فيه الاجتهاد الجغرافى العلمى ، وهو ينتهج هذا التوجه السديد ، أو وهو يجيد توظيف التفرد الجغرافى على أى مستوى من مستوياته ، فى التقسيم الاقليمى ، الجمود ونمطية القوالب الجغرافية الجامدة ، يتحلى بالمرونة الكاملة ، وحسن الانتقال الدراسى من الاقليم الى الأقاليم الأخرى ، دون الخروج عن وحدة التقسيم الاقليمى أبدا • وتجنب الجمود ، والتحلى بالمرونة ، فى وقت واحد ، يمنحان الاجتهاد الجغرافى ، وهو يجرى البحث الجغرافى ، أو الدراسة الجغرافية ، فى اطار الاقليم أو فى اطار مجموعة من اقاليم تجمعها وحدة التقسيم الاقليمى ، الحق الكامل فى عدم الانغلاق • بل قل أنهما يكفلان تحرر الاجتهاد الجغرافى ، من دواعى الانغلاق ، تحت شعار تحديد المكان ، ووضع الاطار الحاكم الذى يحتوى أو الذى يضم المساحة المعنية •

وصحيح أن الاجتهاد الجغرافى العلمى يعتنى بالتفرد الجغرافى ، الذى يصطنع بموجبه اطارا محكما ، يحدد أبعاد الاقليم الجغرافى المتفرد ، على أى مستوى من مستويات هذا التفرد • وصحيح أيضا ، أن التزام الاجتهاد الجغرافى العلمى بتحديد المكان ، وهو الذى يحتويه الاطار ، هو الذى يكفل الحبكة الأنسب ، لاجراء البحث أو الدراسة الجغرافية المعنية • ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، أن هذا التحديد ، أو أن هذا الاطار ، وهو يصطنع هذا التحديد فى المكان ، ويحتوى المساحة المعنية الأنسب ، لا ينبغى أن يصبح سدا جامدا ، أو حاجزا مانعا ، يحول دون تجاوز حدود الاقليم والمساحة المعنية فيه • بمعنى أن الاطار الذى يصطنع التحديد فى المكان ، لا يقصد منه أبدا ، ممارسة البحث الجغرافى فى اطار الانغلاق الجامد •

وهذا معناه ، أن الاجتهاد الجغرافى العلمى ، قد أباح لنفسه تخطى هذا الاطار ، أو تجاوز هذا الحد الاقليمى ، تجاوزا محمودا ، لو اقتضى البحث الجغرافى ، أو لو استوجب تقصى الحقيقة الجغرافية هذا التجاوز • وقل أنه قد حرم على نفسه الانغلاق فى اطار الاقليم ، انغلاقا يسد الابواب أمام البحث الجغرافى ، وتقصى أبعاد الحقيقة الجغرافية الكاملة • بمعنى أن هناك أوضاع معينة ، تبرر وتستوجب ، بل أنها تحتم على الباحث الجغرافى تجاوز حد الاقليم ، والخروج من المساحة المعنية فيه ، لكى يتعقب هذا الباحث ، بعض أصول ، أو بعض أطراف ، أو بعض جذور الحقيقة الجغرافية ، فى كل مكان

جغرافى خارج حدود الاقليم ·

ولا غبار على هذا التجاوز ، ولا تثريب على الخروج الجغرافى من الاقليم ، بحثا عن أطراف ضرورية ، تكشف عن أبعاد الحقيقة الجغرافية · وقل أن هذا التجاوز أو الخروج من حدود الاقليم ، يمثل شكلا من أشكال التوسع الافقى فى المكان ، لحساب البحث الجغرافى الأفضل · وقد يسميه البعض التوسع المكانى · والمهم أن مثل هذا التوسع المكانى والخروج من الاقليم ، لا ينتهك أبدا فكرة الاقليمية والتقسيمات الاقليمية · وقل أنه توسع أفقى مشروع ومباح ، لا ينتهك أبدا فكرة الاقليمية والتقسيمات الاقليمية · وقل أنه توسع أفقى مشروع ومباح ، لأنه يخدم البحث الجغرافى ، ويلبى حاجة الدراسة الجغرافية التحليلية ، وهى تبحث عن الحقيقة الجغرافية ، أو وهى تبحث عن التفسير الجغرافى الأنسب فى اطار الاقليم ، أو فى خارج الاقليم · بل قل أنه يجسد شكلا مناسبا ، من أشكال المرونة الجغرفية ، التى تجاوب الانفتاح الجغرافى ، ولا تتجاوز معنى ومغزى الحبكة التى تتحدد أبعادها فى المكان على صعيد المساحة المعنية ، داخل حدود الاقليم ·

التوجه الجغرافى لتحديد الزمان :

لا تتسم الظاهرة الجغرافية ، سواء كانت طبيعية ، أو كانت بشرية ، بالثبات فى المكان · ولا يستغرق الواقع الجغرافى الطبيعى أو الواقع الجغرافى البشرى ، فى الجمود والثبات ، فى المكان · وقل أن عدم الثبات ، والتغيير الجغرافى فى المكان هو القاعدة ، وربما لا تكون ثمة فرصة للاستثناء والخروج على قاعدة هنا التغيير · وقل أيضا أن كل ظاهرة جغرافية طبيعية أو بشرية وأن الواقع الجغرافى الطبيعى أو البشرى لا يعرف الثبات ، الذى يعنى الجمود · بل قل أن هناك دائما احتمال التعرض لفعل عوامل ودواعى التغيير، فى المكان ، ويستجيب كل شىء ، جغرافى لهذه المتغيرات ، مع حركة الزمان · ويكون من شأن المدركات أو الحقائق الجغرافية ، التى تجاوب المتغيرات المتنوعة ، أن تتغير فى المكان ، من عصر الى عصر آخر · وهذا بالضبط هو المفهوم الذى يعبر عن معنى عدم الثبات ، أو عن عدم الجمود الجغرافى فى المكان ·

وبصرف النظر عن دواعى التغيير التى تواجهها الظاهرة الجغرافية الطبيعية وتجاوبها فى المكان ، أو التى تواجهها الظاهرة الجغرافية البشرية وتجاوبها فى المكان · وبصرف النظر عن أبعاد وكنه التغيير المتوقع بالفعل استجابة لهذه الدواعى ، أو استجابة لفعل وتأثير المتغيرات ، وهو يتوالى

من عصر الى عصر آخر ، ينبغى أن يدرك الاجتهاد الجغرافى هذا التغيير ويتوقعه • وقل ينبغى أن يدرك أيضا كيف يتأتى هذا التغيير ومعدلاته ، أو كيف يكون التوقع على امتداد المدى الزمنى • وهذا معناه أنه على امتداد المدى الزمنى ، وهو جيولوجى أحيانا ، أو وهو طويل ، أو وهو قصير ، أحيانا أخرى ، تتعرض جغرافية المكان ، لدواعى التغيير أو لفعل بعض المتغيرات البطيئة أو المتعجلة أو المفاجئة • ومن ثم يتأتى التغيير فى الصورة أو فى الشكل أو فى الواقع الجغرافى بالفعل ، من حين الى حين آخر •

ويهتم الاجتهاد الجغرافى العلمى بهذا التغيير • ويتابع فعل المتغيرات ، ويحفل بدواعى التغيير التى تجسد استجابة الواقع الجغرافى لهذه المتغيرات• وهذا معناه أن الاجتهاد الجغرافى يحفل بمرور الوقت ، أو بحركة الزمان التى تشهد هذه المتغيرات وتأثيرها المباشر أو غير المباشر على المدركات أو الواقع الجغرافى فى المكان • وعلى نفس مستوى العناية الجغرافية العلمية ، التى تفرغت لحسم قضية المكان ، وكيف يحتوى المساحة المعنية ، كانت العناية الجغرافية العلمية أيضا ، التى توجه بموجبها الاجتهاد الجغرافى ، الى حسم قضية حساب امتداد المدى الزمنى فى المكان •

. . . .

ويكون ذلك كله ، بمعنى عناية الاجتهاد الجغرافى دائما واهتمامه ، بأن تتأتى الدراسة الجغرافية على كل المستويات ، وفى جميع الأحوال ، فى سياق واضح ، وحبكة جيدة • ومن أجل هذا السياق الزمنى الواضح والحبكة الجيدة ، تتناول الدراسة الجغرافية ، الموضوع أو الظاهرة المعنية ، تناولا مناسبا ، فى المكان ، وفى الزمان • وقل أن لا محل لدراسة جغرافية فى المكان ، دون العناية بها أيضا ، فى الزمان • بل قل أنه لا يجوز أبدا التفريط فى بعد من هذين البعدين الأساسيين ، وهما بعد المكان وحدوده المحدودة ، وبعد الزمان وحساب مداه المناسب • وحتى لو تولت الدراسة الجغرافية ، العناية بالظاهرة الجغرافية ، أو بالموضوع فى الوضع الراهن مثلا ، فان ذلك لا يعنى اسقاط أو اهمال البعد الزمنى من الحساب ، لكى تتأتى الدراسة فى المكان فقط •

وكان المطلوب من الاجتهاد الجغرافى العلمى دائما ، عندما يتصدى للبحث أو للدراسة ، أن يعرف كيف يحدد موقفه ، من حساب البعد الزمنى ، تحديدا صريحا وقاطعا • كما كان الواجب عليه ، أن يعرف جيدا كيف تكون متابعة البحث والدراسة الجغرافية المعنية ، على أساس تحديد هذا الموقف الصريح من البعد الزمنى • وتحديد موقف الاجتهاد الجغرافى العلمى ، من البعد

الزمنى ، هو الذى يضع الباحث الجغرافى ، فى موضع الاختيار • ويكون هذا الاختيار موضع العناية ، لكى يتحدد هــذا البعــد الزمنى ، حتى يتسنى الالتزام به •

العناصر الجغرافية ومضى التغيير على امتداد البعد الزمنى فى المكان والزمان :

ويتراوح هذا الاختيار للبعد الزمنى ، بين ثلاثة احتمالات • وتتمثل هذه الاحتمالات — فى العادة — فيما يلى :

(أ) الاحتمال الأول ، ويركز على الماضى حيث تجسد الدراسة الجغرافية شيئا معلوما عن جغرافية الماضى •

(ب) الاحتمال الثانى ، ويركز عــلى الحاضر ، حيث تجسد الدراسة الجغرافية ، شيئا معلوما عن جغرافية الحاضر •

(ج) الاحتمال الثالث ويركز على الاستمرار الذى يصل بين المــاضى والحـاضر ، حيث تجسد الدراسة الجغــرافية شيئا معلوما عن جغــرافية الاستمرار فى صحبة التغيير ، أو الجغرافية التاريخية •

ويملك الباحث الجغرافى حق الاختيار ، وتحديد مدى امتداد هذا البعد الزمنى • وتوجه طبيعة الدراسة الجغرافية هذا الاختيار ، لكى تكون جغرافية المــاضى ، أو جغرافية الحاضر ، أو جغرافية الاستمرار من الماضى الى الحاضر . مناسبة ، وهى تجاوب الهدف الجغرافى • ولا شىء أهم من أن يكون البعــد الزمنى محسوما بعناية شديدة • بل ولا شىء يبتنى عليه هذا الاختيـــار القاطع ، أهم من أن يكون تحديد البعد الزمنى ، محصورا بين بداية ونهاية ، تجاوب الهدف فى جغرافية الماضى ، أو الهدف فى جغرافية الحاضر ، أو الهدف فى جغرافية الاستمرار من الماضى الى الحاضر •

وفى **جغرافية الماضى** ، يملك الباحث الجغرافى حرية العودة الى هذا الماضى وتحديده • وقد تكون دراسة جغرافية الماضى معنية بالماضى القريب ، أو معنية بالماضى البعيد ، أو معنية بالماضى الجيولوجى • ولا شىء يملى على هذا الاختيار وتحديد هذا الماضى وبعده الزمنى ، غير طبيعة الظاهرة الجغرافية المعنية ، التى يتناولها البحث تناولا جغرافيا مدققا وهادفا ، فى المكان المحــدد وفى الزمان المعلوم •

وفى **جغرافية الحاضر** ، يلتزم الباحث الجغرافى بالصورة الجغرافيـــة المعنية فى الوضع الراهن • وقل ينبغى أ نيتحدد المدى الزمنى المناسب ، الذى لا يتجاوز هذا الوضع الراهن • بمعنى أن يتأتى البحث من خلال معاينة المنظور الجغرافى فى المكان ، فى الوقت الحاضر ، وقد لا تعوز الباحث حاجة العودة الى الماضى • ولا شيء يملى على معاينة هذا المنظور الجغرافى فى الوضع الراهن ، غير طبيعة الظاهرة الجغرافية المعنية التى يتناولها البحث تنـــاولا جغرافيا مدققا وهادفا ، فى المكان المحدد ، وفى الزمان المعلوم •

وفى **جغرافية الاستمرار بين الماضى والحاضر** ، يلتزم الباحث الجغرافى بالتغيير والمتغيرات ، التى تكشف عنها المتابعة الجغرافية من حين الى حين آخر • وينبغى أن تتحدد من أجل هذه المتابعة المستمرة ، بداية ونهاية هذا المدى الزمنى • بمعنى حتمية أن يتأتى البحث من خلال ملاحقة الرؤية الجغرافية المتغيرة فى المكان • ويحتاج الباحث الى تقصى حقيقة الدواعى أو المتغيرات التى تؤدى الى هذا التغير ، من وقت الى وقت آخر ، فى نفس المكان • ولا شيء يملى على ملاحقة هذا التغيير وفعل المتغيرات ، غير طبيعة الظاهرة الجغرافية المعنية، التى يتناولها البحث تناولا جغرافيا مدققا وهادفا ، فى المكان المحدد ، وفى الزمان المستمر •

ويتعين تحديد الزمان فى جغرافية المـــاضى ، وجغرافية الحـــاضر ، وتثبيته • أما فى جغرافية الاستمرار على المدى الزمنى بين الماضى والحاضر ، فلا ينبغى تثبيت الزمان ، وهـــو يمضى من بداية وينتهى الى نهـــاية • وفى جميع الأحوال ، يملى التباين بين تحديد الزمان الذى يميز بين جغرافية الماضى وجغرافية الحاضر وجغرافية الاستمرار بين الماضى والحاضر ، على توجه البحث الجغرافى ، وعلى اختيار المنهج ، وعلى انجاز البحث فى نهاية الأمر • بمعنى أن هناك تفاوت واختلاف شديد بين دراسة الظاهرة الجغرافية بأسلوب أو بمنهج جغرافية الماضى ، ودراسة نفس الظاهرة الجغرافية بأسلوب أو بمنهج جغرافية الحاضر ، ودراسة نفس الظاهرة الجغرافية بأسلوب أو بمنهج جغرافية الاستمرار بين الماضى والحاضر ، فى نفس المكان •

واضافة الى هذا الاختيار ، الذى يميز بين جغرافية المـاضى وجغرافية الحاضر وثبات المدى الزمنى ، وجغرافية الاستمرار من بداية الى نهاية عـــلى امتداد حركة المدى الزمنى ، وهو معلق فى الأساس على الهدف الجغرافى ، هناك اختيار آخر لتحديد البداية والنهاية ، على امتداد المدى الزمنى ، الذى يحقق الهدف الجغرافى ، الذى تفضى اليه جغرافية الاستمرار • وبناء على هذا

الاختيار الأخير ، يتراوح هذا التحديد الزمنى لتحديد البداية وتحديدالنهاية، على امتداد المدى الزمنى ، بين المدى القصير، والمدى الطويل والمدى الجيولوجى. وموضوع البحث الجغرافى ، والهدف الجغرافى ، الذى يتبناه هذا البحث ، هو الذى يحدد مفهوم المدى القصير ، ومفهوم المدى الطويل . ويحدد أيضاً مبلغ العودة الى أبعاد المدى الجيولوجى . بل قل أن البحث الجغرافى نفسه ، هو الذى يصطنع الضوابط الحاكمة لاختيار هذا المدى الزمنى ، وتحديد امتداده ، فى المكان ويتلمس متغيرات هذا الامتداد الزمنى ، من حين الى حين آخر .

وتتخذ الدراسة الجغرافية على امتداد المدى الزمنى ، وتفيد الاستمرار فى تلاحق أو تتعقب المتغيرات ، شكل الجغرافية التاريخية . وهى دراسة تبدأ من الماضى البعيد أو من الماضى القريب ، أو من الماضى الجيولوجى ، وتنتهى الى الحاضر . وتأسيسا على الاختيار الأنسب للمدى الزمنى ، يتناول الاجتهاد الجغرافى الظاهرة الجغرافية الطبيعية أو البشرية ، تناولا جغرافيا هادفا ومدققا ، يهتم بالتطور وبالتغيير وبالمتغيرات ، على مستوى امتداد هذا المدى الزمنى المنتخب ، بمعنى أن هذه الدراسة الجغرافية التاريخية ، ترصد موجبات التطور أحيانا ، وموجبات التغيير أحيانا أخرى ، على صعيد المكان المحدد . بل قل أن هذه الدراسة الجغرافية التاريخية ، تبحث عن ، وتجيب فى سياق العرض الموضوعى الجغرافى ، عن ماذا وكيف ومتى والى أى حد ، يتأتى فعل المتغيرات على صعيد المساحة المعنية فى المكان ، ومبلغ تأثيرها المباشر أو غير المباشر على الظاهرة الجغرافية المعنية ، سواء كانت طبيعية ، أو كانت بشرية .

وفى مثل هذه الدراسة الجغرافية التاريخية ، أفلح الاجتهاد الجغرافى تماما ، فى الاستمرار والمتابعة على امتداد المدى الزمنى ، وهو يتعقب ويلاحق دواعى وموجبات فعل المتغيرات فى المكان . كما أفلح هذا الاجتهاد الجغرافى أيضا ، فى بيان ومتابعة الكيفية ، التى يتوالى ويستمر بموجبها تأثير فعل هذه المتغيرات ، على خواص ، أو على أوضاع ، أو على أحوال الظاهرة الجغرافية المعنية ، فى المكان ، ومع مضى حركة أو مرور الزمان ، من عصر الى عصر آخر . ولا وجه اطلاقا ، ولا مبرر أبدا ، لأى احتمال متوقع ، يمكن أن يتأتى فيه الخلط أو التداخل ، بين مثل هذه الدراسة الجغرافية التاريخية وتوجهاتها الى الهدف الجغرافى من ناحية ، والدراسة التاريخية البحتة التى تتابع حركة الأحداث التاريخية ، ولا تهتم أبدا بالهدف الجغرافى ، ولا تلتزم بالوصول اليه ، بل ولا تعرف الطريق طلبا للوصول اليه من ناحية أخرى .

وبهذا المنطلق الذى يعتنى بتحديد المدى الزمنى ، تستحق الظاهرة الجغرافية المعنية ، فى اطار الواقع فى المكان ، الدراسة والبحث ، على مستوى أو على امتداد أربعة مستويات زمنية متفـاوتة • وتتمثل هـــذه الامتدادات الزمنية فى :

(أ) امتداد زمنى يغطى الرؤية الجغرافية للظاهرة الجغرافية المعنية ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الوضع الراهن • وهذا هو عين ما نعنى به جغرافية الحاضر • ولا تكون هناك حاجة عندئذ ، تدعو الباحث الجغـــرافى للعودة الى الماضى ، الا فى أضيق الحدود • وتعتمد هذه الدراسة الجغرافية على المعاينة المباشرة ، وحسن استخدام الرحلة الجغرافية ، لحساب هذه المعاينة • واختيار الدراسة الجغرافية هذا المدى الزمنى المحدد ، لرؤية الوضع الجغرافى الراهن ، قد يستوجب العودة الى الماضى ، لتأصيل العمل أو النتيجة التى تسفر عنها المعاينة أحيانا ، ولكنها لا تستوجب المتابعة والتعقب • بمعنى أنها لا تجسد الاستمرار فى تعقب الظـــاهرة ، ولا تستحق الانتساب أبدا الى الجغرافية التاريخية •

(ب) امتداد زمنى يغطى الرؤية الجغرافية للظاهرة الجغرافية المعنية ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الوضع الذى كانت عليه فى حقبة من حقب الماضى• وهذا هو عين ما تعتنى به جغرافية الماضى • وتكون حاجة عندئذ ملحة ، تدعو الباحث الجغرافى للعودة الى الحقبة التى يتجسد فيها هذا المـــاضى البعيد أو القريب • وتعتمد مثل هذه الدراسة الجغرافية على جمع الأدلة ، وتسأل عن البيانات التى يمكن أن تستخدم ــفى تجميع أوصال الرؤية الجغرافية فى ذلك الماضى • ولا تلاحق هذه الدراسة الجغرافية المتغيرات ولا تهتم أبدا بالتغيير بين هذه الرؤية الجغرافية فى الماضى ، والرؤية الجغرافية فى الحاضر • بمعنى أنها دراسة لا تجسد الاستمرار فى تعقب الظاهرة الجغرافية ، ولا تستحق أبدا الانتساب الى الجغرافية التاريخية •

(ج) امتداد زمنى طويل ، قد يتفاوت طوله بصفة عامة ، يغطى الرؤية الجغرافية الطبيعية المعنية ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الوضع الذى يتابع ويلاحق فعل المتغيرات • وتتبين هذه الدراسة الجغرافية ، كيف يتأتى هذا التغيير أو التطور ، من حين الى حين آخر ، أو من عصر الى آخر • ومثل هذه العودة الى الماضى التاريخى ، ومثل هذه المتابعة التى تتعمد الاستمرار ورصد التغيير والمتغيرات ، تستوجب أن تسأل الجغرافية علم التاريخ وعلوم كثيرة أخرى ، وأن تطلب الاطلاع على حركة الأحداث ، التى تسجل هـــذا التغيير

ومسئولية فعل المتغيرات، على صعيد المساحة المعنية ، فى المدى التاريخى • وتنتسب هذه الدراسة بكل حذافيرها ، انتسابا أصيلا الى الجغرافية التاريخية ، وهى تتابع مبلغ التغير فى الرؤية الجغرافية الطبيعية ، من عصر الى عصر آخر ، فى نفس المكان •

(د) امتداد زمنى جيولوجى ، قد يتفاوت انتمائه للأزمنة الجيولوجية بصفة عامة ، يغطى الرؤية الجغرافية الطبيعية المعنية ، على صعيد المساحة المعنية ، وفى الوضع الذى يتابع أو يلاحق فعل المتغيرات والتغيير ، من عصر جيولوجى الى عصر جيولوجى آخر • وتتبين مثل هذه الدراسة ، كيف يتأتى التغيير أو التطور ، من عصر الى عصر آخر ، أو من زمن جيولوجى الى زمن جيولوجى آخر • ومثل هذه العودة الى الماضى الجيولوجى ، ومثل هذه المتابعة التى تتعمد الاستمرار ورصد التغيير والمتغيرات، تستوجب أن تسأل الجغرافية علم الجيولوجيا ، وغيره من العلوم ، وأن تطلب منه النتائج ، التى ترشد وتبصر هذه العودة الى ذلك الماضى الجيولوجى • وتنتسب هذه الدراسة الجغرافية حتما الى الجغرافية التاريخية ، وهى تتابع وتلاحق ، مبلغ تغير الرؤية الجغرافية الطبيعية ، من عصر جيولوجى الى عصر جيولوجى آخر •

* * *

وبنفس هذا المنطلق الذى يعتنى بتحديد المدى الزمنى ، تستحق الظاهرة الجغرافية ، فى اطار الواقع البشرى ، فى المكان ، الدراسة والبحث الجغرافى ، على مستوى أو على امتداد أربعة مستويات زمنية متفاوتة • وتتمثل هذه الامتدادات الزمنية فى :

(أ) امتداد زمنى محدد ، يغطى الرؤية الجغرافية البشرية ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الوضع الراهن • وهذا هو عين ما يعنى به ، جغرافية الحاضر فى المكان • ولا تكون هناك حاجة عندئذ ، تدعو الباحث للعودة الى الماضى ، الا فى أضيق الحدود • وتعتمد هذه الدراسة الجغرافية ، على المعايشة والمعاينة المباشرة والاستبيان ، وحسن توظيف الرحلة الجغرافية ، لحساب هذا الاستبيان • واختيار الدراسة الجغرافية ، على هذا المدى الزمنى المحدد ، لرؤية الوضع الجغرافى الراهن ، قد يستوجب العودة الى الماضى ، لمجرد تأصيل العمل أو النتيجة ، التى تسفر عنها المعاينة أحيانا ، ولكنها أبدا لا تستوجب المتابعة والتعقب • بمعنى أنها لا تجسد الاستمرار فى تعقب الرؤية الجغرافية، ولا تستحق الانتساب أبدا الى الجغرافية التاريخية •

(ب) امتداد زمنى محدد ، يغطى الرؤية للظاهرة الجغرافية البشرية ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الوضع الجغرافى الذى كانت عليه ، فى حقبة من حقب الماضى • وهذا هو عين ما تعنى به جغرافية الماضى • وتكون هناك حاجة ملحة عندئذ تدعو الباحث الجغرافى ، للعودة الى الحقبة ، التى يتجسد فيها هذا الماضى البعيد أو القريب • وتعتمد مثل هذه الدراسة الجغرافية ، على جمع الأدلة ، وهى تسأل عن البيانات ، التى يمكن أن تستخدم فى تجميع أوصال الرؤية الجغرافية فى ذلك الماضى • ولا تلاحق هذه الدراسة الجغرافية المتغيرات ولا تهتم أبدا بالتغيير بين هذه الرؤية الجغرافية فى الماضى ، والرؤية الجغرافية فى الحاضر • بمعنى أنهـــا دراسة جغرافية لا تجسد الاستمرار فى تعقب الظاهرة الجغرافية البشرية ، ولا تستحق أبدا الانتساب الى الجغرافية التاريخية •

(ج) امتداد زمنى طويل ، قد يتفاوت طوله بصفة عامة ، يغطى الرؤية الجغرافية البشرية المعنية ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الوضع الذى يتابع ويلاحق فعل المتغيرات • وتتبين هذه الدراسة الجغرافية ، كيف يتأتى هـــذا التغيير ، أو هذا التطور ، من حين الى حين آخر أو من عصر الى عصر آخر • ومثل هذه العودة الى المـــاضى التاريخى ، ومثل هـــذه المتابعة التى تتعمد الاستمرار ، ورصد التغيير والمتغيرات تستوجب أن تسأل الجغرافية علـــم التاريخ وعلوم انسانية كثيرة أخرى ، وأن تطلب الاطلاع على حركة الحيـــاة وأحداثها التى تسجل هذا التغيير ، ومسئولية فعـــل المتغيرات ، على صعيد المساحة المعنية ، على المدى التاريخى • وتنتسب هذه الدراسة بكل حذافيرها ، انتسابا أصيلا الى الجغرافية التاريخية ، وهى تتابع مبلغ التغير فى الرؤية الجغرافية البشرية ، من عصر الى عصر آخر ، فى نفس المكان •

(د) امتداد زمنى جيولوجى ، يغطى الرؤية البشرية ، عـــلى صعيد المساحة المعنية ، فى الوضع المتغير من عصر البلايستوسين ، الى العصر الذى نعيش فيه الآن • ومثل هذه العودة الى الماضى الجيولوجى ، الذى شهد ظهور الانسان على الأرض ، وبدايات حركة الحياة ، تستوجب أن تسأل الجغرافية علم الجيولوجيا وعلوم انسانية متعددة ، وأن تطلب الاطلاع على النتائج التى ترشد وتبصر هذه العودة الجغرافية الى الماضى الجيولوجى البعيد ، وهى ترصد التغيير وفعل المتغيرات الطبيعية والبشرية التى مرت بها حركة الحياة ، على صعيد المساحة المعنية ، عـــلى المـــدى الجيولوجى • وتنتسب هذه الدراسة الجغرافية البشرية بكل حذافيرها الى الجغرافية التاريخية ، انتسابا أصـــيلا لا يجوز الطعن فيه • بل قل انها دراسة جغرافية تمثل أصـــدق ما تنجزه

الجغرافية التاريخية ، وهى تتـــابع الرؤية الجغرافيـــة البشرية ، من عصر جيولوجى شهد ظهور الانسان ، الى عصر جيولوجى آخر يشهد تقدم حركة الحياة وكل أشكال التغيير ، حضاريا واجتماعيا وسياسيا ، واقتصاديا فى نفس المكان ٠

* * *

وتعليقا على **جغرافية الوضع الراهن** ، وهى تتمثل فى الماضى ، أو وهى تتمثل فى الحاضر ، نذكر أن عدم الانتساب الى الجغرافية التاريخية ، لا يعنى أبدا اهمال ، أو اسقاط ، أو التجاوز عن تحديد المدى الزمنى ٠ وقـــل أن جغرافية الحاضر تتناول اهتماماتها الجغرافية تناولا شديد العناية بتحديد المكان وتحديد الزمان ٠ وتتناول جغرافية الماضى أيضا اهتماماتها الجغرافية، تناولا شديد الحرص على تحديد المكان وتحديد الزمان ٠ بل قل لا دراســة جغرافية ، فى أى شكل ، وفى أى وضـــع ، يمكن أن تكون من غير تحديد واضح للمكان ، وتحديد صريح للزمان ٠ ذلك أن الوضع الراهن فى الماضى . والوضع الراهن فى الحاضر ، هو بالقطع الوضع الذى لا يكون الا اذا شغل شريحة من الزمان ٠

وصـــحيح أن دراســة جغرافية الوضـــع الراهن فى الماضى ، على أنها جغرافية الماضى ، ودراســة الوضـــع الراهن فى الحاضر ، على أنها جغرافيه الحاضر ، لا تهتم بشىء غير المنظور الجغرافى فى هذا الوضع الراهن ٠ ولكن الصحيح أيضـــا أن احتمال العودة الى الماضى ، الذى يسبق هذا المنظـــور ، تكون متوقعة أحيانا ٠ وتكون هذه العودة الى أطراف من هذا الماضى متعمدة، من أجل البحث عن تفسير مقبول ، أو من أجل تعقب أصول الظاهرة المعنية، فى المكان والزمان ، قبل أن تفضى المتغيرات الى صياغة المنظور الجغرافى ، فى صورة الوضع الجغرافى الراهن ٠

ومثـــل هذه العودة المقصـــودة الى الماضى ، تبدو محـــدودة وهادفة ٠ وهى لا تعنى شرودا أو خروجا عن اهداف جغرافية الوضع الراهن ، سواء كانت هى جغرافية الماضى فى زمن معين أو كانت هى جغرافية الحاضر فى الوقت الحـــاضر ٠ وقل أن هذا التوجه الى الماضى بحســـاب ، لا يعنى أبـــدا الانتساب أو التمسح فى الجغرافية التاريخية ٠ بل قل أنه يمثل شكلا من أشكال التوسع الزمانى ، أو التوسع الرأسى ، لكى يسعف ويجاوب حاجة البحث الجغرافى فى جغرافية الوضع الراهن ، عن أصول معنية ، تلقىالأضواء على الرؤية الجغرافية ، حتى تزداد وضوحا وبيانا وتعبيرا ، فى المكان والزمان٠

ويقابل هذا التوسع الزمانى ، التوسع المكانى • وهما معا يخدمان نفس الغرض ، فى شأن تعميق الرؤية الجغرافية فى الوضع الراهن ، سواء كان البحث الجغرافى عن هذه الرؤية فى الماضى ، أو كان عنها فى الحاضر •

هذا ، والفرق كبير جدا ، من وجهة النظر الجغرافية ، بين مهمة الاجتهاد الجغرافى ، وهو يجرى البحث حسب مفهوم الدراسة الجغرافية التاريخية ، أحيانا ، ومهمة الاجتهاد الجغرافى ، وهو يجرى البحث ، حسب مفهوم الدراسة الجغرافية للوضع الراهن فى الماضى أو فى الحاضر أحيانا أخرى • وصحيح أن اجراء البحث الجغرافى ، يكون فى الحالتين ، رغم الاختلاف ، لحساب الهدف الجغرافى ، فى اطار حبكة تحديد المكان ووضوح تحديد الزمان • ولكن الصحيح بعد ذلك أن معطيات الالتزام الجغرافى بتحديد الزمان ، تتفاوت كثيرا • وقل أن عرض الرؤية الجغرافية للوضع الراهن • فى الماضى أو فى الحاضر ، لا يلتزم بشىء غير الواقع الجغرافى ، فى المكان والزمان ، أما عرض الرؤية الجغرافية التاريخية ، فانه يلتزم بالواقع الجغرافى ، وهو فى نفس المكان ، والمتغير تغيرا مستمرا مع حركة الزمان • ولا يعنى هذا التفاوت فى الالتزام أقل من التمييز بين :

(أ) عرض صورة الواقع الجغرافى وهو شبه ثابت ، فى المكان والزمان ، كما تحدث عنه جغرافية الوضع الراهن فى الماضى ، أو فى الحاضر •

(ب) عرض صورة الواقع الجغرافى وهى غير ثابتة ، لأنها تتغير من وقت الى وقت آخر ، أو من عصر الى عصر آخر ، فى نفس المكان ، كما تحدث عنه مسألة المتابعة والاستمرار فى الجغرافية التاريخية •

ومن ثم ينبغى أن نفهم جيدا ، كيف يكون التزام الدراسة الجغرافية التاريخية بالمتغيرات التزاما مؤكدا ، لا يجوز فيه الأهمال أو التفريط ، أو التهاون • أما التزام الدراسة فى جغرافية الوضع الراهن فى الماضى أو فى الحاضر بالمتغيرات ، فلا يكون الا فى أقل حالات الاستثناء • وقل لا تثريب على جغرافية الوضع الراهن ، لو أهمل الباحث الجغرافى المتغيرات ، أو لو لم يلتفت اليها ، وأسقطها تماما من الحساب • وينبغى فى التمييز عندئذ ، بين نوعين من الدراسة الجغرافية ، وما تفضى اليه من بحوث جغرافية علمية لحساب الهدف الجغرافى ، تمييزا قاطعا • وهذان النوعان من البحوث الجغرافية هما :

أولا - بحوث جغرافية علمية ، تجسـد مفهوم الجغرافية التـاريخية وتجاوبه ، وهى تهتم وتعتنى بالمتغيرات • بل انها لا تسكت عن فعل هذه المتغيرات المؤثرة ، على الرؤية الجغرافية للظاهرة الجغرافية المعنية فى المكان المحدد ، على المدى الطويل تاريخيا آحيانا ، وجيولوجيا أحيانا آخرى •

ثانيا - بحـوث جغرافية علمية ، تجسـد مفهوم جغرافية الوضـع الراهن ، فى الماضى ، أو فى الحاضر ، وهى لا تهتم ولا تعتنى بالمتغيرات ، أو بفعلها المؤثر على الرؤية الجغرافية للظاهرة الجغرافية المعنية ، فى المكان المحـدد ، وفى الزمان المعين ، حتى لو أسـتوجب الأمر شـيئا من المرونة والتوسع المـكانى والتوسـع الزمانى ، والعـودة الى المـاضى ، فى طاب التفسير ، على صعيد المساحة المعنية •

وتجـاوب نتائج هذه البحوث الجغرافية العلمية ، فى الحالتين ، ارادة علم الجغرافية ، كما قدر لها الفـكر الجغرافى الحديث أن تكون ، وهى تجاوب الهدف الجغرافى العلمى • ولا اعتراض أبدا ، ولا اعراض بالضرورة ، عن اجراء البحوث الجغرافية ، فى ظل هذا التنوع أو الاختلاف البين ، بين مفهوم الجغرافية التاريخية ، وجغرافية الوضع الراهن • وليس أهم من أن يعرف الاجتهاد الجغرافى ، كيف يختار ، ولماذا يختار ، ومتى يختار ، أى من هذين التوجهين ، وهما يفترقان تماما ، فى حساب تحديد المدى الزمنى ، وصولا الى الهـدف الجغرافى ، الذى لا يتنـازل أبدا عن اجـراء البحث الجغرافى فى اطار تحديد ، **واضح للمكان** ، **وحاسم للزمان** •

* * *

الفصل الخامس

الفكر الجغرافي الحديث

مضى سديد في العمل الجغرافي وتطور رشيد في الهدف الجغرافي

- تمهيـــد .
- التفكير الجغرافي والعمل الجغرافي .
- التفكير الجغرافي المتفتح والتوجه الى التطوير .
- الحوار حول قضية العلاقة بين الانسان والطبيعة ، وتطوير الهدف .
- حسم الحوار بداية التطور الحقيقي في صياغة الهدف الجغرافي .

الفصل الخامس

الفكر الجغرافى الحديث

مضى سديد فى العمل الجغرافى ، وتطور رشيد فى الهدف الجغرافى

اعتبارا من أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، اعتنى الاجتهاد العلمى الجغرافى ، وهو فى كامل الرشد ، وحسن الاستماع والاستجابة المتفتحة ، لما يجول فى خاطر التفكير الجغرافى الحديث ، بالعمل العامى الجغرافى • وقل أنه يستغرق استغراقا رزينا ومتأنيا ، فى الآداء والعمل المكتبى والعمل الميدانى ، وانجاز البحوث الجغرافية ، تطلعا الى الهدف الجغرافى • وكأن التفكير الجغرافى الحديث ، وهو من وراء علم الجغرافية ، قد أفلح فى صياغة أبعاد وتوجهات الهدف الجغرافى ، صياغة مناسبة ، حتى بانت واتضحت معالمه • ولقد التزم علم الجغرافية بهذا الهدف الجغرافى التزاما كاملا ، وهو لا يشرد أو وهو لا يتمرد على موجبات الالتزام به •

التفكير الجغرافى والعمل الجغرافى :

ويتحمل الاجتهاد الجغرافى العلمى ، مسئولية العمل الجغرافى الأكاديمى على الصعيد الجامعى ، وهو شديد العناية بانجازات علم الجغرافيه العلمية • بل قل أنه قد استجاب لتوجهات الفكر الجغرافى ، وتحمس للهدف الجغرافى حماسا شديدا ، من غير تقصير • ولقد شاع وانتشر وتأكد هذا الحماس العلمى الأكاديمى للهدف الجغرافى ، على صعيد المدارس الجغرافية العلمية الوطنية ، التى كانت تتألق فى تفرغها العلمى ، وتزهو بانجازاتها وبحوثها الجغرافية العلمية الممتازة ، على الصعيد الجامعى •

وكما أثمرت جهود المدارس الجغرافية العلمية الوطنية ، على الصعيد الجامعى ، أثمرت جهود الجمعيات الجغرافية الوطنية ، التى كانت تضم الهواة، جنبا الى جنب مع المحترفين المتخصصين من الجغرافيين • وفى أحيان كثيرة ،

---

(١٥) يحتوى الفكر الجغرافى معرفة جغرافية هلامية ، تشغله من غير حدود ، أما علم الجغرافية ، فهو الذى يحتوى هذه المعرفة الجغرافية ويحدد شكلها وأبعادها ، فى الاطار العلمى المحدودة • وتظل الصلة أو العلاقة بين الفكر الجغرافى وفلسفاته وعلم الجغرافية وقواعده ، علاقة أصلية وأصولية ، لا يمكن انكارها أو استنكارها أبدا •

تضافرت جهود واجتهادات المدارس الجغرافية العلمية ، وجهود واجتهادات الجمعيات الجغرافية الوطنية ، فى دعم حسن الآداء الجغرافى ، على صعيد العمل الجغرافى المكتبى ، وعلى صعيد العمل الجغرافى الميدانى . وأنجز هذا الاجتهاد العلمى الجغرافى المشترك ، بحوثا جغرافية ممتازة ، وقدم كتابات جغرافية علمية وعملية ، راسخة ومفيدة .

وابتنى هذا الترسيخ الجغرافى العلمى المفيد ، الذى أثرى المكتبة الجغرافية المتخصصة ، على القواعد والأسس العلمية والأصول المنهجية ، التى حددت أبعاد ومعالم ومطالب الهدف الجغرافى العلمى . ولقد هيأت وسائل البحث الجغرافى ، أو أساليب ومناهج محددة متفق عليها ، أو معمول بها ، أمر الوصول الجغرافى الناجح ، فى معظم الأحوال الى جوهر هذا الهدف الجغرافى . وأحسنت هذه البحوث الجغرافية والدراسات ، واتقنت تمحيص وتأمل ودراسة الرؤية الجغرافية فى المكان والزمان . بل قل أن هذه البحوث الجغرافية ، قد أشبعت كل من تطلع فى شغف الى رصيد المعرفة الجغرافية أحيانا ، أو تطلع فى اهتمام الى رصيد البحوث الجغرافية العلمية أحيانا أخرى . وكانت هذه البحوث الجغرافية التى تجاوب الهدف الجغرافى ، قد تولت متابعة المدركات الجغرافية الحسية ، وهى تتكشف بالتفسير والتحليل عمقا واتساعا ، فى المكان والزمان .

وصحيح أن حسن صياغة الهدف الجغرافى ، كان أمرا ضروريا ، وهو يؤكد الاتجاه الجغرافى العلمى . وصحيح أن وضوح رؤية هذا الهدف الجغرافى ، والاستجابة له ، كان أمرا لا يجوز اهماله أو التفريط فيه ، لانجاز البحث الجغرافى الجيد . وصحيح أن حسن اختيار الدرب ، الذى يمضى فيه التوجه الجغرافى العلمى الرشيد ، الى الهدف الجغرافى ، كان التزاما لا يجوز تجاوزه ، حتى يتسنى الوصول ، الى الغاية أو بلوغ الهدف الجغرافى . ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو أن هذا التوجه الجغرافى الى الهدف ، قد أباح ، أو قل حفز وألزم التفكير الجغرافى ، لكى يقدم على ويفكر جيدا فى :

(أ) تطوير السبيل أو السبل والأساليب والمناهج ، تطويرا مناسبا يسعف الاقدام الجغرافى ، على جنى ثمرات المتغيرات فى مجالات التفكير الجغرافى ، وحسن الانتفاع بالمستجدات الفكرية المتألقة ، على الساحة العلمية بصفة عامة ، وعلى الساحة الجغرافية بصفة خاصة . ويجاوب ذلك الاقدام الجغرافى التطلع والبحث الرشيد ، عن الهدف الجغرافى

الأجود والمتجدد ، الذى لا ينبغى أن يتجمد ، أو أن يتوقف ساكنا عند حد معلوم .

(ب) تطوير الهدف الجغرافى العلمى ، تطويرا مناسبا ، يجاوب حاجة العصر ومتغيراته المتنوعة ، اجتماعيا ، وحضاريا ، وسياسيا ، واقتصاديا . وينبغى لن تخترق هذه الاستجابة ، أو أن تتجاوز كل دواعى وموجبات الجمود ، التى تستنكر وتتنافى تماما ، مع روح العصر ، وتألق بعض المستجدات الفكرية والعلمية ، على أوسع مدى .

التفكير الجغرافى المتفتح والتوجه الى التطوير :

كان التفكير الجغرافى ، وهو من وراء علم الجغرافية ، تفكيرا ذكيا ومتفتحا ، لا يسكت أبدا ، ولا يكف عن استيعاب المتغيرات ومتوالياتها ، فى كل مكان ، وفى كل زمان . وقل أن هذه المتغيرات البشرية ، كانت هى شغله الشاغل ، على اعتبار أنها تتعجل التغيير ولا تسكت فى أى مكان . وما من شك فى أن هذا التفكير الجغرافى المتفتح ، كان حصيفا عندما استشعر قيمة أو جدوى الاستجابة لهذه المتغيرات البشرية ، حتى لا يعيش علم الجغرافية غريبا فى زحمة التغيير ، أو فى غربة على صعيد هذا التغيير .

وكان من الضرورى أن يفطن التفكير الجغرافى ، الى معنى هذه الغربة على صعيد التغيير ، وكيف ترسخ الغربة الجمود . ولا شيء يمكن أن يفضى اليه هذا الجمود ، غير الاستعداد للتخلف ، أو للبحث عن مكان لعلم الجغرافية ، فى متحف العلوم البائدة . ومن ثم كان لا مفر أبدا ، ولا بديل عن الاقدام الجغرافى على الاستجابة لدواعى التغيير ، أو لفعل المتغيرات . ويدل التفكير الجغرافى المتفتح ، على مبلغ الاستعداد الحقيقى على استيعاب هذه المتغيرات . كما يدلل على مبلغ استعداد علم الجغرافية ، للأخذ بمنطق وفلسفات جديدة ومتجددة ، وتفضى حتما الى التطوير .

وهكذا ، ينبغى أن ندرك كيف كان هذا التوجه الجغرافى الفكرى ، الى انجاز التجهيزات والاستعدادات ، التى تفتح الأبواب أمام التطوير والأخذ بمنطق التغيير ، شيئا مهما وفعالا ، لا يجوز اهماله ، أو التهرب منه .

ولم يكن فى وسع التفكير الجغرافى أن يتجمد ، حتى يستعصى عليه توجيه علم الجغرافية الى تبنى موجبات التغيير ، أو حتى يتخلف علم الجغرافية

تخلفا مثيرا عن ركب التغيير ، الذى تفرضه وتستوجبه حاجة وروح ومنطق كل شىء فى هذا العصر .

وكان شغل التفكير الجغرافى الشاغل ، هو البحث عن نقطة البداية الأنسب والتى يبدأ من عندها هذا التوجه الجغرافى العلمى الى التطوير . ويعكف هذا التفكير الجغرافى المتفتح بكل التأنى ، على حسن استيعاب موجبات هذا التطوير . وكان وكأنه يبحث عن طرف الخيط الذى يمكن حسن استخدامه فى صياغة نسيج التغيير والتطوير ، الذى لا يؤدى الى شىء أهم من التجديد والتجويد . وتتمثل نقطة البداية ، فى رأى التفكير الجغرافى ، وهى جوهرية بالفعل ، فى تطوير الهدف الجغرافى . وبناء على تطوير الهدف الجغرافى ، يأخذ التغيير والتطوير مداه الفعلى . ويعرف علم الجغرافية ، وهو يجاوب هذا الهدف الجغرافى الجديد ، طريقه الأنسب الى التجديد والاضافة أحيانا ، والى التجويد والتألق أحيانا أخرى .

ويمثل الاقدام الفكرى الجغرافى المتفتح ، على تطوير الهدف الجغرافى ، استجابة لحاجة العصر ومتغيراته ، اقداما رزينا وغير متعجل . ويعرض هذا الاقدام الفكرى الجغرافى الرزين ، بعض أهم المستجدات ، على المساحة الجغرافية العلمية ، عرض الواثق من جدوى هذه المستجدات الفكرية الجغرافية . ويجاوب علم الجغرافية هذه المستجدات ، ويحسن استيعابها ، وهو يطور الهدف الجغرافى . وفضلا عن كونه قد أصاب أو أفاح فى هذه المهمة ، فانه لم يتخبط ، أو لم يضل أبدا ، وهو يخوض هذه التجربة التى تجدد حيويته ، وتجود فاعليته العلمية .

ويحق أن نستفسر عن دواعى الاستجابة أولا لحاجة العصر ، وعن مبلغ استجابة التفكير الجغرافى لهذه الحاجة ، التى لا يجوز التهرب منها أبدا . كما ينبغى أن نسأل عن الكيفية التى توضع بموجبها هذه الاستجابة الفكرية الجغرافية ، حتى يتهيأ علم الجغرافية ، ويصبح فى خدمة وطوع بنان ومنطق وفلسفات وتوجهات الحاجة فى هذا العصر . ثم يحق علينا ، قبل أن يحق لنا ، أن نجاوب بوضوح ، على من يسأل عن المستجدات على الساحة الجغرافية ، وكيف تأتت الدواعى التى أخذت بزمام التفكير الجغرافى ، حتى أفضى فى نهاية المطاف ، الى تطوير الهدف الجغرافى . وما من شك فى أن تطوير هذا الهدف ، هو الذى أعلن عن نشأة أو ظهور علم الجغرافية المعاصرة .

وهكذا ، ينبغى أن نبحث عن النقطة الحاسمة ، التى يتأتى عندها ،

أو يتأتى بموجبها ، التحول الحقيقى من مرحلة العناية بالهدف الجغرافى ، كما أراد له الفكر الجغرافى الحديث أن يكون ، الى مرحلة العناية بالهدف الجغرافى المتطور ، كما يريد له الفكر الجغرافى المعاصر أن يتحقق ، فيجاوب حاجة العصر ومتغيراته • وقبل بعد ذلك ، وأهم من ذلك كله ، أنه ينبغى البحث جيدا عن كنه هذا التحول ، أو عن جوهر هذا التطوير ، فى الهدف الجغرافى • ومن ثم نعرف كيف يحمل هذا التغيير الدراسة الجغرافية العلمية ، شكلا وموضوعا ، على المضى الرشيد ، فى الاتجاه العلمى السديد ، نحو الهدف الجغرافى الأفضل •

ولم يبدأ اقدام الاجتهاد الفكرى الجغرافى على هذا التحول ، أو على ابداع وانجاز دواعى وأسس تطوير الهدف الجغرافى ، أصلا من فراغ • وفى الاعتقاد الجغرافى أن هذا الاقدام ، قد أبتنى على تفتح التفكير الجغرافى ، حتى تكون الاستجابة المناسبة ، لدواعى هذا التحول ، والانشغال بها • ومع ذلك فيجب أن نثق فى أن الفكر الجغرافى الحديث ، كان قد أحتوى فى صلب أو فى جوهر مكوناته وتوجهاته ، دواعى أو موجبات الاستعداد المناسب لهذا التطور السديد • وقبل أن التفكير الجغرافى لم يكن أصلا ، على استعداد للجمود ، بل تطلع دائما الى التطور • بمعنى أن التفكير الجغرافى ، على امتداد المشوار الطويل ، وهو فى صحبة حركة الحياة الانسانية ، لا ولم ولن يكون عقيما ، أو جامدا • بل لقد برهن دائما ، على الحيوية والاصرار على التجديد والتجويد • كما يبرهن أيضا على الاستعداد الدائم للتطور ، وهو الذى لا يكف عن التأمل ، فى كنه أو جوهر المدركات الجغرافية الحسية ، وانشغاله الفكرى بها ، فى المكان والزمان •

ومن خلال الحوار الفكرى الجغرافى الرزين ، والجدل العلمى الموضوعى الهادىء ، الذى تفجره بعض التأملات ، أو هذا التمحيص ، كانت كل الدواعى والموجبات ، التى أحسنت توظيف الاستعداد الفكرى الجغرافى للتطور ، أو التى فرضت الاستجابة الرشيدة لفعل المتغيرات والاقبال على التغيير • وقبل أن هذا الحوار الفكرى الجغرافى ، قد ألهب هذا الاستعداد • وحفز التفكير الجغرافى فلم يسكت أبدا عن العمل الجاد ، لحساب التطور والتغيير • وهذا معناه ، بكل تأكيد ، أن مسألة أستيعاب المتغيرات ، التى كانت وما زالت تمليها حاجة العصر ، هو الذى يفجر الحوار الفكرى الجغرافى ، ويثير الجدل العلمى الموضوعى ، فى ظل استعدادات الوعى الجغرافى واقباله على التغيير والتطوير • ويفضى هذا الحوار الفكرى الجغرافى ، بالضرورة الى نقطة التحول • وعند هذه النقطة ، يولد الفكر الجغرافى

المعاصر ، من صلب الفكر الجغرافى الحديث • وتكون هذه الولادة طبيعية ، لا يجوز الطعن فيها ، أو الطعن فى صحة وسلامة هذا النسب ، أو التشكيك فيــه •

وعندئذ ، ينبغى أن نستفسر عن القضية أو القضايا ، التى تثير هذا الجدل ، أو التى تفجر هذا الحوار المثمر • وصحيح أن هذا الحوار الفكرى الجغرافى قد تناول أكثر من قضية من القضايا ، التى تجســد اهتمامات العناية الجغرافية بالأرض ، وبالانسان فى ربوع الأرض ، وبالتفاعل الحياتى والعلاقة بين الانسان والأرض • ولكن الصحيح أن تقصى حقيقة هذه العلاقة وهى تسفر عن التفاعل الحياتى ، هو الذى يجسد أهم القضايا ، التى كانت تستحق هذا الجدل والحوار الفكرى الجغرافى • وقل أن هذه العلاقة وهى التى تتخذ شــكلا من أشكال المواجهــة ، وتجرى فى اطار هــذه العلاقة ، بين الانسان وهو يطلب التعايش فى المكان والزمان من ناحية ، والأرض وهى التى تجاوب أحيانا ، أو التى تماطل أحيانا أخرى فى الاستجابة لهذا الطلب من ناحية أخرى ، قد ألهبت هذا الحوار الفكرى الجغرافى • بل قل أنها هى التى تفجر ديناميكية هذا الحوار الفكرى الجغرافى ، تفجيرا أفضى الى التوجه الحاســم نحو هذا التحــول ، أو التغيير فى الهدف الجغرافى ، الى ما هو أعمق ، وأكثر جدوى • وتعجل ديناميكية هذا الجدل ، أو هذا الحوار ، بولادة الفكر الجغرافى المعاصر • وينحسر الفكر الجغرافى الحديث ويقدم تنازلاته • ونتألق اتجاهات واهتمامات وآداء علم الجغرافية المعاصرة ، لحساب التجديد والتجويد الجغرافى بصفة عامة •

الحوار حول قضية العلاقة بين الانسان والطبيعة :

فى هــذا الحوار الفــكرى الجغرافى ، اتفقت كل الأطراف الجغرافيــة المعنية والمشتركة ، على أن العلاقة بين الانسان والأرض ، من أجل التعايش ، تستوجب المواجهة بينهما ، فى المكان ، من حين الى حين آخر • ولا تفضى هذه المواجهة ، بين عناصر الطبيعة ، وهى التى تتغير ولا تعرف الثبات فى المكان والزمان من ناحية ، ومهارات الانســـان المتنوعة ، وهى التى تتغير أيضا فى المكان والزمان من أجل التعايش من ناحية أخرى ، الى شىء أهم من صنع وابداع التغيير والمتغيرات • وبناء على تكرار هذه المواجهة من حين الى حين آخر ، كلما استجدت بعض المتغيرات ، تحافظ هذه العلاقة بين الانسان والأرض على دواعى ومقومات ديناميكية التغيير • وبنـــاء على المحافظة على هذه الديناميكية ، تكون هذه المواجهة فى المكان والزمان حتميــة ، وتتكرر

مع تكرار دواعى التغيير من أجل حسم وانهاء هذه المواجهة فى نفس المكان ، من حين الى حين آخر ، لحساب الانسان ٠

وفى هذا الحوار الفكرى الجغرافى ٠ اتفقت الأطراف المعنية ، على أن العلاقة بين الانسان والارض هى علاقة تبعيه ٠ بمعنى أن يكون هناك التابع وهناك المتبوع ٠ ومن ثم يكون التصور الذى يوقع التابع فى قبضة المتبوع ويفرض عليه أن يمتثل ٠

وفى هذا الحوار الجغرافى الفكرى ، اختلفت الأطراف المعنية ، على من كان فى وسعه ، من خلال المواجهـــة أن يفرض التغيير ، وينهى المواجهـة لصالحه ، فى المـكان والزمان ٠ وانحازت بعض الأطراف فى هذا الحوار الى صف الطبيعة أو الأرض ، وانحازت بعض الأطراف الى صف الانسان٠ واعتمد كل طرف فى انحيازه على ، حساب قدرات وامكانيات الفعـــل فى الصف الذى انحاز اليه ٠ ومع ذلك كان ينبغى أن يصل هـــذا الحوار الفكرى الى الاتفاق فى نهاية المطاف ، الى رأى حاسم ، ينهى ، أو يفض هذا الاختلاف ، حول محصلة التفاعل الحياتى ، والعلاقة بين الانسان والأرض ٠

وكان من الضرورى ، أن يبتنى هذا الرأى الحاسم ، على تصور معقول ومتوازن ، لموقف وامكانيات ، أطراف المواجهة ، وهى التى تتكرر فى نفس المكان ، استجابة للمتغـــيرات وديناميكية التغيير ، من حين الى حين آخر ٠ وليس أقل من أن يجسد هـــذا التصور المتوازن ، مهارات الانسان وهـــو لا يستدبر الطبيعة ، ولا يترك لها أن تخذله ، أو أن تتلاعب به وبحياته فى المكان من جانب ، وفعل الطبيعة وقوتها ، وهى لا تصرف النظر عن حضور الانسان ، ولا تترك له أن يعبث بها ، أو أن يعيث فى المـكان فســادا من جانب آخر ٠ بمعنى وجوب الوصول ، فى اطار هذا التصور المتوازن ، الى :

(أ) معنى استمرار العلاقة ، بين الانسان والأرض ، وحتمية المواجهة بينهما فى المكان والزمان من أجل التعايش ٠

(ب) توقع حدوث هذه المواجهة المتكررة ، فى نفس المكان ، من حين الى حين آخر ، فى اطار فعل وفاعلية وتفاعل المتغيرات المتبادلة بين أطرافها المعنيين ٠

وانطلاقا من هذه الرؤية الفكرية الجغرافية لهذه المواجهة ، ومن الرأى الجغرافى عن أطرافهـــا المعنيين ، تفاوتت أحـكام ووجهـات نظر الاجتهـاد

الجغرافى ، تفاوتا شديدا • وانزلق هذا التفاوت الذى ابتنى على التقويم فى خطيئة التعصب ، لطرف من الطرفين • وقل اختلفت هـــذه الآراء ، وتصارعت واســـتغرقت فى ســـيل جارف من الجـــدل والحوار الفكرى الجغرافى • ومن خـــلال التعصب للرأى الجغرافى ، انكب الجـدل العلمى ، والحوار الفكرى الجغرافى فى ســـيل من المغالطات والمبالغـــات والتنـــاقض الشديد ، وهو يطالع أو وهو يتعقب أبعـــاد هذه المواجهة بين الانســـان والطبيعة ، فى المـــكان والزمان • كمـــا استغرق فى محصـــلة التعصب والانحياز ، وهو يتامس الكيفية التى تتكرر بموجبها هذه المواجهة فى نفس المكان ، من عصر الى عصر آخر ، والـكيفية التى يحسم بموجبهـــا هـــذا التكرار ، لحساب الاســـان والتعايش المستمر فى المـكان • ولقـد أثرت البحوث الجغرافية التى أسفر عنهـــا هـــذا الحوار الفـكرى الجغرافى ، علم الجغرافية بصفة عامة • وقل أنها أضافت شيئا مفيدا الى الرصيد الجغرافى الفكرى والعلمى ، على حـــد سواء • ويكفى أن نذكر كيف أثارت هـــذه المحاورات مسألة الاتجـــاه الى **التقويم الجغرافى** ، وحساب جـدوى قدرات الأطراف المعنية فى المواجهة ، بين الانسان والطبيعة •

وأصاب الاجتهاد الجغرافى ، الذي أثار هـــذا الجدل العلمى ، أو الذى أجرى هذا الحوار الفكرى ، عندما عاين جولات المصارعة أو المواجهة ، بين الانسان والطبيعة ، على صعيد الأرض ، فى ظل عـــلاقة لا يمكن أن تنفصم أبدا • كما أصاب هذا الاجتهاد الجغرافى أيضا ، فى الجدل والحوار الفكرى ، عندما أقر بتكرار أو بحتمية هذا التكرار بين أطراف المواجهة ، فى المكان ، من حين الى حين آخر ، وعندما أقر بالوصول فى أعقاب كل جولة من جولات المواجهة الى نتيجة مناسبة ، يبتنى عليها فى كل مرة قواعد التعايش ، أو أسس المصالحة بينهما ، فى المكان والزمان • ولكن يتجنى الاجتهاد الجغرافى الفكرى ، ويقع فى أســـوأ الخطأ ، عندما ينحاز من خـــلال الحوار الفكرى الجغرافى متعمدا الى طرف من أطراف هـــذه المواجهة ، على حســـاب الطرف الآخر ، فى المكان والزمان •

وتأسيسا على هذا المبدأ ، الذى انكب على وجهه ، فى خطيئة الانحيـــاز من غير حق ، الى أحد الطرفين فى هذه المواجهة ، افترقت وجهـــات النظر الجغرافية ، وافتقـــد الرأى الجغرافى موجبات التصور المتوازن عنهمـــا • وتأسيسا على تناقض الآراء الجغرافية ، تمضى وجهـــات النظر الجغرافية على دربين متباينين ، فى صحبة التعصب والانحياز • ويمضى هـــذا الانحياز ، على النحو التالى :

(أ) على درب من هـذين الدربين ، لم يلتزم الاجتهاد الجغرافى الفكرى ، وهو ينحاز ، بل وهو لا يتجرد من خطيئة التعصب ، ولا يعتنى بالتصور المتوازن لأطراف المواجهة ، الى تصور ، يجرد الطبيعة من قوة الفعل ، وواقعية التغيير فى اطار هذا الفعل ، ويترك للانسان الحبل على الغارب .

(ب) على الدرب الآخر ، لم يلتزم الاجتهاد الجغرافى الفكرى ، وهو ينحاز ، بل وهو لا يتجرد من خطيئة التعصب ، ولا يعتنى بالتصور المتوازن لأطراف المواجهة ، ويصل الى تصور يجرد الانسان من مهاراته ، وواقعية التغيير فى اطار هذه المهارات ، ويترك للطبيعة الحبل على الغارب .

وذهب كل رأى من هـذين الرأيين ، مذهبا منحازا(١٦) ومتحمسا لرؤية المواجهة التى تتكرر بين الانسان والأرض ، من حين الى حين آخر . وقل أطل كل رأى منهما ، على أطراف هذه المواجهة ، من زاوية الانحياز والتعصب الضيقة . ومن شأن هذه النظرة الضيقة ، أن تضيق الخناق على انحياز ، كل من أطل على هذه المواجهة ، وأدلى برأى عن أطرافها ، فى المكان والزمان . وكان حتما أن يضل ، من تصور بناء على هـذه النظرة الضيقة المستغرقة فى الانحياز ، وهو يباشر ويقوم ويحسب عناصر الحسم ، التى تسفر عن نتائج الفعل ورد الفعل من المتغيرات ، وتصنع جدوى هـذه المواجهة . كما يضل أيضا ، وهو يتصور كيف تضع هـذه النتائج قواعد التعايش الأنسب ، بين الانسان والطبيعة فى ربوع الأرض ، فى شكلها وجوهرها الصحيح ، على صعيد المكان والزمان .

واتجه فريق جغرافى برأيه المنحاز ، وبحثه الجغرافى المتعصب ، الى حشد الحجج والبراهين لكى يدلل على قوة فعل الطبيعة ، ومبلغ تأثير متغيراتها المتوقعة ، فى المكان والزمان . كما كان يدلل على أنها هى التى فى وسعها أن تضبط حركة الحياة ، وليس على الانسان أو على حركة الحياة ، الا أن تنضبط انضباطا يطاوع الطبيعة . وأهدر هـذا التوجه المنحاز ، مهارات الانسان ، وفاعلية وسائله الحضارية . كما أهدر تقويم المتغيرات البشرية ، ولم يعمل لها الحساب الذى تستحقه جدوى هـذه المتغيرات ، فى المكان والزمان .

واتجه فريق جغرافى آخر برأيه المنحاز ، وبحثه الجغرافى المتعصب ، الى حشد الحجج والبراهين ، لكى يدلل على قوة فعل الانسان ، ومبلغ تأثير

---

(١٦) الشامى ، صلاح الدين : الندية بين الطبيعة والانسان ، الكويت ، ١٩٨٥ .

متغيراته المتوقعة ، في المكان والزمان • كما كان يدلل على أنها ، هي التي في وسعها أن تضبط عناصر الطبيعة في ربوع الأرض ، وليس على الطبيعة الا أن تنضبط انضباطا يطاوع الانسان ، وأن تستسلم لمهاراته أو لوسائله الحضارية الفاعلة • وأهدر هذا التوجه المنحاز ، قوة فعل الطبيعة ، وفاعلية عناصرها المؤثرة • كما أهدر أيضا ، مبلغ تأثير متغيراتها ولم يعمل لها الحساب ، الذي تستحقه جدوى هذه المتغيرات ، في المكان والزمان •

وأثرى هذا الجدل بين هذين الفريقين ، الحوار الجغرافي الفكري ، اثراء كبيرا ومتألقا • وأضاف البحث الجغرافي اضافات جيدة تستحق الاهتمام ، الى الرصيد الجغرافي العلمي والفكري ، على حد سواء • وبرهنت نتائج هذه البحوث الجغرافية عن محاولات أولية في التقويم ، وابداء الرأى في الرؤية الجغرافية • ومع ذلك برهنت بحوث جغرافية كثيرة ، كانت غارقة ومستغرقة في الحتم الجغرافي ، عن انحياز فاضح الى صف الطبيعة • وكان ينبغي ابداء كثير من التحفظات على هذا الانحياز ونتائجه • كما برهنت بحوث جغرافية كثيرة أخرى ، كانت متورطة في الامكانية الجغرافية ، على تحيز أو تعصب مفضوح الى صف الانسان • وكان ينبغي أيضا ابداء الكثير من التحفظات على هذا التعصب ونتائجه •

حسم الحوار وبداية التطور الحقيقي في الهدف الجغرافي :

وأسفر هذا الجدل والحورا الجغرافي الفكري ، الذي يتمادى في الانحياز والتعصب ، على الوجهين المتناقضين ، عن ظهور الرأى الجغرافي المتحفظ • ويتجنب هذا الرأى المتحفظ الوقوع في خطيئة التعصب والانحياز • بل قل أن هذا الرأى الجغرافي المتحفظ ، قد أعرض عن كل موجبات الانحياز والتعصب • وأبدى هذا الرأى الرزين قدرا مناسبا من التحفظ ، على تصور قوة فعل الطبيعة ومتغيراتها الفاعلة في ربوع الأرض في جانب ، وعلى تصور قوة فعل وسائل الانسان ومتغيراته الفاعلة في ربوع الأرض ، في جانب آخر •

وبناء على شيء من حسن التقويم الجغرافي ، الذي يطالع العلاقة بين الانسان والأرض ، ويحسب حساب قوة فعل كل منهما ، كان الرأى الجغرافي المتحفظ • وهذا الرأى المتحفظ ، هو الذي يستهجن الانحياز تماما ويتجنبه ، وهو الذي يحسن استيعاب أبعاد المواجهة بين الانسان والأرض • في المكان والزمان ، وهو الذي يحسب حساب الجدوى وعينه لا تغفل عن قوة فعل أطراف هذه المواجهة • وكان هذا الاتجاه الجديد ، قد

تأتى ، فى تقويم جغرافى أفضـــل للرؤية الجغرافيـــة ، ولم يتـورط فى الانحياز • بل قل أن هذا هو الرأى السليم الذى أعرض عن تصور العلاقة وهى علاقة تبعية • بضبط فيها المتبوع وينضبط المتابع ، وأقبل على تصور العلاقة ، وهى علاقة بين ندين متكافئين فى قوة الضبط والانضباط المتبادل•

ويتعمد هذا الانجـــاه الجغرافى الجديد ، الانتصـار لفكرة جغرافيـــة متوازنة ورزينة متحفظة ، لا تقع فى ورطة الانحياز • وتصور هذه الفكرة الجغرافية المتوازنة ، من خلال التمعن فى المواجهة ، وحسن تقويم نتائجهـا كلما تكررت على صعيد نفس المـــكان ، من حين الى حين آخر • مسألتين هامتين هما :

(أ) قوة فعل الطبيعة المباشر وغير المباشر ، ومبلغ تأثير متغيراتها وكيف أنها فى نهاية الأمر تضبط وتنضبط •

(ب) قوة فعل وسائل الانســـان المباشر وغـير المباشر ، ومبلغ تأثير متغيراتها ، وكيف أنه فى نهاية الأمر ، يضبط وينضبط •

ويسفر مفهوم هذا الضبط والانضباط المتبادل ، فى اطار المواجهة ، كلما تأتت على صعيد الأرض فى المكان والزمان ، عن فهم جيد للعلاقة بين الانسان فى ربوع الأرض ، والطبيعة فى هذه الأرض ، وعن تصور جغرافى يتبين كيف تمضى هذه العلاقة ، وما الذى تفضى اليه نتيجة المواجهة ، فى المكان والزمان • كما تسفر أيضا ، عن تصور مفهوم المصالحة بينهما بعـد انهاء المواجهة وحسم الموقف ، وكيف يبتنى الحـد الأنسب ، الذى يرسخ هذه المصالحة بين أطراف المواجهة ، لحساب التعايش فى المـكان والزمان • ومن خلال رصد التكرار وتجدد الأوضاع التى تستوجب المواجهة فى نفس المكان من حين الى حين آخر ، يتبين الرأى الجغرافى • كيف أن المصالحة تمثل حدا قابلا للتغير فى المكان ، لحساب أحد الأطراف ، بعد كل جولة من جولات المواجهة ، التى تتكرر من حين الى حين آخر •

ولحساب هـذا الفهم الجغرافى ، أدرك الفـكر الجغرافى المتفتح ، مبلغ الحاجة الى الرأى الجغرافى السديد ، الذى يصـــدر حكما على العـلاقة بين الانسان والطبيعة فى ربوع الأرض ، وهما على صعيد المواجهة ، أو بعد أن تنتهى هذه المواجهة ، بانشاء الحد الجديد للمصالحة بينهما • ولا شىء يوفر هذا الرأى الجغرافى الأنسب ، ويسدد خطاه ، فلا يقع فى خطيئة الانحياز ، أفضل من حسن التقويم الجغرافى •

وحسن توظيف التقويم الجغرافى ، يكون مطلوبا بالضرورة ، للحكم السليم على قوة فعل الطبيعة ومتغيراتها وحساب مدى القدرة على الضبط فى المكان والزمان ، ومبلغ الاستعداد فى المقابل ، للانضباط استجابة لمهارة فعل الانسان ومتغيراته • كما يكون حسن التقويم الجغرافى مطلوبا مرة أخرى ، للحكم السليم ، على مهارة فعل الانسان ، وحساب مبلغ القدرة على الضبط ، وحساب مدى الاستعداد للانضباط ، استجابة لقوة فعل الطبيعة ومتغيراتها •

وفى الاعتقاد الجغرافى السائد ، على صعيد التفكير الجغرافى الرشيد أن اضافة هذا التقويم الجغرافى الى اهتمامات الاجتهاد الجغرافى ، يمثل اضافة مثيرة • وقل آنها تمثل خطوة مهمة وفعالة ، وهى التى تضيف الى العناية الجغرافية بالتوزيع ، وبالتعليل ، وبالربط ، شيئا مفيدا وغاية فى الأهمية • ذلك أن هذا التقويم الجغرافى يصطنع بعدا جديدا ، من الأبعاد التى يزداد بموجبها البحث الجغرافى عمقا • بل قل أنه يفتح الطريق أمام حسن ابداء وحسن صياغة الرأى الجغرافى السديد • وهو الذى يؤدى - فى نهاية المطاف - الى تأكيد التزام الاجتهاد الجغرافى بحسن حساب جدوى كل العناصر ، لكى تكون العناية الجغرافية ، لحساب الانسان وانتصاراته ، أو لحساب سيادته المتفردة ، على صعيد الأرض ، فى المكان ، وفى الزمان •

وتوظيف التقويم الجغرافى وحسن استخدامه فى صياغة الرأى الجغرافى ، واضافته الى أبعاد دراسية أخرى ، وهى تتناول الظاهرة الجغرافية أو الموضوع الجغرافى ، قد أفضى الى نقطة التحول فى عام الجغرافية • ولقد سجلت نقطة التحول ، بدايات التألق فى الفكر الجغرافى المعاصر وعلامات الانحسار المرتقب فى الفكر الجغرافى الحديث • واستوجبت بدايات هذا التألق فى الفكر الجغرافى المعاصر ، اعادة النظر بكل التأنى ، فى الهدف الجغرافى شكلا وموضوعا ، من أجل تطويره • والفرق كبير جدا ، بين دراسة جغرافية ، أو انجاز بحث جغرافى ، من خلال التوزيع والتعليل والربط ، حسب مفاهيم الفكر الجغرافى الحديث ، الذى لا يبادر الى عرض الرأى الجغرافى ، ودراسة جغرافية ، أو انجاز بحث جغرافى ، من خلال التوزيع والتعليل والربط ، والتقويم حسب مفاهيم الفكر الجغرافى المعاصر ، الذى يعتنى بابداء الرأى الجغرافى • بل قل الفرق كبير جدا ، بين بحوث تجسد الرؤية الجغرافية فقط ، وبحوث مستحدثة تضيف الرأى الجغرافى السديد ، تعقيبا على هذه الرؤية الجغرافية •

ومهما يكن من أمر ، فان اقدام الاجتهاد الجغرافى العلمى ، على حسن الاستماع لمفاهيم الفكر الجغرافى المعـــاصر ، كان اقداما يتفجر بالحيـوية ، وحسن العناية باجراء التقويم الجغرافى • ولقد هيأ ذلك كل أسباب أو كل موجبات الاستعداد الجغرافى الرشيد ، للتجديد والمتجويد ، الذى يثرى به البحث الجغرافى ، وتقصى الحقيقة الجغرافية • كمـا هيأ أيضـا ، الاستعداد الجغرافى العلمى والعملى ، لمبـــاشرة الآداء والعمل الجغرافى ، فى الحقـــل الجغرافى التطبيقى(١٧) •

ويفتح هذا الاستعداد الجغرافى — على كل حال — آفاقا جـــديدة فى مجالات كل القضايا الحيوية • وتمثل هذه القضايا ، كما كانت من قبل ، الشغل الشاغل للباحث الجغرافى ، عن الأرض ، وعن الانســـان فى ربوع الأرض ، وعن التفاعل الحياتى بين الانســـان والأرض • وقل تتفتح أبواب الخروج الجغرافى العلمى المتفتح ، من جمـــود النظرية ، الى مرونة التطبيق الجغرافى • ولا تسفر مرونة التطبيق الجغرافى العلمى والعملى ، عن شىء مثير، أهم من الاسهام الجغرافى الحقيقى ، فى توفير وصياغة النتـائج الجغرافية ، التى تنتفع بها حركة الحياة ، وسيادة الانســان على الأرض ، أو التى تؤمن حضور الانسان ومصيره ، فى ربوع الأرض ، فى المكان وفى الزمان •

---

(١٧) الشامى ، صلاح الدين : التقويم الجغرافى ، انطلاقة التجديد والتجويد فى العمل الجغرافية — مجلة كلية الآداب — جامعة صنعاء — سنة ١٩٨٢ •

الفصل السادس

التقويم الجغرافى . . . .
والمضى فى تطوير الهدف

- تمهيـــــد
- التقويم الجغرافى وتجاوز الرؤية الجغرافية الى الرأى الجغرافى
- التقويم الجغرافى والعمل التطبيقى
- العمل الجغرافى التطبيقى فى خدمة التنمية الشاملة

الفصـل السادس

التقويم الجغرافى ، والمضى فى تطوير الهدف

ينبغى أن نتفق ، ولا نختلف أبدا على أن الاجتهاد الجغرافى العلمى ، يكون فى وسعه ، وتسعفه الوسيلة والمنهج دائما ، وهـو يتناول الظاهرة الجغرافية المعنية فى المكان والزمان ، أن يجسد الرؤية الجغرافية ، تجسيدا مناسبا ٠ وكلما أحسن هذا الاجتهاد الجغرافى العلمى ، وأجاد فى توظيف التوزيع والتعليل والربط ، فى أجزاء الدراسة الجغرافية المتأنية ، أفلح فى وضوح هذه الرؤية الجغرافية ، وفى تجويد التعبير عنهـا ، على صـعيد المساحة المعنية ٠ وكم أجاد الاجتهاد الجغرافى فى مجـالات حسن توظيف سعة الاطلاع وحسن الانتفاع بالدراسة المكتبية ، وفى مجـالات حسن أداء العمل الجغرافى الحقلى ، من أجل هذا التجويد فى البحث الجغرافى

ووضوح الرؤية الجغرافية على صعيد المساحة المعنية ، وحسن بيـان أبعادها من خلال التوزيع والتعليـل والربط ، وجودة التعبـير الجغرافى عنها ، كان هو غاية ما كانت ترنو اليه الجغرافية الحـديثة ٠ بل قل أن الوضوح وحسن البيان وجودة التعبير ، كان هـو الانجاز المناسب ، الذى جاوب الهدف الجغرافى ٠ وما استوجب هـذا الهدف الجغرافى من الباحث شيئا أهم من جمع أوصال الرؤية الجغرافية ، عن الظاهرة الجغرافية المعنية ، او عن الموضوع الجغرافى ٠

التقويم الجغرافى وتجاوز الرؤية الجغرافية الى الرأى الجغرافى :

ولكن ما أن أقدمت الجغرافية المعاصرة على العناية والاهتمـام الذى تجاوز حدود التوزيع والتعليل والربط ، وانهمك فى التقـويم الجغرافى ، حتى تطور الهدف الجغرافى ٠ ولقد تأتت بناء على هذه الاضافة المهمة ، كل دواعى التجديد والتجويد فى العمل الجغرافى ٠ وحملت هذه الاضافة التى تتمثل فى التقويم الجغرافى ، الاجتهاد الجغرافى مسئولية ، الانتقـال من مجرد عرض الرؤية الجغرافيـة الى ابداء الرأى الجغرافى الصريح فى هـذه الرؤية ٠ ومن خلال تطور الهدف الجغرافى ، يأتى الالحـاح فى طلب هـذا الرأى الجغرافى ٠

ويكون هـــذا الرأى الجغرافى الصريح أو الحصيف ، امتدادا للرؤية الجغرافية ، وتعليقا عليها ، وتعقيبا على حسن تقويمها ، فى المكان والزمان . وقل أنه يمثل الاضافة الجادة ، التى لا يجوز الاستخفاف بهـا ، وهى التى تكفل التجويد أحيانا ، أو وهى التى تكفل التجديد أحيانا أخرى . ولا شىء يمكن أن يجسد الرأى الجغرافى فيما تعبر عنه الرؤية الجغرافية المعنية فى المكان والزمان ، أو فيما تنبىء به ، غير اقدام الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، على حسن توظيف التقـويم الجغرافى ، وعـلى حسن ابداء الرأى الجغرافى القاطع عن الظاهرة الجغرافية ، أو عن الرؤية الجغرافية المعنية. وحسن عرض الصورة الجغرافية ، يجاوب جزءا من الهدف الجغرافى ، وابداء الرأى الجغرافى فى هذه الصورة الجغرافية ، يحقق كل الهدف الجغرافى .

وفى الاعتقاد الجغرافى المعاصر ، أن الرؤية الجغرافية ، التى يعرضها البحث الجغرافى عرضا جادا وجيدا ، تكون مفيدة ومطلوبة . بل لا يجوز اهمال هذا العرض الجيـد ، أو التفريط فى المنهج ، أو فى حسن التوجـه الجغرافى ، الذى يتحلى بالمهارة ، فى جمع ولم شمل مكونات هـذه الرؤية الجغرافية . ولكن الرؤية الجغرافية ، التى يضاف اليهـا ، أو التى يبتنى عليها الرأى الجغرافى ، وهو الذى يقدر قيمة هذه الرؤية ، فى المكان وفى الزمان ، تكون أكثر فائدة وأكثر موضوعية ، من وجهة النظر الجغرافية . بمعنى أن رؤية جغرافية يتبعها رأى جغرافى يعبر عن قيمة هذه الرؤية فى المكان والزمان ، تكون أتم وأنفع من رؤية جغرافية متجردة تماما ، من هذا الرأى الجغرافى .

وما من شك ، فى أن الرأى الجغرافى ، الذى يقـول شـيئا مهمـا وقاطعا ، عن قيمة الرؤية الجغرافية . يعرف جيدا ، ماذا وكيف ومتى يقول هذا الحكم ، وهو يقدر قيمة هذه الرؤية الجغرافية ، لحساب الانسان . وقل أن الهدف الجغرافى ، قد تطور تطورا مناسـبا ، يناسب هـذه الاضـافة الجيدة ، التى يتقدم بها ، أو التى يسفر عنها هذا الرأى الجغرافى . وهـذا معناه ، أن الرأى الجغرافى الذى لا يبدأ من فراغ ، بل هو يبتنى على صاحب الرؤية الجغرافيـة ، كان لا ينتهى أبدا ، أو كان لا يتـأتى ، من غـير غاية منشودة . وتجاوب هـذه الغـاية المقصودة جغرافيـا ، الهدف الجغرافى ، وصلب جوهره المعاصر .

ومن غير الاستغراق العميق فى جـوهر المنطق الجغرافى الموضـوعى المعاصر ، أو فى كنه الفلسفات الفكرية الجغرافية المعـاصرة ، التى وجهت

وتوجه البصيرة الى التقويم الجغرافى ، وأنبتته وتنبته نباتا حسنا لحساب الرأى الجغرافى واضافته المفيدة عن الرؤية الجغرافية المعنية ، ينبغى أن نشير الى حقيقة هامة ، عن هذا التوجه الجغرافى المعاصر الحميد . وتجسد هذه الحقيقة معنى التحول من الاعتماد الجغرافى على البصر فى المعاينة فقط ، الى الاعتماد على البصر فى هذه المعاينة ، وعلى البصيرة فى ابداء الرأى ، والحكم على هذه المعاينة الجغرافية ، فى المكان والزمان .

وتأتى هذا التحول حقيقة ، عندما استشعر الاجتهاد الجغرافى العلمى وهو يتناول التعامل . بين الانسان والأرض ، من أجل جنى ثمرات استخدام الأرض ، وترسيخ حضور الانسان وتأمين تعايشه ، وتقوية قبضته ، فى المكان والزمان ، التفاوت الكبير فى مستويات هذا التعامل ، وفى نتائجه . وكان هذا التفاوت فى مستويات التعامل فى المكان من عصر الى عصر آخر ، من أهم الدواعى التى كانت تستوجب وقفة التأمل وحساب الجدوى ، التى يسفر عنها التقويم الجغرافى . وسواء توجه هـذا التقويم الجغرافى ، الى حساب أبعاد هذا التفاوت ، أو توجه الى تقويم مستويات هذا التفاوت ، وصولا الى جوهره الحقيقى ، فانه قد أحسن توجيه هذا التقويم الجغرافى . ولقد استوجب حسن توجيه التقويم الجغرافى ، توجيه عناية الباحث الجغرافى ، الى حصر وبيان المسئول الحقيقى عن مثل هـذا التفاوت ، ومبلغ اختلاف مستوياته ، فى المكان والزمان .

وأرجع على سبيل المثال — الى توجهات الاجتهاد الجغرافى العلمى . الذى يخرج الى الميدان ، أو الى الحقل ، لانجاز العمل الجغرافى . وأعلم أنه يطل بالعين الجغرافية الواعية ، على استخدامات الانسان للأرض ، ثم يطل بالبصيرة الجغرافية عليها ، لكى يقوم ويحكم على :

(أ) مهارات وخبرات الانسان ، فى صحبة العمل والوسيلة ، التى تسعفه فى طلب انتاج الموارد المتاحة ، على أى شكل وفى أى وضع .

(ب) مهارات وخبرات الانسان ، فى صحبة العمل والوسيلة ، التى تسعفه فى طلب السكن والحضور فى ربوع الريف ، أو فى ربوع الحضر .

(ج) مهارات وخبرات الانسان ، فى صحبة العمل والوسيلة ، التى تسعفه فى طلب الخدمات أو فى توفير المرافق وكل الميسرات ، التى تؤمن حركة الحياة .

وكان حتما على هذه العين الجغرافية الواعية ، وهى ترقب ذلك كله ، أن تكون مدققة بالفعل ، ولا ينبغى أن تتوقف عند حد الاكتفاء بالرؤية الجغرافية • بل كان من الضرورى أن تكون البصيرة الجغرافية التى تعلن عن الرأى الجغرافى ، واصدار الحكم الجغرافى عن هذه الاستخدامات • وقل أن طلب هذا الحكم على هذه الاستخدامات ، وهى تلبى مطالب الانسان فى المكان والزمان ، هو الذى استوجب التقويم الجغرافى ، حتى يتسنى تقويم هذه الاستخدامات ومستوياتها تقويما جغرافيا كاشفا ، لمبلغ التفاوت بين هذه المستويات • ومن خلال هذا التقويم الجغرافى الذى يعتمد على كفاءة البصيرة الجغرافية ، يعرف الاجتهاد الجغرافى ، كيف يميز بين الاستخدام الجائر ، والاستخدام الردىء ، والاستخدام التقليدى الجامد ، والاستخدام الجيد المتطور • بل قل أن هذا التقويم الجغرافى ، كان فى وسعه ما يلى :

(أ) أن يرشد البحث الجغرافى عن حقيقة وأبعاد التفاوت فى مستويات التعامل بين الانسان والأرض ، حتى يحسب كفاءة هذا التعامل على كل المستويات •

(ب) أن يسدد الرأى الجغرافى الكاشف ، عن سلبيات وايجابيات التعامل بين الانسان والأرض ، على كافة المستويات المتفاوتة •

التقويم والعمل الجغرافى التطبيقى :

يخرج التقويم الجغرافى خير ما فى جعبة البصيرة الجغرافية المتفتحة • وهو فى الاعتقاد الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، خير ما يرشد الرأى الجغرافى لكى يضيف شيئا مهما الى نتائج البحث الجغرافى ، أو لكى يبتنى نتيجة مفيدة ومناسبة ، على حسن معاينة الرؤية الجغرافية ، فى المكان والزمان • وقل أن الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، قد اتخذ من التقويم الجغرافى ، وسيلة عمل جغرافى ، انطلق بموجبها أو حلق بها فى آفاق التجديد والتجويد • ويجاوب هذا التقويم الجغرافى الهدف الجغرافى ، فى أبعاده الجديدة المتطورة ، وهو يلبى حاجة العصر ، والمتغيرات التى لا تسكت فى نفس المكان، من عصر الى عصر آخر •

وفى نفس الوقت الذى يأخذ فيه هذا الفكر الجغرافى ، بمنطق وفلسفة وتوجيهات التقويم الجغرافى ، ويضعه أمانة غالية فى عنق الاجتهاد الجغرافى .

يتأتى التحول الحقيقى عن فلسفة الفكر الجغرافى الحديث ، والاقبال المتفتح على فلسفة الفكر الجغرافى المعاصر • ولم يهمل هذا الاجتهاد الجغرافى المعاصر أبدا ، ولم يتخاذل فى أمر من أمور العناية ، بقضية انجاز البحث ، من خلال التقويم الجغرافى ، وتسجيل الرأى الجغرافى • وأصبحت عناية الباحث الجغرافى بالظاهرة الجغرافية المعنية ، أو بالموضوع الجغرافى ، عناية أكثر عمقا واتساعا • وسواء كانت الدراسة الجغرافية ، طبيعة تتعلق بخواص ومواصفات الأرض ، أو كانت الدراسة الجغرافية ، بشرية تتعلق بالانسان وحركة الحياة والسيادة على الأرض ، فانها لا تجد مبررا واحدا ، لكى تتوقف عند حد التوزيع ، والتعليل ، والربط ، فقط • بل قل انها أصبحت ملتزمة بتجاوز هذا الحد ، حتى لا ينتهى البحث الجغرافى ، دون العناية بالتقويم الجغرافى • ومن ثم يكون ابداء الرأى الجغرافى ، هو بداية الحكم الجغرافى المعلن صراحة ، لحساب الانسان •

ولا يبتنى التقويم الجغرافى ، بما فى ذلك تقويم التعامل بين الانسان والأرض ، وتقويم مستويات هذا التعامل أو الاستخدام ، على غير أساس . ولا يمكن أن يبدأ من فراغ • بل هو تقويم جغرافى ، يستوجب معرفة جغرافية متخصصة ، بالأرض لكى يبتنى عليها ، تقويم خواصها وضوابطها ، وحساب استعداداتها للضبط وللانضباط ، فى وقت واحد • كما هو تقويم جغرافى ، يستوجب معرفة جغرافية متخصصة ، بالانسان وحركة الحياة . لكى يتبنى عليها تقويم أدواته ووسائله الحضارية المادية والمعنوية وضوابطه وحساب استعداداته للضبط وللانضباط فى وقت واحد •

وينبغى أن تمضى عملية التقويم الجغرافى الى آخر المدى ، لكى تحسب حسابات الجدوى للعلاقات السوية ، من خلال الضبط والانضباط المتبادل، التى تنشأ من أجل التعامل بين الانسان والأرض • كما يجب أن يعتنى التقويم بتوجهات هذا التعامل والاستخدامات ، وأن يحسب حساب مستوياته ، حتى يتكشف بناء على هذا الحساب ، أو على هذا التقويم الجغرافى، الرأى الجغرافى المعلن عن :

(أ) طبيعة العلاقة التى يترتب عليها الاستخدام ، أو التى يفضى اليها هذا التعامل ، على صعيد الأرض ، فى المساحة المعنية •

(ب) قوة وفاعلية الضبط والانضباط المتبادل بين الانسان والأرض ، وهو من وراء مستويات التعامل أو الاستخدام ، على صعيد الأرض فى المساحة المعنية •

(ج) مستويات الاستخدام أو التعامل ومحصلته ، وامكانيات التغيير ، استجابة لدواعى التغيير أو للمتغيرات الطبيعية أو للمتغيرات البشرية ، على صعيد الأرض ، فى المساحة المعنية ٠

وتجاوز حدود التوزيع والتعليل والربط ، تجاوزا حقيقيا ، يلزم الاجتهاد الجغرافى المعاصر بالتقويم الجغرافى ، لحساب الهدف الجغرافى ومصلحة الانسان فى هذا الهدف ، هو الذى يجسد أهم معنى من معانى التجديد والتجويد ، فى انجاز البحث الجغرافى(١٨) ٠ وتوجيه هذا التقويم الجغرافى، التوجه الحميد الى الرأى الجغرافى ، لكى يعلن عنه لحساب الانسان وحركة الحياة فى ربوع الأرض ، معناه أن يوضع الهدف الجغرافى بحذافيره ، فى الوضع الأنسب ، الذى ينفع الناس ، أو الذى تنتفع به حركة الحياة ، اجتماعيا ، واقتصاديا ، وحضاريا ، وسياسيا ، فى المكان والزمان ٠

وتصدى علم الجغرافية للرؤية الجغرافية وتجسيدها ، استجابة لطلب المعرفة الجغرافية ، على صعيد الأرض فى المساحة المعنية ، يمثل شيئا مهما بالقطع ، ولا يجوز اهماله أو التفريط فيه ، أو التنصل منه أبدا ٠ ولكن تصدى علم الجغرافية لابداء الرأى الجغرافى تعليقا على ما تعبر عنه ، أو تنبىء به هذه الرؤية الجغرافية وحساب جدواها فى المكان والزمان ، واستجابة لطلب الانتفاع التطبيقى بالمعرفة الجغرافية ، يمثل شيئا أكثر أهمية ٠ بل قل أن هذا هو التوجه الحميد الذى يتحقق بموجبه الانتفاع التطبيقى . ولا ينبغى التفريط فيه ، أولا ينبغى اهماله والتقصير فيه ٠

وليس أجدى من التقويم الجغرافى ، وهو يوجه الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، فى الوجهة العملية العلمية التطبيقية ٠ ويضع هذا التوجه التطبيقى ، على عاتق علم الجغرافية ، مسئوليات الانجاز العلمى التطبيقى ، على صعيد الأرض ، فى المساحة المعنية ٠ وبناء على هذا الانجاز الجغرافى التطبيقى ، يتسنى انتفاع الانسان وحركة الحياة ، انتفاعا حقيقيا ، بثمرات البحث الجغرافى ، فى المكان والزمان ٠ وقل أن هذا التوجه الجغرافى السديد ، الى البحث الميدانى التطبيقى ، هو عين ما يعبر عن هذا التحول ، أو الخروج من جمود النظرية ، الى مرونة التطبيق ، على مستوى العمل الجغرافى التطبيقى ٠

---

(١٨) الشامى ، صلاح الدين : التقويم الجغرافى ، انطلاقة التجديد والتجويد فى العمل الجغرافى — مجلة كلية الآداب — جامعة صنعاء — سنة ١٩٨٢ ٠

وبموجب هذه العناية الجغرافية المعاصرة بالتقويم الجغرافى ، ينطلق الاجتهاد الجغرافى الى هذا الميدان الجديد ، أو الى هذا الوضـع التطبيقى . ويلتزم هذا الاجتهـاد الجغرافى المعاصر عندئذ ، بأن يوظف انجـازات هذا العمـل الجغرافى التطبيقى ، الذى يخدم أهـداف التقويم الجغرافى ، توظيفا مناسبا ، فى دعم قدرات الانسـان ، وفى ترشيد مهاراته ووسائله ، وهو يتعامل مع الأرض . ويقبل الاجتهاد الجغرافى على توفير هذا الدعم الجغرافى الى الانســان ، على صعيد الأرض ، فى المساحة المعنية ، تطلعا وتأيدا لوضع التعامل والاستخدام ، فى المستوى الأفضل .

ويبتنى على ذلك استعداد الخبراء فىالعمل الجغرافى التطبيقى ، استعدادا كاملا وحصيفا ، يطوع نتائج التقويم الجغرافى ، على صعيد المساحة المعنية . ويرشد هذا الاستعداد عمليات التعامل مع الأرض ، والانتفاع بها ، فى كل شكل من أشكال الانتفاع الأفضل ، الذى ترنو اليه عمليات التنمية . بل قل أن العمل أو الانجاز الجغرافى التطبيقى ، الذى يجيد هذا التقويم الجغرافى ، حتى يدلى ويسجل الرأى الجغرافى الأفضل ، هو الذى يخدم ويبصر عمليات التنمية . وهل تبتغى عمليات التنمية فى كل صورها ، شيئا أهم من تحسين مستويات التعامل وترشيد استخدام الوسيلة فى هذا التعامل ، وصولا الى الاستخدام الأفضل فى المكان والزمان ؟

من خـلال عين جغرافية مبصرة واعية ، وهى تطالع الرؤية الجغرافية ، فى المكان والزمان ، تألقت انجازات علم الجغرافية الحديثة . وخرجت الرحلة الجغرافية المتخصصة ، من أجل البحث الى حقل الدراسة الميدانية . وكانت تطل على المساحة المعنية ، وتعاين الرؤية الجغرافية . وكان الاجتهاد الجغرافى يعتنى بها ، ويستغرق فى تأمل عناصرها ومكوناتها ، على صعيد الأرض ، فى المساحة المعنية . ومن ثم تأتى من خلال التوزيع والتعليل والربط ، اعداد ، أو انجاز البحث الجغرافى .

ومن خلال بصيرة جغرافية متنورة وأكثر وعيا ، وهى تقوم الرؤية الجغرافية ، فى المكان والزمان ، تفوقت انجازات علم الجغرافية المعاصرة . وتخرج الرحلة الجغرافية المتخصصة ، من أجل البحث ، الى حقل الدراسة الميـدانية . وتطل هـذه الرحلة ، على المســاحة المعنية ، وتعـاين الرؤية الجغرافية ، لحساب العمل التطبيقى . ويعتنى الاجتهاد الجغرافى تماما بالرؤية الجغرافية ، ويجرى التقويم الجغرافى المناسب ، وصولا الى الرأى الجغرافى عنها ، لحساب الانســان وحركة الحياة . ومن ثم يتأتى من خلال التوزيع والتعليل والربط تجسيد الرؤية الجغرافية ، فى المساحة المعنية ، ثم يتأتى

من خلال التقويم الجغرافى اعداد أو انجاز الرأى الجغرافى السديد لحساب البحث الجغرافى التطبيقى الأنسب(١٩) ، على صعيد المساحة المعنية ٠

* * *

العمل الجغرافى التطبيقى فى خدمة التنمية الشاملة :

يتوجه الاجتهاد الجغرافى الى انجاز هذا العمل الجغرافى التطبيقى ، على النحو الذى تمليه أو توجهه ، فلسفات الفكر الجغرافى المعاصر ، لحساب الهدف الجغرافى الجديد ٠ ويصبح فى وسع الجغرافى المعاصر ، أن يطوع نتائج البحث والدراسات التى يسفر عنها العمل الجغرافى التطبيقى ، لكى يعلن عن الرأى الجغرافى ، ويضع الهدف الجغرافى ويكرسه لخدمة عمليات التنمية ٠ ولقد ابتنى هذا التوجه الجغرافى على أساس الرأى الجغرافى السليم الذى يعترض على تجاهل التخطيط القاعدة أو الخلفية التى ينبغى أن تبتنى عليها عملية التنمية ، وهى فى أحسن حبكة على صعيد المساحة المعنية ، وفى أتم شمول ونمو متوازن ومتواز ومتزامن ٠ وتتمثل هذه الاعتراضات الجغرافية فى :

أولا - اعتراض جغرافى شديد ، على وضع خطط التنمية ، وهى تحتوى المشاريع الانمائية ، دون عناية أو اهتمام حقيقى ، بحسن تقويم المهارات والقدرات والاستعدادات والوسائل ، التى يتحمل بموجبها الانسان مسئولياته الفاعلة ، وعلى أحسن مستوى ، عند التنفيذ ٠ وصحيح أن نجاح هذا التنفيذ ، هو لحساب الانسان ، ولكن الصحيح أن هذا النجاح يصنعه اجتهاد الانسان ، من خلال الاستعداد المعنوى للتغيير ، ومن خلال استجابة المهارات والوسائل المادية ، لأداء مناسب يتحقق بموجبه هذا التغيير ٠

ثانيا - اعتراض جغرافى شديد ، على وضع خطط التنمية ، وهى تحتوى المشاريع الانمائية ، دون عناية ، أو اهتمام حقيقى ، بالحبكة وحسن الاختيار والترسيخ الجيد والتوطين ، فى المكان الجغرافى الأنسب ٠ وصحيح أن التنفيذ يتأتى على صعيد المكان ٠ ولكن الصحيح أيضا أن حسن اختيار المساحة المعنية ، وحسن الترسيخ والتوطين فى هذا المكان الجغرافى الأنسب ، هو عنصر من أهم عناصر الحبكة ، التى تؤكد أقصى درجات النجاح فى الانجاز التطبيقى ، وتأمين عمليات النمو ، واتجاهاته الى ما هو أفضل ، لحساب الانسان وحركة الحياة ٠

---

(١٩) الشامى ، صلاح الدين ، الجغرافية دعامة التخطيط - الاسكندرية سنة ١٩٧٦ ٠

ثالثا ـ اعتراض جغرافى شديد ، على وضع خطط التنمية ، وهى تحتوى المشـاريع الانمائية ، دون عناية ، أو اهتمام حقيقى ، بأهم موجبات التوازن والتوازى ، والتزامن ، بين معـدلات النمو ، فى كافة القطـاعات المتداخلة ، فى توليفة منسـقة وسليمة ، لحسـاب حركة الحياة ، فى المكان والزمان • ولا نجاح فعلى فى عمليات التنمية ، من غير هذا التنسيق البديع الذى يحافظ على التوازن والتوازى والتزامن بين قطـاع الانتاج ، وقطـاع الخدمات ، وقطـاع السكن ، وغيرها من القطاعات التى تهم حضور الانسان وانتعاش حركة الحياة • وصحيح أن تنمية قطاع معين يحقق النمو ، ولكن الصحيح أن الجمع بين النمو فى قطـاع ، وعدم النمو فى قطـاعات أخرى • فى المكان والزمان ، يسفر عن عدم التجانس • ويتحمل النمو دائما عواقب عدم التجانس الوخيمة ، وتتخبط مسيرة التغيير الى ما هو أفضل •

وتأسيسـا على معطيـات **الاعتراض الأول** ، كان الاجتهـاد الجغرافى المعاصر ، شديد العناية والاهتمام بحسن دراسة الواقع البشرى ، من قبيل العناية بالانسـان ، اجتماعيا ، وديموجرافيا ، واقتصـاديا ، وحضـاريا ، وسياسيا • ويوظف الباحث ، التقويم الجغرافى توظيفا ذكيا ، لكى يتلمس أحوال الانسـان واستعداداته ، ولكى يستمع الى صوت النداء فى طلب التغيير ، ولكى يستشعر مبلغ الاستجابة الحقيقية لدواعى التغيير • كما توظف الدراسة الجغرافية فى العمل الميدانى ، التقويم الجغرافى ، لكى يحسب حساب المهارات أو القدرات المتاحة بالفعل ، التى يمكن أن تطاوع الاستجابة لدواعى التغيير ، أو التى توفر الاقبال الفورى ، على الأداء والتنفيذ العملى ، لحسـاب التغيير الى ما هو أفضل • وأضف الى ذلك كله ، توظيف التقويم الجغرافى • توظيفا جيدا ، لقياس حجم قوة العمل وحساب مستوى الكفاءة فى الأداء وتأمين حسن توزيع العمالة توزيعا متوازنا ، حسب حاجة قطاعات التنمية الشاملة • وهذا الانجاز الذى يتصدى له أو يتولى أمره الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، هو عين ما يعنى حسن توفير ، وحسن ابداء الرأى الجغرافى السديد عن الواقع البشرى ، فى المساحة المعنية •

وفضـلا عن ذلك كله يكون فى وسـع الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، أن يبدى الرأى الجغرافى ، الذى يسهم اسهاما مفيدا ، فى التجهيز المـادى للتغيير ، واعداد الانسان الاعداد الأنسب ، لتكريس استعداداته ، لصناعة هذا التغيير ، اقتصاديا ، واجتماعيا ، وحضاريا • كما يتأتى هذا الاسـهام الجغرافى ، لكى يهيىء الأوضاع البشرية ، بصفة عامة ، للانتفاع بهذا التغيير الذى تسفر عنه عمليات التنمية • وقل أن هذا الرأى الجغرافى الذى يبتنى

على حسن التقويم الجغرافى ، يكون فى وسعه أن يعتنى بالانسان فى المساحة المعنية ، عناية تسقط حواجز الغربة بينه ، وهو مطالب بالآداء لحساب التغيير ، وانجاز المشاريع الانمائية ، أو وهو مطالب بالانتفاع بثمرات هذا التغيير ، ومحصلة عمليات التنمية من ناحية ، وبين الخطة ومحتواها من المشاريع ، أو من الأهداف والطموحات التنموية من ناحية أخرى • ومعرفة فريق المخططين عن الواقع البشرى من خلال الرؤية الجغرافية ، والرأى الجغرافى ، ترشده وبصره ، وكأنه يقرأ كتابا مفتوحا عن الانسان ، الذى من أجله تكون ثمرات التغيير والانجازات التنموية ، وعلى سواعده وحسن أدائه يكون الانجاز والنجاح الفعلى للانجازات التنموية •

وتأسيسا على معطيات **الاعتراض الثانى** ، كان الاجتهاد الجغرافى المعاصر شديد العناية والاهتمام بحسن اختيار المكان ، الذى يحتوى المساحة المعنية الأنسب • وما من شك فى أن حسن الاختيار ، فى هذا المجال ، يضع المشاريع الانمائية ، فى الوضع الصحيح ، ويرسخها الترسيخ المحبوك فى ربوع هذه المساحة المعنية الأنسب • ولم يجد الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، أفضل من توظيف المهارة الجغرافية المكتسبة ، التى تمرست فى صياغة التقسيمات الاقليمية ، لكى تعثر على الاطار المحدد ، الذى يحتوى المساحة المعنية • ويدلل هذا التوجه الجغرافى المعاصر ، على مهارة فى الربط بين التقسيم الاقليمى ، وهو من صميم الهدف الجغرافى ، فى جانب ، وحسن اختيار الاقليم التنموى الأنسب ، وهو من صميم الهدف التنموى فى جانب آخر •

ولقد تطلع الاجتهاد الجغرافى المعاصر بالفعل ، الى البحث عن الاقليم التخطيطى • ويراعى فى اختيار هذا **الاقليم التخطيطى** ، وهو الوعاء الأنسب لعمليات التنمية ، أن يتحقق على صعيد الأرض فى مساحته المعنية ، التفرد الجغرافى الطبيعى ، والتفرد الجغرافى البشرى • وتتكشف للاجتهاد الجغرافى وجاهة الحقيقة الجغرافية ، التى تجعل الاقليم الجغرافى ، هو بعينه الاقليم التخطيطى الأنسب ، لاحتواء مشاريع الخطة التنموية • وقل ليس أفضل من الحبكة ، التى تتوفر على صعيد المساحة المعنية فى الاقليم التخطيطى ، لكى يتسنى ترسيخ المشاريع الانمائية ، فى اطار هذه الحبكة ، فى المكان والزمان •

ويعلن الاجتهاد الجغرافى المعاصر الاعلان الواثق عن قيمة الاقليم التخطيطى ، وعن التخطيط الاقليمى • وقل أنه يصور فى وضوح ، الرأى الجغرافى الصريح عن المساحة المعنية ، فى الاقليم التخطيطى ، وكيف تتهيأ لوضع التنموية الأنسب ، لخواص وطبيعة الأرض من ناحية ، والأنسب

لأوضاع وأحوال الناس وامكانياتهم لمباشرة عمليات التنمية ، وحسن الانتفاع بها من ناحية أخرى • وعلى صعيد الدولة ، وهى التى تتألف من مجموعة من الأقاليم التخطيطية ، تتم وتتحقق الخطة التنموية القومية ، من حسن التوفيق وصياغة التجانس والانسجام ، بين مجموعة الخطط الاقليمية • وينال عندئذ كل اقليم تخطيطى ما هو أهل له ، من المشاريع الانمائية ، وعلى النحو الذى يحقق أكبر وأحسن قدر من النمو المتوازى والمتوازن والمتزامن ، بين اتجاهات ومعدلات النمو ، على صعيد الدولة •

وتأسيسا على معطيات **الاعتراض الثالث** ، كان الاجتهاد الجغرافى المعاصر شديد العناية والاهتمام بمضمون الخطة التنموية ، على صعيد الاقليم التخطيطى • واضافة الى العناية بأن تكون المشاريع الانمائية فى الخطة هى الأنسب لخواص الاقليم الطبيعية ، ولأوضاعه وامكانياته البشرية ، يعتنى الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، بشمول الخطة التنموية • وهذا معناه ، أن توفر الخطة لكل قطاع من القطاعات التى تلبى احتياجات حركة الحياة فى الاقليم التخطيطى ، ما يستحقه من المشاريع الانمائية • ولا يجوز اهمال حق النمو فى قطاع ، لحساب قطاع آخر ، أو حرمان قطاع من النمو ، واباحة وتوفير حق النمو فى قطاع آخر •

وفى اطار الشمول الذى يغطى النمو فى كل القطاعات ، يتبين الجغرافى أن لا شىء يبشر بنجاح عملية التنمية فى الاقليم التخطيطى ، أهم من وضع الخطة التنموية التى تكفل القدر الأمثل من ، التوازى والتوازن والتزامن ، الذى يحافظ على وينسق بين معدلات النمو فى كل القطاعات • وقل أن الشمول التنموى المتوازى والمتوازن والمتزامن ، هو الذى يجنب عملية التنمية عواقب الخلل وعدم التنسيق • كما يحمى عملية التنمية الشاملة ، من خطيئة الجمع بين النمو فى قطاع ، وعدم النمو فى قطاع آخر ، أو بين التغيير وعدم التغيير ، أو بين التجديد والتحديث ، وعدم التجديد والتقليد ، على صعيد واحد ، فى الاقليم التخطيطى •

وفى الاعتقاد الجغرافى المعاصر ، أن مثل هذا الجمع بين المتناقضات فى عملية التنمية على صعيد الاقليم التخطيطى ، خطر يتهدد فيه جمود التقليد مرونة التجديد • وقل أن الجمود وعدم النمو فى قطاع ، يعرقل النمو ، أو يربك النمو فى القطاعات الأخرى • وفى الاعتقاد الجغرافى أيضا ، أن حركة التغيير الى الأفضل ، فى قطاع من خلال التنمية ، تستوجب وتؤدى الى توالى التغيير ، وأن أخطر الخطر على النمو ، يكون عندما تفقد الخطة التنموية ،

المقدرة على ضمان الحد الأنسب ، لتوالى أو لانسياب حركة التغيير ، لكى يشمل كل شىء ، لحساب حركة الحياة ، على صعيد الاقليم التخطيطى • كما يستوجب توالى انسياب هذا التغيير والتنمية الشاملة ، الحد الأنسب أيضا ، من التوازن والتوازى والتزامن ، بين كل عمليات النمو المخططة ، على جميع أصعدة الاقاليم التخطيطية ، فى ربوع الدولة • ولا محل أبدا لمباشرة النمو فى أقليم تخطيطى لأى سبب أو مبرر ، واهمال النمو أو تأجيله فى اقليم تخطيطى آخر •

هكذا يقدم الاجتهاد الجغرافى المعاصر على هذا الاعتراض ، ويوفر فى نفس الوقت البديل الأنسب ، لأن الاعتراض وحده ليس يكفى • ومن أجل انجاز المهمة الجغرافية فى اطار هذا البديل ، يكون الاقدام الجغرافى على العمل البناء • ويفضى هذا العمل الى الآداء الجغرافى ، الذى يحدد الحصة الجغرافية المناسبة ، فى مجال الاعداد والتجهيز لعملية التنمية • ويتمثل الآداء الجغرافى المناسب ، فى تحديد جيد للاقليم التخطيطى ، أو فى تحديد جيد شامل مجموعة الأقاليم التخطيطية ، على صعيد الدولة • كما يتمثل هذا الآداء أيضا فى المسح الجغرافى الشامل ، على صعيد كل اقليم من الأقاليم التخطيطية •

وفى اطار المسئولية الجغرافية عن تحديد الاقليم التخطيطى ، على صعيد الدولة ، يتحمل الاجتهاد الجغرافى المعاصر مسئولية العمل الجغرافى العملى الميدانى • ويخرج الباحث الجغرافى المدرب الى الحقل أو الى الميدان ، فى رحلات عمل ميدانية متخصصة ، مع أعضاء الفريق المعاون • ويتولى هذا الفريق مسئولية ، كل ما يستوجبه العمل الجغرافى التطبيقى ، فى الميدان ، حتى يتسنى اجراء هذا التقسيم الاقليمى ، وتحديد مجموعة الأقاليم التخطيطية ويتلمس مع هذا التقسيم الاقليمى التخطيطى ، قنوات الاتصال المنفتحة ، التى تربط بين الأقاليم التخطيطية ، فى وحدة تكامل تخطيطى شامل ومنسق ، على صعيد الدولة •

ولا يكاد يفرغ الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، من مهمة التقسيم الاقليمى التخطيطى ، حتى تبدأ مرحلة جادة أخرى ، من مراحل العمل الجغرافى التطبيقى • ويكون المطلوب فى هذه المرحلة ، خروج الفريق الجغرافى الى الميدان على صعيد المساحة المعنية فى الاقليم التخطيطى ، لاجراء المسح الجغرافى • ويكون هذا المسح الجغرافى شاملا ، من أجل تعميق المعرفة الجغرافية ، فى ربوع الاقليم التخطيطى ، على الوجهين الطبيعى والبشرى • ولا يعود فريق هذا العمل الجغرافى الميدانى من الميدان ، الا بعد أن تنتهى

هده المهمة ، وتمتلأ الجعبة الجغرافية ، حتى يمكن الوصول الى الرأى الجغرافى السديد .

ويتوجه الفريق الجغرافى **أولا** الى تمحيص الرؤية الجغرافية للواقع الطبيعى ، على صعيد المساحة المعنية فى الاقليم التخطيطى . ويشمل هذا التمحيص دراسة الأرض وخواصها الطبيعية ، وتقصى حقيقة العناصر التى تشترك فى صياغة الواقع الجغرافى الطبيعى . ويتصدى هذا التمحيص بمهارة لتقويم جغرافى شامل يغطى الواقع الطبيعى ، ويحسب حساب كل شىء متداخل فى صيغة هذا الواقع . ويفضى هذا التقويم الجغرافى الى جمع البيانات ووضوح الرؤية التى يبتنى عليها الرأى الجغرافى . ويحكى هذا الرأى الجغرافى ، عن مبلغ استعداد الأرض على صعيد المساحة المعنية ، وفى اطار الواقع الطبيعى السائد ، للضبط وللانضباط . كما يحكى هذا الرأى الجغرافى ويحدث عن مبلغ استعداد الأرض فى هذه المساحة المعنية ، للاستجابة المناسبة . لوسائل الانسان الحضارية ، وهو يطوعها ، ويبدأ فيها مشوار التنمية ، ويحدد فى أنحائها ، مسار التنفيذ الرشيد للمشاريع الانمائية .

ويتوجه الفريق الجغرافى **ثانيا** ، الى تمحيص الرؤية الجغرافية للواقع البشرى ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الاقاليم التخطيطى . ويشمل هذا التمحيص الجغرافى ، دراسة الناس وحضورهم فى المكان ، فى اطار حركة الحياة ، وأوضاعها وأحوالها ، اجتماعيا ، وديموجرافيا ، وحضاريا ، واقتصاديا . ويتصدى هذا التمحيص بمهارة ، لتقويم جغرافى شامل ، يغطى الواقع البشرى ، فى اطار حركة الحياة ، ويحسب حساب كل شىء ، متداخل فى صيغة هذا الواقع . ويفضى هذا التقويم الجغرافى الى جمع البيانات ووضوح الرؤية التى يبتنى عليها الرأى الجغرافى . ويحكى هذا الرأى الجغرافى ، عن مبلغ استعداد الناس ، على صعيد المساحة المعنية ، وفى اطار الواقع البشرى السائد ، للضبط والانضباط . كما يحكى هذا الرأى الجغرافى ويحدث فى مبلغ استعداد الناس للتغيير ، وعن حماسة الاقدام على آداء ما ينبغى أن يتأتى من عمل ، حتى يتسنى له تطويع الأرض ، أو حتى يبدأ فى ربوعها مشوار التنمية ، ويسدد المسار التنفيذى الأنسب الى ما هو أفضل ، فى الاقليم التخطيطى .

ولن ندخل فى زحمة التفاصيل الكثيرة ، عن الكيفية يتحقق بموجبها نجاح أو توفيق الخبره الجغرافية فى أداء وانجاز هذه المهام الجوهرية ، وهى

تمهد أو وهى تجهز تجهيزا حقيقيا ومناسبا ، لكى توضح الخطة ومشاريعها التنموية على بصيرة ، ولكى يتأتى التنفيذ والانجاز التنموى على بينة • ويوفر الرأى الجغرافى هذه البصيرة ، وهذه البينة ، فلا يضل وضع الخطة أو التنفيذ أبدا • ومن خلال المهارة الجغرافية ، فى التقويم الجغرافى ، وفى التقسيم الاقليمى ، وفى التحليل والتركيب ، يسفر هذا التجهيز الجغرافى عن :

(أ) تحديد أنسب للاقليم التخطيطى ، ومجموعة الأقاليم التخطيطية على صعيد الدولة ، حتى يتسنى حصر المساحة المعنية المثلى ، التى يتوفر فى ربوعها التجانس الجغرافى الطبيعى والبشرى • وتصبح هذه المساحة المعنية الوعاء الأنسب ، وهو يحتوى ويشهد تنفيذ المشاريع الانمائية •

(ب) انجاز العمل الجغرافى الميدانى التطبيقى ، وجمع حصاد هذا العمل فى ربوع الاقليم التخطيطى وتزويد فرق المخططين بالنتائج ، حتى يتسنى وضع المشاريع الانمائية ، فى اطار الخطة الشاملة ، وعلى مستوى أحسن حبكة فى المكان ، وأحسن سياق تنفيذى فى الزمان ، وفى أفضل وضع شمولى يعتنى بالتوازى والتوازن والتزامن فى مجالات النمو •

ويتأهل الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، تأهيلا مناسبا ، وهو يكتسب الخبرة فى حسن أداء المسح الجغرافى على صعيد المساحة المعنية ، فى الاقليم التخطيطى • وقل أنه مع التحول العظيم ، من مفاهيم واهتمامات علم الجغرافية الحديثة ، الى مفاهيم واهتمامات الجغرافية المعاصرة ، أفلح الاجتهاد الجغرافى ، فى تطوير الرحلة الجغرافية الى الميدان • وقل أن هذه الرحلة الجغرافية المتخصصة فى القيادة وفى الهدف ، أصبحت رحلة الفريق المتكامل، لحساب المسح الجغرافى الطبيعى والبشرى(٢٠) • وتكامل الفريق معناه ، تفرغ المتخصص الجغرافى لأداء المسح الجغرافى على الوجه الطبيعى ، وعلى الوجه البشرى • ومعناه أيضا اشتراك أعضاء الفريق(٢١) ، فى صياغة الرأى الجغرافى ، فى نهاية الأمر •

وبعد انجاز المسح الجغرافى ، واعداد الرأى الجغرافى ، ينبغى تقديمه فى شكل توصية يلتزم بها فريق المخططين ، لوضع المشاريع الانمائية ،

---

(٢٠) الشامى ، صلاح الدين : الرحلة ، عين الجغرافية المبصرة فى الدراسة الميدانية — الاسكندرية سنة ١٩٨٣ •

(٢١) يضم الفريق صفوة من المتخصصين فى العلوم الطبيعية وفى العلوم الانسانية وتوكل اليهم تكليفات معينة فى اطار الدراسة الميدانية •

فى اطار الخطة ، على بصيرة • بل قل ينبغى أن يشترك الخبير الجغرافى فى فريق المخططين • ويكون فى وسع هذا الشريك الجغرافى ، آن يبصر ، وأن يرشد انجاز الحبكة ، التى تسفر عن وضع الخطة الأنسب ، وهى تجاوب مفهوم الواقع الجغرافى ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الاقليم التخطيطى •

* * *

ومهما يكن من أمر ، فأن توجه علم الجغرافية ، استجابة لمنطق وفلسفات الفكر الجغرافىالمعاصر ، توجها حريصا على تقويم الظاهرة الجغرافية المعنية ، فى المكان والزمان ، قد ألهب العناية الجغرافية العلمية ، بالعمل العملى التطبيقى • وأفضت هذه العناية ، الى نتائج مفيدة ، لأن هذا التقويم الجغرافى كان دائما لحساب الانسان • بل قل أنه لا يسقط مصلحة الانسان ، وهو يحيا ويتعايش مع الواقع الجغرافى فى ربوع الأرض ، من حسابة أبدا • وهل يمكن أن يحيا الانسان فى غربة مع الواقع الجغرافى فى المكان ؟ وهل يمكن آن يتحقق التعايش دون غربة مع الواقع الجغرافى فى المكان والزمان . من غير التقويم الجغرافى ، وحساب الجدوى وانجاز الوضوح الجغرافى الذى يقطع دابر هذه الغربة ؟ •

ولقد أتاح التقويم الجغرافى - على كل حال - الفرصة ، لكى يتحمل الاجتهاد الجغرافى ازالة حواجز الغربة بين الانسان والأرض ، وترسيخ السيادة على صعيد الأرض • ومن ثم أمسك الاجتهاد الجغرافى بزمام التجويد والتجديد فى الانجاز الجغرافى ، حتى يوفر كل ما من شأنه أن ينفع الناس ويؤمن مصلحتهم فى حسن التعايش فى اطار الواقع الجغرافى فى ربوع الأرض • وقل أن مثل هذه النتائج الجغرافية هى التى تجسد ثمرات كل اتجاه من اتجاهات التجديد والتجويد ، وينتهى اليها التقويم الجغرافى ، لحساب الانسان ، فى المكان والزمان • وهى التى تقوى القبضة الانسانية فى مواجهة الأرض وتطويع الطبيعة ، وتشد أزر حركة الحياة ، فى ربوع الأرض بصفة عامة •

وتصبح الجغرافية المعاصرة ، وهى التى فى وسعها أن تضع المعرفة الجغرافية وأن تكرس النتائج الجغرافية التطبيقية ، فى صف واحد مع مهارات الانسان ، حتى يتزود بالدعم والقوة عندما يصارع ، ولا يسكت أبدا . عن تحسين أحواله وترسيخ سيادته ، فى المكان والزمان ، عن عمل تطبيقى • ولم يعد فى وسع علم الجغرافية المعاصرة ، وهى تؤدى هذه المهام التطبيقية ، لحساب الهدف الجغرافى ، الذى يوضع بالكامل فى خدمة

حركة الحياة ، أن يترك شاردة أو واردة عن الظاهرة الجغرافية الطبيعية أو البشرية ، دون وضعها فى بؤرة العناية الجغرافية ، والاهتمام بتقويمها لحساب الانسان • ومن هنا يأتى التجديد الذى يؤدى الى التجويد • ولا تجديد من غير تجويد ، ولا تجويد من غير تجديد ، فى حقل العمل الجغرافى العملى التطبيقى •

ويبقى أن نشير الى أن علم الجغرافية فى الصيغة الجديدة ، أو فى التوجهات المعاصرة ، أو فى الاستجابة الموفقة لمنطق وفلسفات الفكر الجغرافى المعاصر ، يعرف طريقه الآن ، الى موجبات التجديد واضافة الجديد • كما يعرف أيضا ، كيف يكون التجويد اضافة ثرية ، وهى تنضم الى ذلك التجديد الجغرافى • وقل أنه يعرف جيدا ، كيفية الوصول الى صلب الهدف الجغرافى . وكيفية تكريس هذا الهدف الجغرافى ، تكريسا مناسبا ، لحساب حركة الحياة ، فى المكان والزمان • وهذا معناه أن علم الجغرافية المعاصرة ، يمتلك فى الوقت الحاضر مهارات علمية وعملية ، فى تطويع الهدف الجغرافى تطويعا تطبيقيا ، حتى يتحقق انتفاع حركة الحياة ، بالرأى الجغرافى السديد ، فى المكان والزمان ، اجتماعيا ، وحضاريا ، واقتصاديا ، وسياسيا •

وصحيح أن علم الجغرافية المعاصرة ، ينجح فى انهاء مهمة علم الجغرافية الحديثة ، ويحتل مكانها ، وتتألق مكانته العلمية العملية التطبيقية فى صحبة العلوم المتطورة • وصحيح أيضا ، أن الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، يوفر للجغرافية المعاصرة ، وتتوفر له معها ، كل دواعى وموجبات هذا التألق العلمى التطبيقى ، فى خدمة الهدف الجغرافى ، وتطويعه لحساب حركة الحياة . فى المكان والزمان • ولكن الصحيح بعد ذلك كله هو أن هذا الاجتهاد الجغرافى ، يضع الجغرافية المعاصرة ، بحسن نية أحيانا ، وبسوء نية أحيانا أخرى ، فى مواجهة الأزمة • ولو أهملت هذه الأزمة ، أو لو لم نتداركها حتى نبطل مفعولها الردىء ، لكانت هى العاصفة العاتية ، التى يمكن أن تعصف بعلم الجغرافية المعاصرة ، شكلا وموضوعا •

* * *

الفصل السابع

الجغرافية المعاصرة ومواجهة الأزمة

تمهيـــد

أزمة التحول دون نضج الى الجغرافية المعاصرة .

أزمة اعادة النظر فى بنية الجغرافية المعاصرة .

أزمة انسلاخ بعض الاهتمامات من صلب البنية العلمية الجغرافية .

الفصـــل السابع

الجغرافية المعاصرة مواجهة الأزمة

نجاح علم الجغرافية المعاصرة ، بعد أن تحلت أفكاره وفلسفته الابداعية بالتجديد والتجويد ، وحلت محل أفكار وفلسفة علم الجغرافية الحديثة ، كان نجاحا حقيقيا يتوج الاجتهاد الجغرافى المعاصر • بل قل أنه هو النجاح فى الأداء ، وفى العمل ، وفى الانجاز الجغـرافى ، الـــذى لا يستحق الشك أو التشكيك • وكان هذا النجاح العلمى ، وهو محسوب بعنـــاية شديدة فى مجالات العمل الجغرافى ، ثمرة الانجاز الجـــاد لحساب الاجتهـــاد الجغرافى الممتاز • ويتألق هذا النجاح علميا وعمليا ، وهو يجـاوب حاجـــة العصر ومتغيراته ، من كل نوع ، وعلى كل وجـه ، من العمل الجغرافى التطبيقى ، فى المكان والزمان •

هكذا يفلح الاجتهاد الجغرافى كثيرا فى تطوير الهدف الجغرافى ، تطويرا مناسبا حسب حاجة العصر من العمل الجغرافى • كما يفلح الاجتهاد الجغرافى أيضا ، فى المحافظة على وضع علم الجغرافية المعاصرة ، فى مكانه المناسب ، وهو علم بينى يعتنى بالعلاقة الحميمة بين العلوم الطبيعية فى جانب ، والعلوم الانسانية فى جانب آخر • بل قل ان أفضل ما يتوج هذا النجاح ، هو اقدام الاجتهاد الجغرافى الحصيف على تطويع الهدف الجغرافى تطويعا موفقا ، يبلغ الغاية ويستخلص النتائج ، حتى يخدم حركة الحياة ، ويقوى قبضة الحضور البشرى ويشد أزر تعايشه فى ربوع الأرض ، على صعيد أى مساحة معنية ، فى هذا العصر • ويزداد هذا التطويع البديع تألقا وانتصارا لحساب الانسان فى الأرض ، والاجتهاد الجغرافى المعـــاصر ، يتصدى بخبرة ومهـــارة ورأى جغرافى سديد ، لانجاز العمل الجغرافى التطبيقى ، فى الميدان •

ويستحق علم الجغرافية المعاصرة ، الثناء ، وهو يتألق بهدفه وأدائه الرشيد ، فى كل مجال من مجالات التجديد ، واضافة الجديد • ويستحق علم الجغرافية المعاصرة الاطراء والتقدير ، وهـــو يزهو بانجازاته البديعة ، فى كل مجال من مجـــالات الاهتمـــام والعنـــاية بالتحسين والتجويد • كمـــا يستحق الاجتهاد الجغرافى المعاصر النشيط ، كل الثناء والاطراء والتقدير ،

وهو يقدم دعوة مفتوحة ومتنورة ، تعلن عن الاستعداد الفورى الصريح ، لوضع أو لتكريس الخبرة الجغرافية التطبيقية ، فى تقويم التحديات الطبيعية والبشرية وحسن بيان قوة فعلها ، حتى تعرف حركة الحياة كيف تباشر اعداد قوة فعل بشرى حضارى مناسب ، فى مواجهة هذه التحديات والتصدى لابطال مفعولها • وقل أنه اجتهاد جغرفى حصيف ، وهو يوظف التقويم الجغرافى فى حسن ابداء الرأى الجغرافى ، تعقيبا على الرؤية الجغرافية ، حتى يتقدم به ويوصى ويرشد الأداء والتنفيذ والعمل والاستخدام الأفضل ، فى اطار العلاقة ، بين الانسان والأرض ، وتوجهات السيادة ودعم الانتصارات التنموية ، فى المكان والزمان •

هذا ، ويبقى بعد أن نقدر جيدا أبعاد هذا النجاح والتألق فى الآداء ، وأن نزف ونكيل له المدح والثناء والاطراء ، وقفة صدق مع علم الجغرافية المعاصرة ، وهو يواجه الموقف الصعب • وفى هذه الوقفة ، يجب أن نعرف جيدا كيف يواجه التفكير الجغرافى المعاصر الأزمة ، وأن نتبين أبعاد هذه الأزمة وعواقبها المرتقبة • ومواجهة الأزمة أو توالى الأزمات ، التى تواجه التفكير الجغرافى المعاصر ، لا يعنى أبدا أن علم الجغرافية يعانى من خلل فى البنية العلمية وتركيبها الهيكلى • كما لا يعنى أبدا أن علم الجغرافية المعاصرة ، يتخبط أو يتردد فى الاتجاه الى الهدف الجغرافى • بل ولا ينبغى أن تفضى هذه المواجهة ، الى حملة من الشك أو من التشكيك فى نجاح مهمة علم الجغرافية المعاصره • كما لا يجب أن تتخذ هذه المواجهة بين الفكر الجغرافى المعاصر فى جانب ، والأزمات التى تتفجر وتواجهه فى جانب آخر ، دليلا أو علامة أو ذريعة ، على أن منطق وفلسفة الفكر الجغرافى المعاصر ، لم تبلغ بعد حد النضج الأنسب ، من أجل ترسيخ أنسب لعلم الجغرافية المعاصرة ، أو لم تبلغ بعد حد الوضوح الأنسب ، من أجل صياغة أرسخ للهدف الجغرافى الجديد •

ويستحق الأمر — على كل حال — وقفة متأنية ، ونظرة صادقة ، وتمعن حصيف ، لكى نتبين هذه الأزمة ، أو الأزمات • وينبغى أن نضع الأيدى على جوهر هذا التأزم ، وكيف يعترض الطريق الذى تمضى فيه مسيرة التفكير الجغرافى المعاصر • كما ينبغى أن نتبين أيضا ، كيف يؤثر ذلك الوضع على عام الجغرافية المعاصرة ، وهى التى تبتنى على فلسفة الفكر الجغرافى المعاصر • وقد يدعو الأمر أحيانا الى اثارة السؤال الذى يسأل عن حقيقة هذه الأزمة ، او عن ماهية هذه الأزمة ، أو عن مبلغ التخوف منها فى الوقت الحاضر •

ومن خلال الوقفة المتأنية ، يمكن أن نتبين كيف تؤثر هذه المواجهة ،

على معطيات وانجازات علم الجغرافية المعاصرة • وقد تلوى هذه الأزمة أحيانا دزاع الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، وهو يتلمس هذه المعطيات أو وهو يتوجه الى صلب الهدف الجغرافى الجديد • وهذا معناه أن هناك بالفعل أزمة وأزمات، ولكنها أزمات تخص العلماء الذين يتعمدون تفجيرها ، بقصد أو من غير قصد، ومواجهة علم الجغرافية بهذا التفجر • بل قل أنها أزمة فهم ومفاهيم العلماء تجاه الهدف الجغرافى ، وليست أزمة نابعة من صميم علم الجغرافية ، أو من توجهاته المحددة نحو الهدف الجغرافى المعاصر •

وتتمثل هذه الأزمات ، وهى تواجه مسيرة التفكير الجغرافى المعاصر ، وتعترض سبل توجهات علم الجغرافية الذى يجاوب فلسفات هـذا التفكير الجغرافى فى :

اولا ـ ازمة التحول دون نضج الى الجغرافية المعاصرة :

يبدو أن الوصول الى نقطة التحول ، التى كان لابد أن يبـدأ عندها الانتقال من منطق وفلسفة الفكر الجغرافى الحديث والتفريط فيه ، الى منطق وفلسفة الفكر الجغرافى المعاصر والأخذ به ، كان وصولا باغت الاجتهـاد الجغرافى • وربما لم يستوعب بعض الجغرافيين هذه المباغتة استيعابا سريعا ومباشرا • وربما تسببت هذه المباغتة أيضا ، بل قل ربما أشاعت فى محيط بعض الجغرافيين شيئا من التخبط • وقل أنه لا الفكر الجغرافى الحديث ، انسحب بسرعة وانتظام ، وأنهى مهمته ، لكى يحل الفكر الجغرافى المعاصر محله • كما لم يكن فى وسع الفكر الجغرافى المعاصر أن يتفرد فى وضعه الحيوى ، وهـو يعلن عن مولد الجغرافية المعـاصرة ، فى ثوب علمى عملى تطبيقى جديد •

ولقد أوقع هذا التخبط ، الذى صاحب هذه البدايات المبكرة ، بعض الجغرافيين ، فى خطيئة التشبث بالجغرافية الحديثة • وربمـا أعرض بعض الجغرافيين بالفعل عن الجغرافية المعاصرة ، من غير قدرة على استيعاب التغيير أحيانا ، أو من غير معرفة حقيقية بالتوجه الفلسفى للفكر الجغرافى المعـاصر أحيانا أخرى • بل قل أنهم بدلا من أن يجتهد الواحد منهم ، ويسأل عن دواعى هذا التحول ، ويحسب حساب الجدوى له ، لكى تكون الاستجابة أو لا تكون ، عن اقتناع حقيقى ، أعرض من شاء أن يعرض أحيانا ، واعترض من أراد أن يعترض على هذا التحول الجغرافى أحيانا أخرى • ولم يفطن من أعرض أو اعترض الى أن مصيره الى احباط وتخبط ، أو الى ضياع وتخلف •

وجوهر الازمة التى يفتعلها ، مثل هذا الاجتهاد الجغرافى ، الذى يحجم

عن استيعاب الفكر الجغرافى المعاصر ، ولا يقتنع بفلسفته ، يترتب على تعايش غير حميد بين الجغرافية الحديثة والجغرافية المعاصرة . وهذا هو عين ما يدعو الى التخبط . ويركن الاجتهاد الجغرافى ، الذى يصطنع هذه الأزمة، الى شىء حقيقى من الجمود . ومرجع هذا الجمود - على كل حال - يرجع الى تحلى هذا الاجتهاد الجغرافى الجامد ، بأساليب الفكر الجغرافى التقليدى . ويبدو هذا الاجتهاد الجغرافى الجامد ، وهو يعض بالنواجذ على الجغرافية الحديثة وفكرها العتيق البالى ، الذى ينبغى أن تغرب شمسه . كما يبدو أيضا ، وكأنه يتشبث بالتقليد ، لأنه يتهرب أصلا من التجديد ، ثم يعترض ويرفض الجديد . وقل ربما لا يكون فى وسع مثل هذا الاجتهاد الجغرافى التقليدى ، الذى يتحلى بالجمود ، أن يستوعب ، أو أن يساير التجديد . ومن لا حيلة له أو من لا مهرب يحتمى فيه ، لا يملك الا الاعراض عن التجديد . وقد لا يسكت هذا الاجتهاد الجغرافى الجامد ، وهو يتهرب من الجديد ، عن التشكيك فى دواعى هذا التجديد ، الذى يستنكره ، أو يستهجنه .

وهذا معناه - كما قلنا - أنها أزمة الاجتهاد الجغرافى الجامد ، الذى يستغرق فى الجمود ، حتى يتخلف بالفعل عن ركب التجديد . وقد يبحث عن أساليب الطعن المباشر وغير المباشر ، فى جدوى هذا التجديد الجغرافى ، باعتباره بدعة لا لزوم لها . ومعناه أيضا ، أن هذه الأزمة ، لا تنبع من صواب ، أو من جوهر المفاهيم المتطورة ، وهى التى ترسخها وتبتنى أصولها وقواعدها ، على فلسفات الفكر الجغرافى المعاصر المتفتحة . ومن ثم قل أن هذه أزمة مفروضة وتلقى بظلها السخيف على الجغرافية المعاصرة . ولا يفجر هذه الأزمة ، غير جمود الاجتهاد الجغرافى التقليدى الجامد ، بل قل - بكل الثقة - أنها أزمة ثقة بالنفس مفتعلة ، وهى تطعن فى جدوى الجغرافية المعاصرة ، وفى جدوى التجديد والتجويد ، من غير قصد متعمد فى معظم الأحيان .

وصحيح أنه ليس فى وسع هذه الأزمة ، ومن ورائها الاجتهاد الجغرافى الجامد ، أن تصيب الجغرافية المعاصرة بانتكاسة فعل ، يشل التوجه الى الهدف الجغرافى الجديد ، أو يطعن فى دواعى التجديد والتجويد الجغرافى . ولكن الصحيح أن أقصى ما فى وسع هذا الجمود والاعتراض ، هو أن يوقع البحوث الجغرافية ، فى عواقب التخبط ، أو أن يعرقل مسيرة التفكير الجغرافى ، ويحبط اقباله المتفتح على التطور ، وتطوير الهدف الجغرافى المتجدد ، وتطويعه لحساب الانسان وحركة الحياة ، فى المكان والزمان .

والدعوة مفتوحة ، أو معلنة بالحاح شديد ، لفض الاشتباك بين بقية باقية من أشلاء ، الفكر الجغرافى الحديث فى جانب يركن الى الجمود ، وينبغى أن تحتجب ، وأن يقلع عنها الاجتهاد الجغرافى ، لانها لا تجاوب حاجة العصر من ناحية ، ومفاهيم واهتمامات وتوجهات الفكر الجغرافى المعاصر ، الذى يتفجر بالحيوية ، وينبغى أن ينتعش ، لأنه يجاوب حاجة العصر ، ولا يجوز التفريط فيه ، من ناحية أخرى • ولا يعنى فض الاشتباك شيئا أهم من انهاء الازدواج الفكرى ، الذى يبقى على التوازى من غير مبرر ، بين فكر جغرافى تقليدى جامد ، وفكر جغرافى تطبيقى متطور •

وحسن مواجهة هذه الأزمة ، واحتواء ما يمكن أن تسفر عنه من مضاعفات وعواقب غير مقبولة علميا ، يستوجب البحث عن كيفية انهاء ، أو انسحاب الجغرافية الحديثة من الميدان • كما يستوجب الانتصار للجغرافية المعاصرة ، ودعم هيمنتها على صعيد العمل الجغرافى العلمى التطبيقى • ووجوب هذا الانسحاب ، أو انهاء العمل بفلسفة الفكر الجغرافى الحديث ، قد يكون صعبا ، على من لم يستوعب دواعى التجديد ، وليس فى وسعه أن يمارس أساليب التجديد والتجويد • ومع ذلك فلا يجب أن نكف عن مواجهة هذا الجمود ، ورفض البحوث الجغرافية ، لحساب الهدف الجغرافى ، الذى كان قد انبنى أساسا ، على مفاهيم ومنطق وفلسفة الفكر الجغرافى الحديث • ورفض مثل هذه البحوث رفضا قاطعا ، لأنها تركن الى شىء ملحـــوظ من التخلف العلمى ، لا يعنى غير الانتصار بشكل غير مباشر ، للجغرافية المعاصرة • كما ينبغى أن ندعم فى المقابل البحوث الجغرافية المجددة ، على النحو الذى يبتنى على مفاهيم ومنطق وفلسفة الفكر الجغرافى المعاصر ، أو على النحو الذى يحقق الهدف الجغرافى فى جوهره وشكله وتطلعاته التطبيقية الجديدة •

وليس أهم — فى البداية — من انهاء بعض حالات التردد ، أو بعض أوضاع التخبط ، حتى يتجنب الاجتهاد الجغرافى الخلط والتداخل المخل ، بين توجه الفكر الجغرافى الحديث وجموده النظرى ، وتوجهات الفكر الجغرافى المعاصر ومرونتها التطبيقية المتنورة • وهل لا يفتعل مثـــل ذلك الخلط أو التداخل أزمة حتى لو تأتى من غير قصد ؟ وهل لا تؤثر مواجهة هذه الأزمة، تأثيرا سيئا على حسن الأداء الجغرافى ، وهو الذى ينبغى أن تتفـــرغ له الجغرافية المعاصرة ؟ وهل لا يسفر هذا الوضع الغريب الى حالة من التفسخ، حيث يكون الجدل العقيم ، وتكون المصارعة بين القديم وهو غارق فى التقليد فى جانب ، والجديد وهو حريص على التجديد فى جانب آخر ؟

ومطلوب - على كل حال - قليل من الوعى ، الذى ينبغى أن يتفتح ، ومطلوب أيضا قليل من الجهد ، الذى ينبغى أن يبذل ، حتى يتسنى اخراج الاجتهاد الجغرافى الجامد من جموده ، الذى يفتعل هـــذه الأزمة ، أو حتى يتسنى انقاذ هذا الاجتهاد الجغرافى الجامد ، من حبائل التقليد • ولا شىء غير هذا الوعى الجغرافى فى وسعه ، أن يرشد الاجتهاد الجغرافى الجـــامد ، ثم ينتشله من الجمود ، الذى يحرمه من حسن استيعاب مفاهيم وفلسفة الفكر الجغرافى المعاصر • وقل أن هـــذا الوعى الجغرافى ، هو الذى فى وسعه أن يبث فى الاجتهاد الجغرافى الجامد ، روح الايمان بدواعى الأخذ بمنطق التجديد والتجويد ، فى الآداء الجغرافى التطبيقى ، وفى اعلان الرأى الجغرافى ، أو فى اصدار القرار الجغرافى التطبيقى المناسب •

ولا شىء مفيد ، يشـــد أزر علم الجغرافية المعـــاصرة ويتحمس لهـــا ، ويدافع عنها ، غير الاجتهاد الجغرافى الذى يستوعب مفاهيم وفلسفة الفكر الجغرافى المعاصر • ولا شىء مفيد أيضا ، يستبعد علم الجغرافية الحديثة من الميدان ، ويصرف الحماس عنها ، ويحرمها من أولئك الذين يدافعون بالباطل عنها ، أهم من اعادة النظر فى سبيل تربية الكوادر العلمية ، التى يوكـــل اليها بالتخصص ، أمر العمل والاجتهاد الجغرافى • وقد يستوجب هذا الأمر أيضا اعادة النظر فى المقررات الدراسية العلمية ، فى شكلها الأصولى ، أو فى شكلها التجريبى • ومن ثم يكون الحذف أحيانا الذى يضع حدا لدراسة مقررات استنفذت أغراضها • ويكون التعديل الذى يضع لمسات التجـــديد والتجويد لدراسة مقررات لم تستنفذ أغراضها أحيانا أخرى ، وتكـــون الاضافة التى تحض على التجديد وتزينه وتضيف مقررات جديدة مناسبة ، ويتسنى بموجبها ترسيخ الانجاز الجغرافى ، لحساب الهـــدف الجغـــرافى التطبيقى الجديد •

وأضف الى دواعى الحذف والاقلاع عن القديم البالى ، والتعديل والاقبال على التجويد ، والاضافة والتزود بالجديد ، الحاجة الى وضع برامج تجاوب وضع علم الجغرافية المعاصرة ، وهو علم عملى تطبيقى • وتخصص هـــذه البرامج لتدريب الاجتهاد الجغرافى ، على ممارسة العمل الجغرافى التطبيقى العملى فى الميدان ، على صعيد المساحة المعنية : كما ينبغى تعويد هذه الكوادر الجغرافية العلمية ، على الخروج فى رحلة العمل الجغرافى التطبيقى ، وكأنها فى دراستها التطبيقية فى الميدان ، أو فى الحقل ، على صعيد المساحة المعنية ، تسعى الى دخول المعمل أو المختبر ، الذى تجرى فيه الدراسة الجغرافيـــة العملية التجريبية •

هذا ، وينبغى أن يتحمل الاشراف العلمى المتخصص ، على الرسائل العلمية لطلاب الدراسات العليا ، على مستوى الماجستير والدكتوراه ، مسئوليته بشكل جاد ومؤثر فى هذا المجال • ويتعلق أمل الخروج من هذه الأزمة ، بأطراف هذه المسئولية ، التى لا ينبغى التهاون فيها ، أو التهرب منها أبدا • وعلى عاتق هذا الاشراف العلمى المسئول ، تقع مسئولية متابعة الكيفية ، التى يتأتى بموجبها انجاز البحث الجغرافى انجازا مناسبا لحساب الهدف الجغرافى الجديد • كما ينبغى أن يحض الاشراف العلمى دائما ، على تجاوز حدود الانجاز ، فى اطار التوزيع والتعليل والربط والتوجيه بمهارة الى حسن تقويم الظاهرة الجغرافية المعنية ، أو الموضوع الجغرافى ، تقويما جغرافيا مناسبا ، تبتنى عليه نتائج البحث ، وابداء الرأى الجغرافى التطبيقى السديد •

ويتعين على المشرف العلمى الذى يوكل اليه أمر الاشراف العلمى ، أن يتعقب عمل الباحث الجغرافى ، وأن يؤمن حسن التوجه والعناية واكتساب المهارة ، فى حساب الجدوى الجغرافية • ويجب أن يستشعر الباحث قيمة هذا الحساب ، وهو الذى يجاوب حاجة الانسان ، ويخدم مصلحته اجتماعيا واقتصاديا ، فى المكان والزمان • ومن غير تخوف على شخصية الباحث الجغرافى ، والتشكيك فى قدرته ، على الانجاز والاضافة ، التى تحسب له أو عليه ، ينبغى أن يتابع الاشراف العلمى حسن أداء الباحث الجغرافى باهتمام • كما ينبغى أن يتعقب عنايته بالموضوع مرتين ، **الأولى** وهو يعتنى بالرؤية الجغرافية التى يجسدها التوزيع والتعليل والربط ، **والثانية** وهو يعتنى بالرأى الجغرافى الذى لا يسفر عنه غير حسن تقويم هذه الرؤية الجغرافية ، لحساب الهدف الجغرافى الذى لا يسفر عنه غير حسن تقويم هذه الرؤية الجغرافية ، لحساب الهدف الجغرافى الجديد • ومن خلال هذه العناية بالرؤية الجغرافية وبالرأى الجغرافى ، تتداعى نتائج البحث الجغرافى ، الذى يمكن تطويعه وتوظيفه فى خدمة حركة الحياة • ومن ثم تكسب الجغرافية المعاصرة أنصارا ، وتضمن بهم انتصارا على صعيد العمل الجغرافى التطبيقى الرشيد •

ثانيا ـ أزمة اعادة النظر فى بنية الجغرافية المعاصرة :

فى اطار التركيب الهيكلى لبنية علم الجغرافية الحديثة ، جاء التقسيم العلمى الوظيفى ، تأسيسا على اهتمامات الفكر الجغرافى على المدى الطويل ، بالأرض ، وبالانسان ، وبالتعامل أو بالتفاعل الحياتى ، بين الانسان والأرض • ولقد اتفق الرواد من علماء الجغرافية ، فى القرن التاسع عشر

الميلادى ، على أن تتألف بنية علم الجغرافية ، من قسمين رئيسيين همـــا الجغرافية الطبيعية والجغرافية البشرية • وامتلك راتزل زمام الريادة فى الجغرافية البشرية ، وامتلك همبولت زمام الريادة فى الجغرافية الطبيعية • واقترنت عمومية التخصص فى علم الجغرافية ، بخصوصـــية التخصص فى الجغرافية الطبيعية أحيانا ، أو بخصوصية التخصص فى الجغرافية البشرية أحيانا أخرى •

ويوكل هـــذا التقسيم العلمى التخصصى الجغـــرافى الوظيفى ، الى التخصص فى الجغرافية الطبيعية قضية العناية بدراسة الأرض • وتشتمل هذه القضية الاهتمام والعناية بمتابعة الظاهرات الجغرافية الطبيعية • كما يحملها هذا التقسيم أيضا ، مسئولية الاهتمام الجغـــرافى ، بالصورة أو بالوضع الذى يكون عليه الواقع الجغرافى جملة وتفصيلا ، فى المكان والزمان، وقل أن الجغرافية الطبيعية ، فى اطار دراسة ومعالجة وتناول ومعـــاينة ، المنظور الجغرافى الطبيعى أصبحت تخصصا جغرافيا بحتا ومستقلا • وتحتوى الجغرافية الطبيعية ، فروعا جغرافية ، تتخصص فى متابعة تفاصيل جغرافية طبيعية ، تتمثل فى مكونات المنظور الجغرافى الطبيعى •

ويوكل هذا التقسيم العلمىالتخصصى الجغرافى الوظيفى، الىالتخصص فى الجغرافية البشرية قضية العناية بدراسة الانسان وحضوره على الأرض وتعامله معها • وتشتمل هذه القضية على الاهتمام والعناية بمتابعة الظاهرات الجغرافية البشرية ، على صعيد الأرض • كما يحملها هذا التقسيم أيضا ، مسئولية الاهتمام الجغرافى ، بالصورة ، أو بالوضع الذى يبدو فيه الواقع البشرى بكل أبعاده ، جملة وتفصيلا ، فى المكان والزمان ، وقل أن الجغرافية البشرية ، فى اطار دراسة ومعالجة وتناول ومعاينة المنظور الجغرافى البشرى ، أصبحت تخصصا جغرافيا بحتا ومستقلا • وتحتـــوى الجغرافيـــة البشرية ، فروعا جغرافية ، تتخصص فى متابعة تفاصيل جغرافية بشرية كثيرة ، تتمثل فى مكونات المنظور الجغرافى البشرى •

وبات هذا التقسيم العلمى الجغرافى التخصصى الوظيفى ، متعـــارفا عليه ، ومعمولا به ، اعتبارا من النصف الأخير من القرن التاسع عشر • وقل أنه يكسب اعتراف الجغرافيين وثقتهم فى جدواه ، والتزامهم به • وقل أيضا أن التخصص الجغرافى البحت أو الدقيق قد تأسس أو ابتنى على هذا التقسيم العلمى الوظيفى فعلا وعملا • ومن الجغرافيين ، ذلك الفريق الذى يستهويه التخصص فى الجغرافية الطبيعية ، والتمادى فى تخصيص دقيق يعتنى بأدق

التفاصيل فى كل عنصر من عناصرها • ومن الجغرافيين أيضا ، ذلك الفريق الذى يستهويه التخصص فى الجغرافية البشرية ، ثم التمادى فى تخصص دقيق ، يعتنى بأدق التفاصيل فى كل عنصر من عناصرها • ويجمع بين هذين الفريقين ، فى صف واحد ، الانتماء الى عمومية التخصص الجغرافى العلمى العام •

ومن خلال التقسيم العلمى الجغرافى الوظيفى التخصصى ، جاء الالتزام فى اطار عمومية التخصص الجغرافى ، وضع الجغرافية الطبيعية على وجه ، ووضع الجغرافية البشرية على الوجه الآخر • وبهذين الوجهين ، تكون عمومية التخصص فى علم الجغرافية ، وبدون أى من هذين الوجهين تفتقد هذه العمومية فى علم الجغرافية المتخصص • ومن ثم كانت الصلة التى تربط أو التى تجمع ولا ينبغى أن تنتهك أبدا ، بين التخصص الجغرافى الطبيعى ، والتخصص الجغرافى البشرى • ويصبح هذا التخصصان ، على هذين الوجهين الطبيعى والبشرى ، وهما يرسخان أصول الوحدة الشاملة فى البنية الجغرافية العلمية العمومية • ويتم هذان التخصصان بعضهما ، ويرسخان القيمة العلمية الكلية لعمومية المفاهيم الجغرافية ، كما أراد الفكر الجغرافى الحديث لها ، أن تكون وأن تعمل فى اطار التخصص العام ، لحساب الهدف الجغرافى •

وفى اطار الانتماء الجغرافى العمومى ، كان من شأن الاجتهاد الجغرافى ، أن يعلن أولا وقبل كل شىء عن تخصصه الجغرافى • ثم يختار هذا الاجتهاد الجغرافى بعد تثبيت مقومات انتمائه الجغرافى العمومى ، أحد الوجهين الطبيعى أو البشرى ، مجالا للتخصص الدقيق • وبموجب هذا الاختيار ، يتخصص الجغرافى تخصصا دقيقا ، فى معالجة أو فى دراسة موضوعات جغرافية طبيعية وفروعها الدقيقة • وبموجب هذا الاختيار أيضا ، يتخصص الجغرافى الآخر ، فى معالجة أو فى تناول ودراسة موضوعات جغرافية بشرية ، وفروعها الدقيقة • وعلى كل وجه من وجهى الاختيار التخصصى ، كان ويظل الاجتهاد الجغرافى المتخصص فى الجغرافية الطبيعية وفروعها المتعددة ، والمتخصص فى الجغرافية البشرية وفروعها المتعددة ، حريصا على الانتماء الأصلى للجغرافية • بل قل يحرص كل واحد منهما ، على الوقوف ، فى الصف الواحد ، الذى يضم كل الصفوة من الجغرافيين • وهذا معناه حسن العناية والمهارة فى التنسيق والمحافظة على أقصى درجة من التوازن الحميد ، بين انتمائين هما ، الانتماء الى عمومية التخصص الجغرافى العام ، والانتماء الى خصوصية التخصص الجغرافى الخاص •

ويكون الحرص على الوقوف فى الصف الجغرافى الواحد ، والانتماء العام الى الصفوة الجغرافية بالضرورة حرصا حصيفا ومؤكدا ، وينبغى أن يسبقه الحرص على الاعلان الصريح عن التخصص الجغرافى العلمى الدقيق . بمعنى أن المتخصص الجغرافى يكون جغرافيا أولا وقبل كل شىء ، ثم هو يكون جغرافيا متخصصا بعد ذلك . ولا تعارض أبدا . بين انتماء الى التخصص الجغرافى العام بمفهومه الشامل ، وانتماء الى التخصص الجغرافى الدقيق ، الطبيعى أو البشرى ، بحكم التقسيم العلمى الجغرافى المعمول به أو المتفق عليه . وبمعنى أن الاعلان عن التخصص الجغرافى الطبيعى ، أو التخصص الجغرافى البشرى ، يكون اعلانا لا يجوز الطعن فيه ، ولكنه فى نفس الوقت ، لا يستوجب أبدا انكار أو استنكار الاعلان عن الانتماء أصلا ، الى التخصص الجغرافى العام . بل قل أنه لا وجه أبدا للاعتراض على الانتماء العمومى ، والوقوف فى صف واحد يجمع كل الجغرافيين فى جانب ، والانتماء الخصوصى والوقوف فى صف خاص ، يجمع كل فريق متخصص من الجغرافيين ، فى جانب آخر .

ومن يحدثه تخصصه الجغرافى الدقيق ، ويستغرق فيه أو يتمادى ، ولا أقول يتعصب له ، يجد فى رحاب هذا التخصص الجغرافى الدقيق شيئا مهما ، يستحق أن يعتنى به أو يحافظ عليه ، وأن يعمق اعتزازه ، بالانتماء الى الصفوة الجغرافية . ولكن من يحدثه تخصصه الجغرافى الدقيق ،ويستغرق فيه ، ويأخذ بمنطق التعصب الشديد له ، ينزلق الى حضيض الاستعلاء متعمدا ، حتى يقع فى الخطأ ، أو حتى يتردى فى حبائل هذه الخطيئة العلمية ، فى حق الانتماء الجغرافى العام . ذلك أنه يتشبث بمكانه فى الصف الجغرافى المتخصص ويعرض متعمدا عن مكانه الأصلى ، فى اطار الصف الجغرافى العام الواحد ، الذى يجمع ويضم كل الجغرافيين من غير تمييز بين تخصصاتهم الجغرافية الخاصة .

وينال هذا الغائب متعمدا عن وحدة الصف الجغرافى العام ما يستحقه من لوم وتقريع . وقل يصبح فى نظر الصفوة الجغرافية مرتدا أو متمردا ، لأنه يخرج خروجا شاذا ، عن القاعدة التى يبتنى عليها الاخاء ، فى تقسيم الجغرافية الى القسمين الكبيرين ، الطبيعى والبشرى . وقل أن هذا الخروج المتمرد ، هو الذى يضع علم الجغرافية المعاصرة فى الأزمة ، التى تحمل فى أحشائها منطق الاعتراض ، على التركيب الهيكلى لبنيته العلمية .

وينبغى أن ننظر الى هذا الخروج المتعمد عن الصف الجغرافى الواحد ،

تنظرة الاعتراض والمعارضة • ذلك أن هذا الخروج المتمرد ، هو الطعن المباشر في مصداقية القاعدة العامة ، التى استوجبت التقسيم الجغرافى العلمى ، وتفرض على هذا الجغرافى المتخصص دراسة الأرض وهى وطـــن الانسان ودراسة الانسان وهو يعيش فى ربوع الأرض • وما يتأتى أو ما يتأسس مخالفا لهذه القاعدة ، يجب أن يسترعى الانتباه • وقد نستنكره ، وينــــال الاعتراض الحقيقى على دواعى هذا الخروج ، لأنه — كما قلنا — لا قيمة لدراسة الأرض جغرافيا ، فى حال غياب حضورالانسان عن صعيدها ، ولا محـــل أولايستحق حضور الانسان ودراسته العناية الجغرافية ، من غير حضور على الأرض التى يحيا فى رحابها •

هذا ، ومع التحول الهادىء ، من الجغرافية التى كانت تجاوب فلسفة الفكر الجغرافى الحديث ، ولا تخرج عن توجيهاته ، الى الجغرافية التى أصبحت وهى تجاوب فلسفة الفكر الجغرافى المعاصر ، لم يتنكر علم الجغرافية أبدا ، أو لم يعترض على التقسيم العلمى الجغرافى المعمول به ، على الوجهين ، الطبيعى والبشرى • كما لم تعترض الجغرافية المعاصرة أبدا ، على وضع الجغرافيــة الطبيعية ، فى الوضع التخصصى ، على وجه خاص ، ووضـــع الجغرافيــة البشرية ، فى الوضع التخصصى ، على وجه خاص آخر • بل قل تحـــافظ الجغرافية المعاصرة على وضعها ، على هذين الوجهين ، ولا تجد فى صلب هذا التركيب مبررا واحدا ، يستوجب الاعتراض على هذا التقسيم • بل وليس فى نية التفكير الجغرافى المعاصر فلسفة تدعو الى ، أو تحمل وتحفز الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، على البحث عن تقسيم جغرافى علمى تخصصى آخر •

ومن ثم ندرك جيدا ، كيف ورث الفكر الجغرافى المعاصر هذا التقسيم الجغرافى التخصصى ، الذى ما زال حريصا ، على أن يميز بالفعل ، بين شق التخصص الجغرافى الطبيعى فى جانب ، وشق التخصص الجغرافى البشرى فى جانب آخر ، عن الفكر الجغرافى الحديث • وما زال الفكر الجغرافى المعاصر حريصا على هذا الميراث ، فلا هو يستنكره ، أو ولا هو على استعداد للتفريط فيه • بل قل أنه ليس على استعداد للبحث عن التقسيم البديل ، ولا يكاد يقبل أى طعن ينال منه أو يرفضه • وهذا معناه بصراحة ، أن يبقى التركيب الهيكلى لبنية علم الجغرافية المعاصرة ، على ما كان عليه من قبل • ومعنـــاه أيضا أن يبقى هذا التقسيم الوظيفى التخصصى المعمول به مناسبا وصالحا ، ولا محل للتغيير أو للاقلاع عن الممارسة الجغرافية المتخصصة بناء على هـــذا التقسيم الجغرافى التخصصى •

وهناك أصوات خافتة تردد باستنكار هذا التقسيم الجغرافى أحيانا . وهناك أصوات تعلو أحيانا أخرى ، وهى تعلن عن بعض المبررات التى تراها وجيهة ، فى شأن استنكار أواستهجا ن هذا التقسيم الجغرافى ، الذى يفصل ويميز بين الجغرافية الطبيعية والجغرافية البشرية . وتجاوب هذه الأصوات وهى خافتة أو وهى عالية على سؤال ، يتردد على لسان بعض الجغرافيين ، أو يرد على خاطر الواحد منهم . ويقول هذا السؤال لماذا بالضرورة ، جغرافية طبيعية وجغرافية بشرية ، فى اطار الانتماء الجغرافى ؟ ويقول هذا السؤال أحيانا أخرى ، لماذا يتحتم الفصل بين الجغرافية الطبيعية والجغرافية البشرية ؟ وقد يتسلل عرض السؤال تسللا على استحياء خبيث ، ويقول ألا يكفى أن تحل الجغرافية العامة محل هذا التقسيم الجغـــرافى التخصصى ، فتغنى عن خصوصية التخصص فى الجغرافية الطبيعية والجغرافية البشرية ؟

وطرح هذ السؤال على أى نحو ، وبأى طريقة من طرق الاستفسار التى نعلن عن درجة من درجات الاعتراض ، هو الذى يعبر عن أبعـــاد الأزمة . وتجسد هذه الأزمة — اذا جازت هذه الصفة — شكلا من أشكال الاعتراض الصريح على الفصل ، الذى ابتنى عليه منطق التقسيم الجغرافى التخصصى أولا ، والاعتراض على التخصص بناء على هذا التقسيم الجغرافى ثانيا . ومع ذلك فأن هذا الاعتراض ، لا يمكن أن يعبر عن اعراض حقيقى ، عن دراسة الأرض ومعالجة الواقع الطبيعى ، أو عن اعراض حقيقى آخـــر ، عن دراسة الانسان ومعالجة الواقع البشرى . بمعنى أن هذا الاعتراض يتمتم وهـــو شديد التحفظ ، أو يعلو صوته من غير تحفظ ، على التقسيم ، وهو فى نفس الوقت لا يعترض على اهتمامات علم الجغرافية ، بالأرض وبالانسان ، وبالتفاعل الحياتى بينهما . بل ان أصوات هذا الاعتراض ، تعترف بأن هذه الاهتمامات الجغرافية ، لا يمكن أن تكون محل جدل أو محل اعتراض ، أو محل اعراض أبدا . وربما يوجه هذا الاعتراض الذى تعلن عنه هذه الأصوت ، فى المقام الأول ، ا لى جدوى المنطق ، الذى يؤيد التقسيم الجغرافى التخصصى ، والمبرزات التى يتأتى بموجبها المحافظة عليه ، والعمل به .

ويبدو — على هذا الأساس — أنه لا محل لأزمة حقيقيـــة ، تواجه علم الجغرافية المعاصرة ، شكلا أو موضوعا . ولا ينبغى أن نتخوف عليه من هـــذه الأزمة . وقد لا يستوجب الأمر ، الجدل والحوار للرد على هذا التشكيك . ولا ينبغى أن نتخوف عليه من هذه الأزمة . وقد لا يستوجب الجدل والحوار للرد على طرح السؤال ، اعادة النظر بالفعل فى التركيب الهيكلى لبنية علم

الجغرافية المعاصر . وليس فى نية الاجتهاد الجغرافى ، أن يصرف النظر عن التقسيم الجغرافى المعمول به . ولا محل أبدا لاهمال العناية الجغرافيـــة بالأرض ، التى تهتم بها وتتفرغ لها ، الجغرافيـة الطبيعية . ولا محل أبدا لاهمال العناية الجغرافية بالناس وحركة الحياة ، التى تهتم بهـا . وتتفرغ لها الجغرافية البشرية .

ولو كان القصد الحقيقى ، من وراء طرح هذا السؤال ، الذى يتكرر من حين الى حين آخر ، هو مجرد الاعتراض على اهتمام علم الجغرافية المعاصرة ، بأى من هذين الشقين أو هذين القسمين الجغرافيين ، يصبح من حقنا أن نرفض هذا القصد الذى يتهجم ويهاجم متعمدا. ذلك أنه . يبدو عندئذ وكأنه الطعن المباشر ، الذى لا يستهدف غير التخريب ، وهدم فلسفة الفكر الجغرافى من الأساس . وينبغى أن نستبعد هذا القصد السىء ، لأن الاقدام على الهدم ، يستوجب احلال فلسفة أخرى محلها. ومن ثم لا يكاد يعطى طرح هذا السؤال انطباعا واضحا عن الرغبة فى احلال فلسفة جديدة غير فلسفة الفكر الجغرافى التى تجيز هذا التقسيم الجغرافى ، أو عن الرغبة فى هدم التركيب الهيكلى لبنية علم الجغرافية من الأساس . ذلك أن الهدم لا يعنى غير حرمان الاجتهاد الجغرافى من العناية الملتزمة ، بالأرض ، وبالانسان ، وبالتفاعل بينهما ، فى المكان والزمان .

وينبغى أن نفترض حسن النية ــ على كل حال ــ ، وأن نتوقع سلامة المقصد فى الأصل ، لكى يكون فى وسعنا أن نجادل ، أو أن نحاور ، حتى يتسنى الرد ردا موضوعيا على طرح هذا السؤال . بل ولا ينبغى أن يكون الهدف من خلال الحوار الفكرى الهادىء ، أو من خلال الجدل الموضوعى الملتزم، غير الوصول الى الاجابة السليمة . بل قل ينبغى أن يفضى هذا الجدل أو هذا الحوار ، فى نهاية المطاف ، الى اقتناع حسن ، يبقى عـلى التقسيم الجغرافى والعمل بموجبه على مستوى التخصص الجغرافى ، أو الى عدم اقتناع بجدوى هذا التقسيم الجغرافى ، الذى يحتوى التخصص الجغرافى الطبيعى، والتخصص الجغرافى البشرى . والمهم أن يتأتى هذا الاقتناع ، أو عدم الاقتناع ، فى هدوء ، ودون تعريض بنية علم الجغرافية المعاصرة ، لهزات عنيفة متعصبة ، أو لزلزلات خطرة مدمرة ، تهد أو تهدد كيان العلم وأصوله الفلسفية .

واذا أفضى الجدل الى الاقتناع بجدوى هذا التقسيم الجغرافى ، تنتهى القضية . ويبقى هذا التقسيم لكى يحتوى الاهتمام الجغـــرافى بالأرض ، والاهتمام الجغرافى بالانسان وحركة الحياة ، فى الوضع المتعارف عليه .

أما اذا لم يكن هناك اقتناع بجدوى هذا التقسيم ، كان من الطبيعى أنه نتعقب موجبات عدم الاقتناع ، وأن نختبر المبررات التى تؤيد الاعتراض وعدم الاقتناع . كما ينبغى أن نتلمس أيضا ، كيف يكون الطعن فى حتمية هذا الفصل الجغرافى بين الجغرافية الطبيعية والجغرافية البشرية ، وهما فى اطار الجغرافية الموحد . ومبلغ علمى أنه لا طعن فى جوهر الفلسفة التى تحتم هذا الفصل ، ولا مبرر أيضا لهذا الطعن .

والخوف كل الخوف من أن يمضى هذا الطعن الذى لا يطعن فى فلسفة الفكر الجغرافى ، الى حد ، لا تتضرر به بنية علم الجغرافية المعـاصرة أبدا ، ولكن يتضرر منه فعلا من يصر على هذا الاعتراض دون مبرر وجيه . ويحق لنا أن نسأل عن سبب هذا الاعتراض ، أو سبب عدم الاقتناع بجدوى هذا التقسيم الجغرافى ، الذى يتحدد به مجال التخصص الجغرافى الدقيق . كما ينبغى أن نطلب من كل من يبدى سببا لعدم الاقتناع ، التوجه البديل الى تقسيم جديد ، بشرط عدم التفريط فى الاهتمام الجغرافى بالأرض ،والاهتمام الجغرافى بالانسان وحركة الحياة .

واذا كان هناك شىء من الشك فى جدوى هذا التقسيم الجغرافى ، الذى يأتى بموجبه التمييز ، الجغرافية الطبيعية ، والجغرافية البشرية ، كان من الضرورى أن نتدارك هذا الشك حتى لا يصل الى درجة عدم الاقتناع . وهذا معناه أن من يشك أو من يتشكك ، أو من يشكك ، لا يكاد يقصـد الطعن لذاته ، فى جدوى هذا التقسيم الجغرافى ، ولا يقصد بالتالى الطعن فى منطق وفلسفة الفكر الجغرافى ، الذى يؤدى الى هذا التقسيم ، أو الذى يباركه ، ويأخذ به . وقل أن هذا المتشكك ، ربما كان يبحث أو يحاول العثور عن تقسيم آخر أكثر جدوى . وهذا هو الاحتمال الشارد الضعيف . ولكـن الاحتمال الوارد الآخر ، فربما تمثل فى البحث عن وسيلة علاج ، تواجه أو تعالج شرود ، أو تمرد هذا التخصص الجغرافى ، بموجب هذا التقسيم . وعلاج هذا التمرد ، يعنى مواجهة الخروج على الصف الجغرافى الواحد ، أو الاستعلاء عن حتمية الانتماء العام ، الى الصف الجغرافى الواحد ، الذى تعود على الجمع بين التخصص الطبيعى والتخصص البشرى .

وكان طرح هذا السؤال ، وهو لا يعلن عن عدم الاقتناع بجدوى هذا التقسيم الجغرافى ، لا ينطوى على ارادة التمرد أو الشرود . وقل أنه اذا كان قد طالب باعادة النظر فى التركيب الهيكلى لبنية علم الجغرافية المعاصرة ، فيكون فى الغالب ، فى موقف الدفاع عنها ، فى مواجهة التمرد أو الشرود

الذى يبديه غرور التخصص الجغرافى الدقيق · وفى اعتقاد جغرافى صريح ، أن هناك فعلا ، من تحدثه نفسه ، ويزين له غروره ، التمرد وصولا الى حد الشرود · ويسفر هذا الشرود أحيانا ، أو هذا التمرد أحيانا أخرى ، الى حد الانغلاق أو التقوقع فى التخصص الجغرافى الدقيق ، أو الى حد التنكر للانتماء الجغرافى العـــام · ومن ثم يكون الهروب والتهرب من الوقوف فى الصف الجغرافى الواحد · وتوظيف طرح هــذا السؤال فى موقف الدفاع ، يجسد محاولة انهاء موجبات هذا التخصص الجغرافى الدقيق ، حتى يتجنب عـــلم الجغرافية المعاصرة ، عواقب ، شرود الشاردين والمتمردين ، وتوقف نزيف الخروج المتعمد عن الصف الجغرافى الواحد ·

وفى اعتقادى أن من يبدو وكأنه يطعن فى حتمية هذا التقسيم ، لايفعل ذلك متعمدا ، وهو متجرد من الغرض · وربما كان هذا الطعن وسيلة ، يريد بها أن يقطع الطريق على من يضل ، ويزين له تخصصه الجغرافى الدقيق . الانزلاق فى مصيدة الشرود والتوقع ، وصولا أحيانا الى حد الانسلاخ النهائى من الصف الجغرافى · وقل ربما يريد أن يفرغ هذا التقسيم الجغرافى من مضمونه ، لكى لا يدع أمر اختيار التخصص الجغرافى مبـاحا ، ثم يستباح بموجبه هذا الشرود أو التمرد ، بكل عواقبه الوخيمة ، حتى يؤثر عـــلى سلامة الجغرافية المعاصرة · وكأن الغرض الذى يضمره ، من يبدو وهو يطعن فى التقسيم الجغرافى ، يتمثل فى العمل على تجميد الحق فى هذا الاختيار ، أو تجميد العمل به تحت شعار التخصص الجغرافى الدقيق · وهذا التجميد هو الذى يحبط تقاليع هــذا الانزلاق الى مواطن التمرد والشرود · ومن ثم يفرض اسقاط هذا التقسيم والاقلاع عنه ، على ذات الجغرافى ، الذى يتحمل مسئولية العمل الجغرافى ، أن يكون جغرافيا بالفعل ، أو أن لا يكون · بل قل أنه يرى فى اسقاط التقسيم الجغرافى ، وسيلة حرمان تحرم من يحدثه غروره الجغرافى التخصصى الخاص بالشرود أو بالتمرد ، وتوقفه عند حده ·

ونقول أنه ليس بهذا الأسلوب ، الذى يطعن فى التقسيم الجغرافى من حيث الشكل ، ويقتنع به من حيث الجوهر ، يكون العلاج ، أو يكون البحث عن حل فى مواجهة هذا الشرود ، الذى يتسبب فى الأزمة · وقل أنه لـــو استجبنا لهذا الأسلوب ، كان علينا ، أن نعيد النظر فعلا فى التركيب الهيكلى لبنية الجغرافية المعاصرة · بل قل يكون لزاما علينا أن نحتال حتى نتلمس التركيب الهيكلى الجديد ، الذى يخفى ملامح هذا التقسيم وشكله الظاهر ، ويحافظ فى نفس الوقت على الجوهر ، الذ يبقى على التخصص الجغرافى الدقيق فى كل قسم من هذين القسمين ، ويفرض على الجغرافى المتخصص ما يكبل

ارادة الشرود فيه ، أو لا يدع له فرصة التمرد على وضعه ومكانه ، فى الصف الجغرافى الواحد ٠

وفى اعتقاد الجغرافيين جميعا دون استثناء ، أن التخصص الجغرافى الدقيق ، ضرورى وواجب ، ولا يجوز التفريط فيه أبدا٠ويتأكد هذا الوجوب سواء كان التخصص الدقيق فى اطار البنية الجغرافية الحالية ، أو يكون فى اطار البنية الجغرافية المرتقبة ، فى حال اعادة النظر فى تركيبها الهيكلى ٠ ويهيىء التخصص الجغرافى الدقيق — على كل حال — فى أى من الحالتين فرص الشرود والخروج من الصف ، لكل من يملك الاستعداد للشرود المغرور ، والوقوع فى الخطأ ٠ بمعنى أن طلب اعادة النظر مرفوض ، شكلا وموضوعا ، ولا لزوم له أبدا ٠ ذلك أن من يملك الرغبة فى الشرود ، يزين له غروره هذا الشرود بالفعل ، ولا شىء يمكن أن يمنعه أو أن يردعه أو أن يقوى فيه دواعى التشبث بعمومية الانتماء الى الصف الجغرافى الواحد ٠

ومهما يكن من أمر ، هذه الأزمة — اذا أجاز هذا التعبير — فان الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، لا يهتز ٠ ويحسن هذا الاجتهاد الجغرافى المعاصر الاستماع الى السؤال ، الذى يطعن متعمدا ، أو الذى يثير عاصفة من الشك فقط ، فى سلامة التركيب الهيكلى لبنية علم الجغرافية ، ويحاور ويجادل بصدر رحب ، وعقل متفتح ٠ ولا يجد هذا الاجتهاد الجغرافى المعاصر الرزين ، مبررا واحدا ، يحق بموجبه اعادة النظر فى هذه البنية ، أو فى تقويم سلامة تركيبها الهيكلى ٠

وتحافظ الجغرافية المعاصرة على هذه البنية ، التى تستوجب التقسيم الجغرافى ، كما ورثتها عن الجغرافية الحديثة ٠ وهناك أكثر من مبرر وجيه ، يدعم الجغرافية المعاصرة ، فى اتخاذ هذا الموقف ، والاصرار على هذا التقسيم الجغرافى ٠ وتدعو الجغرافية المعاصرة ، الى وجوب التخصص الجغرافى الدقيق فى الجغرافية الطبيعية ، جنبا الى جنب ، مع التخصص الجغرافى الدقيق فى الجغرافية البشرية ٠ ولا تنازلات فى هذا الخصوص أبدا ٠ وقل أنها تشجع وتحفز هذا التخصص الجغرافى الدقيق ، على أن يعمل لحساب التجديد فى الانجاز الجغرافى المتخصص الدقيق ٠ ولا يضع علم الجغرافية بعد ذلك كله ، حظرا على التخصص الجغرافى ، ولا على الابداع فى هذا التخصص الجغرافى الدقيق ٠ ولكن هناك شروطا ينبغى حسن الاستماع اليها والعمل بموجبها ٠

وتتمثل هذه الشروط فى :

(أ) يجب أن يحافظ الجغرافى أولا على انتمائه ا لىالصف الواحد ، الذى يجمع بين جميع الجغرافيين بصرف النظر عن التخصص الجغرافى الدقيق • وفى وسع الجغرافى أن يحافظ على التوازن والتوازى بين الانتمـاء للصف الجغرافى العام الواحد ، والانتماء للتخصص الجغرافى الدقيق •

(ب) يجب أن يتفرغ الجغرافى للأداء ، وصـولا الى حـد الابداع فى التخصص الجغرافى الدقيق ، دون مساس بأسس وأصول ، وقواعد عريقة ، قد فرغ التفكير الجغرافى من ارسائها ، وابتنى عليها سلامة التركيب الهيكلى للبنية الجغرافية ، منذ وقت طويل •

* * *

ثالثا : أزمة انسلاخ بعض الاهتمامات الجغرافية :

تواجه الجغرافية المعاصرة ، وهى علم عملى ، له اهتمامات عملية تطبيقية، بعض المشاكل والأزمات ، بالقدر المناسب من الموضوعية والحسم • ويرى علم الجغرافية المعاصرة ، أن مثل هذه المواجهة تمثل شيئا من هموم العمل ، أو من متاعبه التى ينبغى التعود عليها ، دون خوف أو حساب كبير للعواقب • ويخرج علم الجغرافية المعاصرة من هذه المواجهة ــ فى كثير من الحالات ــ ، وقد اكتسب أو تزود بخبرات جديدة أو ازداد رسوخا وقدرة على الأداء والانجاز الجغرافى الأفضـل • ومع ذلك ، يبقى أن نشير الى تخوف علم الجغرافيـة المعـاصرة الشـديد من شرود أو تمرد أو من انحراف التخصص الجغرافى الدقيق ، فى بعض الحالات الاستثنائية ، أو الشاذة •

وكان من الضرورى أن يتصدى علم الجغرافية المعاصرة لهذا الانحراف ، وأن يندد به ، وأن يتلمس وسائل ردعة وتطويعه • وقل كان من الضرورى أيضا أن يدافع علم الجغرافية المعاصرة ، دفاعا شريفا عن اهتماماته المتعددة وعنايته بدراسة الأرض وبدراسة الانسان وبدراسة حركة الحياة والتعامل بين الانسان والأرض • ومع ذلك يعانى علم الجغرافية المعاصرة ، وتعانى معه الصفوة من الجغرافيين ، من استشعار عدم القدرة على انهاء أو احباط أو وقف تيار هذا الشرود والتمرد • بل قل تزداد هذه المعاناة ، عندما يتجه تيار هذا الشرود الى حد الانسلاخ عن صلب التركيب الهيكلى لعلم الجغرافية ، ويجد

الشرود ، من غير المتخصصين فى الجغرافية ، تشجيعا يشجع هذا الانسلاخ ، ويدعو اليه ٠

وصحيح أن الجغرافية المعاصرة ، فكـــرا وعلما تدافـــع عن مفاهيمها واهتماماتها ، ولا تسكت فى مواجهة الشرود أو التمرد ٠ وصحيح أيضا أنها تعمل كل ما فى وسعها ، لكى تعيد هذا الشرود الى جادة الصواب ، وتجمد توجهه الشارد الى الانسلاخ ٠ ولكن الصحيح بعـد ذلك كـــله ، أن ارادة الشرود لا تستسلم ، ولا تثوب الى رشدها ، لأن موجبات هذا الشرود ، وهى تختلط بالغرور ، تزين للانسلاخ الاصرار على مشوار الشرود ، أو الخروج عن الصف الجغرافى ، خروجا متعمدا بلا عودة ، أو دون المحـــافظة على دواعى الانتماء الجغرافى ٠

ويمثل هذا الانسلاخ فى أسهل كلمات ، عملية البتر التى يتعرض لها الكيان الجغرافى ٠ وقل لا يسفر هذا الانسلاخ ، عن شىء أهم أو أخطر من انقطاع الصلة العضوية ، بين علم الجغرافية وهو بمثـابة الأم فى جانب ، وبعض الاهتمامات الجغرافية الطبيعية،أو الاهتمامات الجغرافية البشريةفى جانب آخر ٠ ولا شىء معقول يمكن أن يبرر هذا البتر ، أو أن يدعو علم الجغرافية الى التفريط فى الاهتمام الذى يتعرض لهـــذا الانسلاخ ٠ ومن ثم تتخـذ الجغرافية المعاصرة ، علمـــا وفكرا ، موقفا مناسبا ، وهى تواجه هـــــذا الانسلاخ ٠

وقل أن هذه الاهتمامات ، سواء كانت طبيعية أو بشرية ، كانت قـد نشأت وتشكلت ، فى الاطار الجغرافى ٠ وقل أيضا أنهـــا كانت تتوجه فى المـاضى ، كمـــا تتوجه فى الوقت الحـــاضر ، من خـلال البحث الجغرافى المناسب ، توجها رشيدا وسديدا ، الى الهدف الجغرافى ٠ بل قل أن كل ما فى محتوى هذه الاهتمامات ، يعلن فى الظاهر ، وفى الباطن ، عن الولاء للانتماء الجغرافى ٠ ويظل الاجتهاد الجغرافى المعـاصر ، حريصا على هـذه الاهتمامات ، ولا يقدم أبدا على التفريط فيهـــا ٠ وما زال علم الجغرافيـة المعاصرة حريصا على أن يضع هذه الاهتمامات ، فى بؤرة العناية الجغرافية العلمية العملية الكامله ٠ ومن ثم يبدو الاجتهاد الجغرافى المعـاصر ، وكأنه لا يعترف بالشرود ، ويستخف به ، أو وكأنه لا يقر هـذا الانسلاخ ، ولا يتردد فى استنكاره وعدم الاعتراف به ٠

ويعلن هذا الانسلاخ بالضرورة ، عن ولادة علم جـــديد ، يخرج من

تحت الثوب أو من تحت الرداء الجغرافى • ويتقدم الاجتهاد العلمى الشارد مبتعدا عن الانتماء الجغرافى ، الى قطـــع الصلة ، بين هذا العلم الجـديد ، وقواعد علم الجغرافية • وصحيح أن هذا القطع لا ينتهك غير الشكل ، ويبقى الاتصال من حيث الجوهر سليما لا ينقطع أبدا • ولكن الصحيح أيضا ، أن الأيدى التى ترتكب هذه الخطيئة وهى متعمدة ، تعبث وتحـاول أن تبتنى الحاجز الذى يقطع خط الرجعة ، على أى احتمـال عاقل للعودة الى الأصـل الجغرافى •

ويحاول هـــذا الاجتهاد العلمى الشارد أو الخـارج عن الانتمـاء الى الجغرافية ، أن يخرج عن القواعد والأسس المعمول بها ، فى الاطار الجغرافى الجامع ، لكل الاهتمامات ، بالأرض وبالانســـان ، وبالتعامل الحيـاتى بين الانسان والأرض • ويتولى هـــذا الاجتهاد العلمى الشارد ، ســـواء كان جغرافيا قبل أن يتبرأ من الانتماء الجغرافى ، أو كان غير جغرافى واشترك فى اتمام هذا الانسلاخ ، مسئولية وضع وصياغة القواعد والأسس الجديدة، التى يبتنى عليها ، الاطار العلمى المتـناسب لهـذا العلم الجـديد ، حديث الولادة •

وهكذا تكون الأزمة التى تواجه علم الجغرافية المعـاصرة ، والفـكر الجغرافى الذى يدعم ويشد أزر هـــذا العلم ، لحساب الهـدف الجغرافى الجديد • ويجرم علم الجغرافية هذا التوجه الشارد المتمرد • ويدين قضـية البتر الذى يتعرض له الكيان الجغرافى • بل قل أنه يرى فى هذا الانسلاخ دون مبرر موضوعى وجيه ، شكلا من أشكال التفسخ والتخريب والهدم • ويكون علم الجغرافية المعاصرة فى صحبة الفكر الجغرافى مسئولا عن حماية الكيان الجغرافى الموحد ، وعن الدفاع عن اهتمـاماته فى الاطار الجغرافى • كما يكون هذا الاجتهاد الجغرافى مسئولا عن حسن مواجهة الأزمة ودواعى التخريب فى الكيان الجغرافى ، وحسن امتصاص الصدمات ، التى تتسبب فيها قضايا الانسلاخ والخروج عن عمومية ثم عن خصوصية الانتماء الجغرافى •

وبصرف النظر عن مبلغ خطورة هـــذا الانتهـاك ، الذى يتعرض له الكيان الجغرافى ، يجب أن نتبين كيف يسفر هذا الانسلاخ عن مولد علم جديد ، تحت سمع وبصر علم الجغرافية • وبصرف النظر عن كل المعـانى التى يفضى اليها هذا الانسلاخ ، وهو يعلن عن بتر اهتمام من الاهتمامات الجغرافية ، ينبغى أن نتلمس جيدا عواقب هذا البتر ، ومبلغ تأثيره عـلى الكيان الجغرافى • وقد يتحمس الاجتهاد الجغرافى المعاصر لهذه المواجهة ،

لكى يتعرف على كيفية الانسلاخ ، وعلى جدوى نشأة هــذا العلم الجديد وقد لا يعترض الاجتهاد الجغرافى اعتراضا شديدا على نشأة هــذا العـ الجديد ، وهو يجاوب حاجة الحياة ، بما يضيفه من انجاز مفيد ، الى الرصيـ العلمى الانسانى • وقد يترفق الاجتهاد الجغرافى بهذا العلم الجديد ، ويعيـ ويزوده ، على اعتبار أنه نشــأ وتدفق من نبع وحــدة المعرفة فى الاطـ الجغرافى • ولكن يبقى بعد ذلك كله ، الاعتراض الجغرافى الشديد عــ جدوى الانسلاخ ، وهو يسأل عن لمــاذا يولد هــذا العلم الجديد ؟ بل و قيمة هذا العلم الجديد ؟ اذا كان توجه البحث فيه ، يقع فى خطيئة التكرار أو الثنائية فى التناول • ومن ثم تسأل الجغرافية المعاصرة بالحاح شديد عـ جدوى هذه الثنائية ، وما هو وجه التجديد الحقيقى أو التجويد العلمى من وجهة النظر العلمية الموضوعية •

وعلم البيئة مثلا ، من العلوم التى نشأت ، من خلال هذا الشرود أو من خلال هذا الخروج عن اطار وحــدة المعرفة الجغرافيــة • ويســجل الاجتهاد الجغرافى فى مرحلة انتعاش علم الجغرافية الحــديثة ، وفى مرحلـ التحول الى علم الجغرافية المعاصرة ، اهتماما وعناية حقيقية بدراسة البيئة ولم يحدث أبدا ، أن أهمل أو أن تخاذل الاجتهــاد الجغرافى فى دراســ البيئة ؛ على صعيد المساحة المعنيــة ، فى الزمان والمــكان ، بل قل كانت هناك محاولات جادة ، من أجــل وضـع الاطار أو الحد الذى يكفل حبكـ البيئة فى المكان • ومع ذلك لست أدرى لمــاذا كان الشرود ؟ وكيف أفضى هذا الشرود الى الانسلاخ من صلب التركيب الهيكلى للبنية الجغرافية ؟ •

وقد يجهل الاجتهاد الجغرافى المعاصر بالفعل ، دواعى وموجبات هذ الانسلاخ ، التى أدت الى نشأة علم البيئة • ولكنه يدرك فى نفس الوقت ، أن أولئك الذين زين لهم الشرود فرض هــذا الانسلاخ ، يتعمدون اقامة الحاجز أو السد الذى يرسخ انقطاع الصلة ، بين علم البيئة وعلم الجغرافية • بل انهم يستنكرون أحيــانا هــذه الصلة استنكارا شديدا ، يبلغ حــد التبجح • ويدرك الاجتهاد الجغرافى أيضا ، أن توجه الدراسة والبحث فى علم البيئة الذى ، يتبرأ من الانتماء الجغرافى ، ويتنكر للصلة بينهــا وبين علم الجغرافية ، يقع فى خطيئة الثنائية ، فى التناول ، أو فى الدراسة •

وتأسيسا على خطيئة الثنائية فى التناول والدراســة والبحث الذى يتولى أمره الاجتهــاد الغامى فى عــلم البيئــة ، يكون الاعتراض الجغرافى الشديد ، على موجبات هذا الانسلاخ ، وعلى جدوى نشأة هذا العلم وانقطاع

صلته بعلم الجغرافية المعاصرة • ولو دققنا جيدا ، فى صلب اهتمامات علم البيئة ، وتوجهات البحث العلمى عن البيئة ، وهو يتناول أو وهو يعالج البيئة الطبيعية ، أو وهو يتناول أو وهو يعالج البيئة البشرية ، وصولا الى النتائج ، التى تجاوب الهدف الجغرافى فى نهاية المطاف ، تبين لنا كيف يكون الوقوع فى خطيئة التكرار ، أو الثنائية فى التناول ، والتوازى فى المعالجة •

ومن خلال مراجعة البحث العلمى عن البيئة الذى ينجزه الباحث الجغرافى ، ومراجعة نفس البحث العلمى عن البيئة ، الذى ينجزه ، الباحث غير الجغرافى أو الذى ينجزه متخصص فى علم البيئة ، نفهم جيدا معنى وأبعاد الثنائية فى التناول والمعالجة • ويبدو الباحثان الجغرافى وغير الجغرافى ، وكأنهما ينهلان من منهل واحد • وقل يمضى بهما هذا البحث عن البيئة على دربين متوازيين ، وهما يطلان ويتطلعان الى نفس المنظور البيئى على صعيد المساحة المعنية • ولا مجال لأن نجد المبرر ، حتى نتعلل ، أو حتى نتصور ، أن الجغرافى يطل على البيئة من زاوية خاصة ، ولها فى رؤيته ، وفى رأيه الجغرافى ، منظور واضح وفهم خاص ، وأن عالم البيئة يطل على نفس البيئة من زاوية خاصة أخرى ، ولها فى رؤيته ، وفى رأيه البيئى ، منظور واضح آخر وفهم خاص مختلف • ولو كان الأمر كذلك ، لهان هذا التناول المتوازى ، ولكان فى وسعنا أن نغتفر هذه الثنائية والتكرار ، على اعتبار أن منظور الواحد منهما ، يتمم منظور الآخر ، وحتى تكون الدراسة فى نهاية الأمر أكثر عمقا واتساعا •

واضافة الى هذه الثنائية فى التناول أو فى المعالجة ، هناك أيضا التوازى فى هذا التناول والمعالجة • ويكون هذا التوازى فى المعالجة ، حتى يصعب التمييز البين ، بين الهدف الجغرافى من دراسة البيئة ، وتقصى الحقائق التى تجاوب هذا الهدف فى جانب ، وهدف علم البيئة من الدراسة البيئية ، وتقصى الحقائق التى تجاوب هذا الهدف فى جانب آخر • وتمضى دراسة البيئة فى علم البيئة على درب ، يوازى الدرب الذى تمضى فيه

دراسة البيئة فى علم الجغرافية المعاصرة • وكأن لا موانع ولا مبررات وجيهة تمنع علم الجغرافية المعاصرة ، ولا علم البيئة من دراسة البيئة ، دراسة تفتقد بينهما التكامل ، وتتبين التوازى • وفى الحالتين تعكف الدراسة البيئية والدراسة الجغرافية للبيئة ، على معالجة البيئة ، وأبعاد وجودها فى المكان والزمان ، فى اطار الطبيعة ، وعلى معالجة البيئة ، وحضور حركة الحياة فى ربوعها ، وأبعادها البشرية • وتجمع الدراسة الجغرافية والدراسة البيئية ، بين وجه البيئة الطبيعى ، ووجه البيئة البشرى ، فى الاطار الواحد ، لكى تتجسد البيئة الجغرافية فى المكان والزمان ، ويتحدد وجودها الجغرافى فى المساحة المعنية • ولا يجد علم البيئة ، عندما تجرى نفس الدراسة المتخصصة ، غير استخدام نفس الأسلوب والمنهج • بل قل أنه ينهج نفس المنهج ، لتجسيد الجمع بين البيئة الطبيعية ، والبيئة البشرية ، ويستخدم نفس التعبير ، فاذا بها على هذا المستوى الجامع بينهمـا ، هى بعينها البيئة الجغرافية •

ويخطىء من الجغرافيين ، كل من لا يعترض عن هذا الانسلاخ ، أو كل من يسكت وكأن الأمر لا يعنيه ، ولا يستحق أن يعيره التفاتا ، أو وكأنه انسلاخ غير ذات معنى • ويخطىء أيضا كل من يتلمس الذرائع ، أو يجند المبررات دفاعا عن هذا الشرود ، الذى يمهد لهذا الانسلاخ • ويرتكب أفدح الخطأ ، كل من يتصور – من غير حق – أن مثل هذا الانسلاخ ، الذى يسفر عن نشأة علم يوصف بسلامة نية ، بأنه جديد ، وأنه علم يعمل لحساب التجديد ، يمكن أن يأتى بشىء علمى جديد ، يختلف عن ما تأتى به الدراسة الجغرافية •

وينبغى أن نشك وتتشكك معنا فلسفة العلوم ، فى شرعية مثل هذا العلم الذى يقع فى خطيئة **الثنائية** فى التناول ، وفى خطيئة **التوازى** فى المعالجة ، حتى لا يمكن تمييزه عن علم الجغرافية • كما ينبغى أن نشك وأن تتشكك معنا فلسفة العلوم ، فى مصداقية الاتجاه الى التجديد ، حتى يتسنى لهذا العلم حديث النشأة ، انسلاخا من عام الجغرافية ، أن يضيف

شيئا له جدوى ، الى الرصيد العلمي ، لحساب الانســـان • بل قل كيف يكون هذا العلم جديدا ، وكيف يتسنى له هذا التجديد ، أو الاضافة الى الرصيد ، وهو يتناول موضوعات تتناولها عناية ودراسات علم الجغرافية المعاصرة ، ثم هو يحاكى ويقلد ولا يجدد فى المعالجة ، حتى تتوازى هــذه المعالجة مع معالجة علم الجغرافية لنفس الموضوع ؟ •

ويواجه علم الجغرافية المعاصرة هــذا الموقف ، الذى يبدأ بالشرود ، وينتهى بالانسلاخ ونشأة مفتعلة ، لعلم جديد ، بشجاعة وصبر • وصحيح أن علم الجغرافية المعاصرة ، لا يوافق ، ولا يقر أبدا هذا الانسلاخ ، ويعترض عليه اعتراضا شديدا • وصحيح أن أفكار علم الجغرافية المعـــاصرة ، التى تعلن عن هـــذا الاعتراض ، لا تملك القدرة أو الوسيلة ، على اعادة هــذا الشرود ، أو ارجاعه الى جادة الصواب • ولا تملك الجغرافية المعاصرة العصا الغليظة ولا العصا السحرية التى توقف تيار الانسلاخ • ولــكن الصحيح بعد ذلك كله أن علم الجغرافية المعاصرة ، لا ولم ولن يتنازل أبدا أو يصرف النظر ، عن الاهتمامات التى تعرضت لحماقات الشرود والتمرد والانسلاخ • ولا تكف اتجاهات علم الجغرافية المعاصرة أبدا ، عن معالجة هذه الاهتمامات ، لأنها لا تتبرأ من المسئولية عنها • وقل أن علم الجغرافية المعاصرة لا يتنازل عن هذه المسئولية ، وكأنه يتخفف منها الى العلم الجديد • وهذا هو الجانب الايجابى الذى تتخذه الجغرافية المعـــاصرة ، أو الذى تعلن به عن استمرار اعتراضها ، الذى لا يسكت عن هذا الانسلاخ عن الكيان الجغرافى •

وعلى هامش هذا الموقف الايجابى الرشيد ، يبدو وكأن علم الجغرافية المعاصرة ، يتعمد استدبار هـــذه الأزمة ، حتى يكاد لا يعير الانســلاخ أى اهتمام • واستدبار الأزمة شىء ، والسكوت عن الانسلاخ شىء آخر ، لأنه يعنى الاعتراف بقطع الصلة مع الجزء من الاهتمام الجغرافى الذى انسلخ • وهذا هـــو الذى لم يحدث أبدا ، والا فكيف نفسر استمرار عنـــاية علم

الجغرافية المعاصرة مثلا بالبيئة ، على مستوى كل الأبعاد الجغرافية ، التى يغطيها البحث دراسة ومعالجة وتدقيقا ، لحساب الهدف الجغرافى ؟

ومن غير أى استنكار ، أو من غير أى استهجان ، يجرح الانسلاخ ، . يكون هذا الاستدبار الذى يهمل المسألة الجغرافية الأصل والمنشأ ، ولا يقيد حرية من تحدثه نفسه ، ويتصور أن فى وسعه أن يعتنى بهذه المسألة . وتترك الجغرافية المعاصرة لمن يعالج البيئة مثلا ، الحق فى البحث الحر ، عن زاوية أخرى يطل من خلالها ، على البيئة ، وهى فى ثوبها الجغرافى ، حتى يثبت أن فى وسعه ، أن يكسوها بثوب جديد ، أو أن يضيف عنها شيئا مفيدا ، يستحق عليه الثناء . ومع ذلك فان الاعتقاد الجغرافى ، يكون واثقا من أن هذا البحث الذى يسفر عنه من تحدثه نفسه بالانسلاخ ، لن تتكشف له هذه الزاوية ، التى يطل فيها بعين غير جغرافية على البيئة . كما يكون الاعتقاد الجغرافى واثقا ، من أن هذا البحث الذى تتبرأ من خطيئته العلمية ، قبل أن يتبرأ منها لن يجد ، ولن يضيف بعد ذلك كله ، شيئا له جدوى بالفعل ، غير الذى تضيفه بحوث علم الجغرافية المعاصرة .

ولا شيء يمكن أن ينتصر لعلم الجغرافية المعاصرة ، فى مواجهة هذه الأزمة ، غير هذا الاستدبار فى صحبة استمرار العناية باهتمامات الجغرافية ، وكأن شيئا من هذا الانسلاخ لم يحدث . بمعنى أن لا شيء يفض هذه الأزمة ، غير عدم التفريط فى العناية ، بأى ظاهرة كانت الجغرافية قد تعودت على أن تعتنى بها ، لحساب الهدف الجغرافى . وبمعنى ان يتجنب علم الجغرافية المعاصره ، التنازل عن موضوع من الموضوعات ، التى يحملها الشرود ، على الانسلاخ ، من التركيب الهيكلى من البنية الجغرافية .

وفى الاعتقاد الجغرافى أنه لا مبرر لهذا التنازل . وقل أن التنازل أو التفريط ، فى مثل هذه الحالة يضعف العمل الجغرافى أصلا ، ويطعن البنية العلمية للجغرافية طعنا خطيرا . وليس من الحكمة فى شيء ، أن يقدم الاجتهاد الجغرافى على تنازل أو تفريط ، من شأنه أن يضعف موقف علم

الجغرافية فى مواجهة كل اهتماماته . بل قل الحكمة كل الحكمة ، تكون فى أن يدعم الاجتهاد الجغرافى عنايته بالموضوع ، وأن يشد أزر الدراسة فيه ، لحساب الهدف الجغرافى . بل قل لا شيء يشد أزر عام الجغرافية ويدعمه غير التجويد فى الأداء الجغرافى فى الموضوع ، وغـير العناية بترسيخ فعل وأثر كل المتغيرات ، التى ينطلق بموجبها ومن أجلهـــا علم الجغرافيـــة الى ميادين العمل الجغرافى التطبيقى ، لكى يتسنى ترسيخ جـدوى الهـــدف الجغرافى ، وهو الذى لا ينبغى أن يكون أبدا ، لحساب غير حساب الانسان ، فى المكان وفى الزمان .

* * *

خاتمة

بيان وتعليق عن توجهات علم الجغرافية المعاصرة

خاتمـــــة

بيان وتعليق عن توجهات علم الجغرافية المعاصرة

يمضى عمل واهتمامات علم الجغرافية المعاصرة ، فى الاتجاه الصحيح الذى يلبى ويطاوع حاجة العصر • ويوغل علم الجغرافية المعـــاصرة برفق وعناية شديدة ، فى مجالات العمل الجغرافى التطبيقى • وتـكون البحوث الجغرافية العلمية العملية التطبيقية ، التى تتوجه الى الاعـــلان عن الرأى الجغرافى وهو الذى يرشد الحضور الانسانى والابداع الحضـــارى فى أهم مجالات تعديل حد المصالحة ، مع الطبيعة وقوة فعل تحدياتها وضوابطها . فى المكان •

وفى عز زحمة هذا العمل الجغرافى المعـاصر ، يواجه أو يتعرض علم الجغرافية المعاصرة ، لبعض الأزمات • ولكن مهما يكن أمر هـــذه الأزمات العارضة ، التى تواجه علم الجغرافية المعاصرة ، فانه لا يهتز ولا يتردد فى تجويد وتجديد أدائه ، لحساب العمل التطبيقى • وقل أن الفكر الجغرافى المعاصر لا يكف أبدا عن دعم هذا الأداء المتفتح ، وهو يتحمس للتجديد ، أو وهو يتعمد التجويد ، فى انجاز العمل الجغرافى التطبيقى •

وفى الوقت الذى لا يهتز فيه أداء علم الجغرافية المعاصرة ، ولا يعـير هذه الأزمات العارضة اهتماما كبيرا ، ولا يستشعر أى خطر على الهـــدف الجغرافى ، فانه يحتوى الأزمة ولا يصيبه الاحباط أو الاحســـاس بخيبة الأمل • وقل أن الاجتهاد الجغرافى اليقظ ، يواصل اقدامه ، من غير توتر أو من غير انفعال ، على الأداء الجغرافى العلمى العملى التطبيقى المناسب ولا يسكت هذا الأداء الجغرافى ، عن ترسيخ التجديد والتجويد الجغرافى . على مستوى التطبيق ، الذى يعرف كيف تنتفع به حركة الحياة وهى تواجه الطبيعة وقوة فعلها ، فى المكانوالزمان • بل قل أن هذا الاجتهاد الجغرافى، يبدو دائما فى أنسب اســـتعداد للالتزام الموضوعى ، بالهـدف الجغرافى الجديد ، وهو شديد العناية والاهتمام بتوجهاته التطبيقية •

وهكذا ، يعكف الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، ولا يغفـل عن حراســـه الهدف الجغرافى الجديد • ويتحمل هذا الاجتهاد بأمانة علمية ووعى رشيد ..

مسئوليات تنمية تطلعات هذا الهدف الجغرافى ، لكى يواكب فعل المتغيرات ، التى لعبت وما زالت تلعب دورا مهما ، لا يكاد يتوقف أبدا عند حد فى مضى ، أو فى انتعاش ، أو فى انتكاس حركة الحياة ، بل قل أن الاجتهاد الجغرافى التطبيقى المعاصر ، يظل حريصا على ترشيد وحسن توجيه التعامل الذى تستوجبه حركة الحياة ، فى اطار العلاقة الحميمة ، وهى تتلمس وتحافظ على روح المصالحة بين الانسان والطبيعة ، فى المكان والزمان •

ويبدو هذا الاجتهاد الجغرافى وهو يطاوع أو وهو يجاوب فلسفة الفكر الجغرافى المعاصر ، حتى يسفر انجازه عن رصيد أنسب يدعم ويطور هذا المنطق الفلسفى الجغرافى • ومن ثم يتمادى الاجتهاد الجغرافى المعاصر فى حسن أداء دوره العملى التطبيقى • وتتسع من خلال التجديد والتجويد ، مجالات الدراسات الجغرافية ، اتساعا كبيرا • وتغطى هذه الاتساعات الاضافات الممتازة ، التى تستحق العناية الجغرافية العلمية التطبيقية •

وفى ظل مفاهيم واهتمامات علم الجغرافية المعاصرة ، وعلى مستوى نضج وفلسفة فكرها الجغرافى المتفتح ، كان لابد من التمادى الجغرافى العلمى ، فى حسن العناية بالتقويم الجغرافى السديد • ويتوجه هذا التقويم الجغرافى السديد ، فى الاتجاه الصحيح والأنسب ، وهو محسوب بعناية وخبرة ومهارة ، لحساب الانسان ، أو لحساب حضور حركة الحياة والسيادة الراسخة ، على صعيد الأرض فى المكان والزمان • ويتعامل الاجتهاد الجغرافى مع الرؤية ، أو مع المنظور الجغرافى الطبيعى ، أو مع الرؤية أو مع المنظور الجغرافى البشرى ، **تعاملا جادا** على مستوى بيان هذه الرؤية الجغرافية ، **وتعاملا مناسبا** ، على مستوى التقويم الجغرافى • ومن خلال هذا التقويم الجغرافى وحساباته ، يوفر هذا التعامل القدرة الجغرافية لكى يصبح فى وسعها ، أن تشد أزر الباحث الجغرافى ، وهو يصدر الحكم الجغرافى الحاسم ، أو وهو يعلن عن الرأى الجغرافى التى يتوج به وضوح الرؤية الجغرافية فى المكان والزمان •

ويبرهن هذا الاجتهاد الجغرافى المعاصر بالفعل ، على سلامة هذا الرأى الجغرافى السديد ، الذى يبتنى على التقويم الجغرافى السليم • ويرشد هذا الرأى الجغرافى السديد ، التفاعل الحياتى ، بين الانسان والأرض • وقل أنه يشد أزر حركة الحياة ، على صعيد الأرض • بل قل أن هذا الاجتهاد الجغرافى أفلح وأصاب ، ولم يخيب الآمال أبدا فى :

(أ) حسن توظيف التقـــويم الجغرافى فى ابداء الرأى الجغرافى ، وجمع أو حصر نتائج هــــذا الرأى العملية ، فى اطار العمـل الجغرافى الميدانى ، وتطوير وظيفة الرحلة الجغرافية ، فى ميدان العمـــل الجغرافى العملى العلمى التطبيقى ، أو فى الدراسة الميدانية التطبيقية ، واكتســاب كل المهارات الجغرافية الأنسب للانتفاع بها فى انجاز هــــذه المهمة انجازا ناجحا ٠

(ب) حسن توظيف التقويم الجغرافى فى ابداء الرأى الجغرافى ، وجمع أو حصر نتائجه النظرية ، فى اطار العمل الجغرافى المكتبى ، وسعة الاطلاع العلمى ، وحسن تقصى نتائج العلوم الطبيعية ، ونتائج العلوم الانسانية . واكتساب أحسن المهارات والخبرات الجغرافيـة ، الأنسب لاستخدامهـا فى انجاز هذه المهمة ، انجازا ناجحا ٠

ويتعمد الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، حسن العنـــاية والتدقيق ، فى حساب جدوى كل عنصر من العناصر التى يبتنى عليها اجراء هذا التقويم الجغرافى ٠ ويتحرى الاجتهاد الجغرافى بعد ذلك كل العناية ، فى ابداء الرأى الجغرافى السديد ، لحساب الانسان وحركة الحياة ، فى ربوع الأرض ٠ وقل أن هذا الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، يسعى من خـــلال حسن أداء العمـــل الجغرافى التطبيقى الى جمع أوصال هذا الرأى الجغرافى ، كمـا يسعى مرة أخرى من خلال حسن توظيف الرأى الجغرافى ، الى خدمة مصـــالح حركة الحياة فى المجالات التطبيقية ٠ ويصبح فى وسع الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، أن يسخر مصلحة الهدف الجغرافى تسخيرا جيدا ، لحساب تفاعل حيـــاتى أفضل بين الانسان وحركة الحيـــاة وارادة التفوق والسـيادة فى جانب ، والطبيعة عـــلى امتداد المسرح الفسيح فى ربوع الأرض فى جانب آخر ٠ وتؤدى هذه التجربة ، من خلال التخطيط الاقليمى ، الى تجسيد نجـــاح الاجتهاد الجغرافى التطبيقى المعاصر ٠

وتتولى الجغرافية الطبيعية ، وفروعها المتخصصة ، وهى تهتم بدراسة الأرض ، ودراسة العناصر التى تشترك صياغة خواصها فى المكان والزمان ، وفى بيان أوضاع الواقـــع الطبيعى الكلى ، نصيبها المنـــاسب من التقويم الجغرافى ٠ ويحسب هذا التقويم حساب المتغيرات ، وفعلها المباشر أو غير المباشر على أوضاع الواقع الطبيعى ٠ ويحتل هــــذا النصيب من التقـويم الجغرافى مكانا مناسبا ، ومكانة وجيهـــة ، فى بؤرة العنـــاية الجغرافيـــة المعاصرة ٠ وتقبل البحوث الجغرافية المعاصرة ، على دراسة الواقع الجغرافى

الطبيعى ، فى المساحه المعنية ، بأسلوب منهجى جغرافى تطبيقى مناسب ٠

ومن خلال الدراسة الجغرافية الطبيعية المكثفة ، التى تعتمد على نتائج أو حصاد الدراسة الميدانية التطبيقية ، تتسنى الاضافة الجديدة ٠ كما يتسمنى حسن استخدام هذه الاضافة الجديدة ، التى يبوح بها الواقع الجغرافى ولا يخفيها عن العين الجغرافية الواعية ، فى انجاز التقويم الجغرافى، ثم فى تسديد الرأى الجغرافى ٠ ويبصر هذا الرأى الجغرافى أمور التعامل مع الأرض والواقع الطبيعى السائد فى ربوعها ٠ كما يسدد حسن الاستخدام وانتفاع الانسان بحضوره وسيادته عليها ٠

ومن خلال هذا العمق الدراسى ، الذى يوغل فيه البحث الجغرافى التطبيقى المعاصر ، تتوفر كل النتائج الجغرافية الممتازة ، حتى توضع بمهارة فى خدمة حركة الحياة على صعيد الأرض ٠ وقل أنها من خلال الرأى الجغرافى الذى لا يخيب ، توظف هذه النتائج الجغرافية توظيفا مباشرا ، أو غير مباشر فى الوقوف فى صف الانسان وهو يتعامل أو وهو يستخدم الأرض٠ بل قل أن هذا التوظيف ، هو الذى يدعم حركة الحياة ، فى ربوع الأرض ويشد أزر أنشطته الاقتصادية ، وتشكيلاته الاجتماعية ، ونظمه السياسية، والادارية ، ومستوياته الحضارية ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان وحبكته المثلى ، والزمان ومتغيراته التى لا تنتهى أبدا ٠

ومن ثم قل أن الجغرافية الطبيعية فى شكلها المعاصر ، أصبحت لا تهتم بدراسة الأرض وعناصر الطبيعة ، فى ربوعها ، جملة أو تفصيلا ، دراسة جغرافية على مستوى الاهتمام المجرد أو المتجرد ٠ بل قل أنها تكرس هذه العناية وتلك الاهتمامات ، وتطوع نتائج البحوث الجغرافية الطبيعية ، لكى تكون فى متناول حسن الاستخدام لحساب الانسان ، ولا شك ولا تشكيك فى أن حسن استخدام هذه النتائج بعد تطويعها ، يؤمن حضور الانسان وينمى قدراته ويقوى قبضته على مستوى التعامل مع الأرض على بصيرة ٠ وتسخر هذه البصيرة الأرض للانسان ، تسخير من يملك فى يديه ، أهم وأجدى موجبات الانتصار والتفوق ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان ، وفى الزمان ٠

وتتولى الجغرافية البشرية ، وفروعها المتخصصة ، وهى تهتم بدراسة الانسان ، والعناصر والجوانب التى تشترك فى صياغة حركة الحياة ، وتوجهاتها الاجتماعية ، والاقتصادية ، والحضارية ، والسياسية ، فى المكان

والزمان ، وفى بيان أوضاع وأحوال الواقع البشرى الكلى ، نصيبها المناسب أيضا من التقويم الجغرافى • ويحسب هذا التقويم الجغرافى ، حساب المتغيرات ، وفعلها المباشر وغير المباشر فى أوضاع حركة الحياة ، أو فى أحوال الواقع البشرى • ويحتل هذا النصيب من التقويم الجغرافى ، مكانا مناسبا ، ومكانة وجيهة ، فى بؤرة العناية الجغرافية المعاصرة • وتقبل البحوث الجغرافية المعاصرة ، على دراسة الواقع الجغرافى البشرى فى المساحة المعنية ، بأسلوب منهجى جغرافى تطبيقى مناسب •

ومن خلال هذه الدراسة الجغرافية البشرية المكثفة ، التى تعتمد على سعة الاطلاع ، وعلى نتائج الدراسة الجغرافية الميدانية التطبيقية ، تتسنى • بل وتستجيب الاضافة الجديدة والمجددة . كما يتسنى حسن استخدام هذه الاضافة ، التى يبوح بها الواقع الجغرافى البشرى ، ولا يخفيها عن العين الجغرافية الواعية ، فى انجاز التقويم الجغرافى ، ثم فى تسديد الرأى الجغرافى • ويبصر هذا الرأى الجغرافى السديد ، الانسان وحركة الحياة ، ويؤمن لها حسن استخدام الأرض والتعامل معها ، وبسط سيادته المتنامية عليها •

ومن خلال هذا العمق الدراسى ، الذى يوغل فيه البحث الجغرافى التطبيقى المعاصر ، تتوفر كل النتائج الجوهرية ، التى تضع الانسان وحركة الحياة ، فى مواجهة صريحة ومكشوفة ، مع قدراته التى يتعامل بها مع الأرض • وقل أنها من خلال الرأى الجغرافى الذى لا يخيب ، توظف هذه النتائج الجغرافية ، توظيفا مباشرا أو غير مباشر ، فى الوقوف فى صف الانسان ، وهو يتعامل أو وهو يستخدم الأرض • بل قل أن هذا التوظيف ، هو الذى يدعم حركة الحياة فى ربوع الأرض ، ويشد أزر أنشطته الاقتصادية ، وتشكيلاته الاجتماعية ، ونظمه السياسية ، ومستوياته الحضارية ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان وحبكته المثلى ، وفى الزمان وحركة المتغيرات التى تتوالى ولا تنتهى أبدا •

ومن ثم ، قل أن الجغرافية البشرية فى شكلها المعاصر ، أصبحت لا تهتم بدراسة الانسان وحركة الحياة ، وعناصر هذه الحركة ، فى ربوع الأرض ، جملة أو تفصيلا ، على مستوى الاهتمام المجرد أو المتجرد • بل قل انها تكرس هذه العناية وتلك الاهتمامات ، وتطوع النتائج الجغرافية البشرية ، لكى يرى الانسان نفسه ، ولكى يتلمس محصلة مهاراته وقدراته ، ولكى يتعرف على الواقع الحياتى فى اطار حركة الحياة التى

يعيشها ، حتى يدرك جيدا كيف ينمى مهاراته ، ويقوى قبضته ، من أجل تدارك أسباب الضعف أو القصور ، فى اطار التعامل الحياتى مع الأرض • ولا شك ولا تشكيك فى أن وضوح رؤية الانسان لنفسه ، فى زحمة حركة الحياة تفجر فى كل انسان ارادة التغيير ، وحسن الاستعداد والاقدام الرزين على هذا التغيير • وتفجير ارادة هـذا التغيير • وحسن الاستعداد والاقدام على التغيير الرزين ، لا يتحقق أبدا ، فى غيبة الرأى الجغرافى وتوجيهـاته السديدة • ويضع هذا الرأى الجغرافى أيدى الانسان على أهم وأجـدى موجبات الانتصار عند تحسين مستوى التعامل مع الأرض ، على صـعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان •

* * *

وهكذا ، يكون اهتمام علم الجغرافية المعاصرة ، وهو لا يفتر أو يتهاون أو يقصر ، بالأرض وبالظاهرات الجغرافية الطبيعيـة ، وبالواقع الجغرافى الطبيعى • كمـا يكون اهتمام علم الجغرافيـة المعـاصرة أيضـا ، بالنـاس وبالظاهرات الجغرافية البشرية ، وبالواقع البشرى • ويمتد هذا الاهتمام ، لكى يشمل المتغيرات وكيف تؤثر على الواقع الجغرافى الطبيعى أو على الواقع الجغرافى البشرى ، على المدى القصـير ، وعلى المدى الطويل ، وعـلى المدى الجيولوجى • وقد نسعف متابعة هـذه المتغـيرات الطبيعية أو المتغـيرات البشرية ، لكى يتلمس اتجاه تأثيرها ، فى المستقبل القريب أو البعيد •

ويكون الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، عـلى مستوى التخصص الجغرافى الدقيق ، غاية فى التوفيق ، سواء ، وهو يتوجه الى معالجة الرؤية الجغرافية الطبيعية أو البشرية ، فى الماضى ، أو فى الحاضر أو وهو يتوجه الى متابعة متغيرات الرؤية الجغرافية ، من حين الى حين آخر • ويكون الاهتمام الجغرافى بهما أو بالعلاقة بينهما متوازنا ومتوازيا ، ومتزامنا •

ويلتمس الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، بعد كل شىء ، الكشف الحصيف عن الصلة أو العلاقة التى لا تنتهى ، بين الانسان وحركة الحياة ، والأرض والمسرح الفسيح ، الذى يشهد أنشطة حركة الحياة • كما يلتمس الاجتهاد الجغرافى المتخصص ، التأثير المتبادل بينهما ، فى حـدود المصلحة ، التى تكفل التعايش • وقل يدور البحث الجغرافى ، فى اطار الموضوعية ، لحساب الهدف الجغرافى ، بحثا عن ، من الذى يضبط ، وكيف يضبط ، والى أى حد يتأتى هذا الضبط ، ومن الذى ينضبط ، وكيف يتـأتى الانضباط ، والى أى حد يتأتى هذا الانضباط • كما يلتمس البحث الجغرافى ، ولا يسكت

عن الكيفية التى يكون بموجبها منطق وفلسفات ، هذا الضبط والانضباط المتبادل . ومن ثم يعرف الاجتهـاد الجغرافى المعاصر ، فى نهـاية المطاف ، كيف يضع الهدف الجغرافى بحـذافيره ، فى خدمة حركة الحيـاة ، وارادة التغيير الى ما هو أفضل ، فى اطار الخطـة التنموية ، الشـاملة على صعيد المساحة المعنية ، اجتماعيا وحضاريا واقتصاديا ، فى الاقليم التخطيطى .

ويبدو آن الباحث الجغرافى ، يكون فى أمس الحاجة الى سعة الاطلاع والاحاطة بنتائج كل العلوم الطبيعيـة والانسانية ، لـكى يتزود بخبرات ومهارات ومكتسبات علمية مفيدة . وتشد هـذه المهـارات والمكتسبات العلمية ، أزر الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، وهو على درب التجديد والتجويد الجغرافى . وقل ينبغى أن يعرف الباحث الجغرافى كيف يكون الأخـذ من نتائج العلوم الأخرى ، وكيف يجيد التزود بهذا الرصيد العلمى لحسـاب البحث الجغرافى . هذا بالاضافة الى التزود بمهارة حسن استخدام هـذه النتائج العلمية ، فى انجاز البحث الجغرافى سواء وهو يعالج ، أو وهـو يحلل ، أو وهو يلتمس العلاقات وموجبات الربط ، أو وهو يقدم على اجراء التقويم الجغرافى . ثم ينبغى أن يتحلى بعد ذلك كله ، بأكثر من مهارة ، فى الوصول الى صيغة الرأى الجغرافى السديد .

ومع ذلك ، ينبغى أن يحذر البـاحث الجغرافى ، وأن يتحفظ كثيرا ، فى ابداء الرأى الجغرافى ، لكى يتجنب الوقوع فى خطيئة ، تقمص وظيفة غير الوظيفة الجغرافية ، أو الاستغراق فى تخصص دقيق غـير التخصص الجغرافى . ويجب أن يكون الباحث الجغرافى جغرافيا ، أولا وأخيرا ، وأن يظل جغرافيا ، فلا ينسلخ من جلده الجغرافى . وصحيح أن الباحث الجغرافى ينتهى الى الرأى الجغرافى السديد ، ويملك أن يرشد بناء على هذا الرأى ، وأن ينصح ، وأن يوصى ، لكى يستمع اليه وينتفع بنصيحته أو توصـيته المهندس أو الاقتصـادى ، أو غـيرهم من المتخصصين الشركاء فى فريق المخططين ، ولـكنه لا ينبغى أن يتجـاوز الباحث الجغرافى دوره الوظيفى الجغرافى المتخصص الى دور تخصصى آخر . وهو ان فعل ، حتى ولو كان من غير قصد ، فانما يمهد ، لكى ينسلخ من الانتمـاء الجغرافى ، انسلاخا يوقع به فى المحظور .

* * *

المصادر والمراجع

أولا - المراجع العربية :

١ ـ صلاح الدين الشامى : الفكر الجغرافى . سيرة ومسيرة ، الاسكندرية ، ١٩٨٠

٢ ـ صلاح الدين الشامى : الرحلة عين الجغرافية المبصرة فى الدراسة الميدانية ، القاهرة ، ١٩٨٢

٣ ـ صلاح الدين الشامى : التقويم الجغرافى . انطلاقة التجديد والتجويد فى الفكر الجغرافى المعاصر . مجلة كلية الآداب . جامعة صنعاء

٤ ـ صلاح الدين الشامى : الجغرافية دعامة التخطيط . القاهرة . ١٩٧٦

٥ ـ صلاح للدين الشامى : الندية بين الطبيعة والانسان . منشورات قسم الجغرافية ، فى جامعة الكويت ، ١٩٨٥ .

٦ ـ جريفيث تايلور : الجغرافية فى القرن العشرين . (ترجمة د. محمد السيد غلاب وآخرون) ، القاهرة ، ١٩٧٤

٧ ـ روجر منشل : تطور الجغرافية الحديثة . (ترجمة د. محمد السيد غلاب ، د. دولت صادق) ، القاهرة ، ١٩٧٣

٨ ـ فريمان ، ت. و : الجغرافية فى مائة عام . (ترجمة د. عبد العزيز طريح شرف) الألف كتاب الثانى ٤ ، ١٩٨٦

٩ ـ يسرى الجوهرى : الفكر الجغرافى والكشوف الجغرافية ، الاسكندرية ، ١٩٧٢

١٠ـ يوسف أبو الحجاج : الجغرافية مغزاها ومرماها (ترجمة) الألف كتاب رقم ١٨٧

ثانيا - المراجع الأجنبية :

1. Beazley, R. : The Down of Modern Geography, London, 1897.
2. Bunbury, E.H. : A History of Ancient Geography London, 1883.
3. Freeman, T.W. : A Hundred Years of Geography, Duck Worth, 1961.
4. Freeman, T.W. : Geography and Planning, Hull, 1958.
5. Gibson, A. : Regional Planning and Development, Lieden 1955.
6. Hartshorne, R. : The Nature of Geography, A.A.A.G Lancaster Pensylvania, 1939.
7. Hartshorne, R. : Perspective of the Nature of Geography, Murry 1959.
8. Kimble, G.H.T. : Geography in the Middle Ages, London, 1963.
9. Minshull, R.M. : Regional Geography; Theory and Practice, Hull. 1967.
10. Martin, A.F. : The Necessity of Determinism, TIBG No. 17, 1951.
11. Stamp, L.D. : Applied Geography, Pelican, 1960.
12. Scott., J. & Howarth, O.R. : History of Geography, London, 1913.
13. Taylor, G. : Geography in the Twentieth Centry, London, 1953.
14. Turnock, D. : The Region in Modern Geography, Geog. Vol. LII 1967.
17. Wooldrige, S.W. & East, W.G. : The Spirit and Purpose of Geography, London 1964.

محتويات الكتاب

الصفحة

الصفحة

الفصل الرابع
علم الجغرافية الحديثة
وقضايا تحديد المكان والزمان

الفصل الخامس
الفكر الجغرافى الحديث
مضى سديد فى العمل الجغرافى
وتطور رشيد فى الهدف الجغرافى

الفصل السادس
التقويم الجغرافى ....
والمضى فى تطوير الهـــدف

الفصل السابع

الجغرافية المعاصرة ومواجهة الأزمة

الصفحة

خاتمـــة

رقم الايداع ١٩٨٧/٣٩٥٧
الترقيم الدولى ٦ - ٣٤٧ - ١٠٣ - ٩٧٧

مطبعـة اطلس
١١ ، ١٣ شارع سوق التوفيقية
تليفون : ٧٩٧٧٤٧ - القاهرة